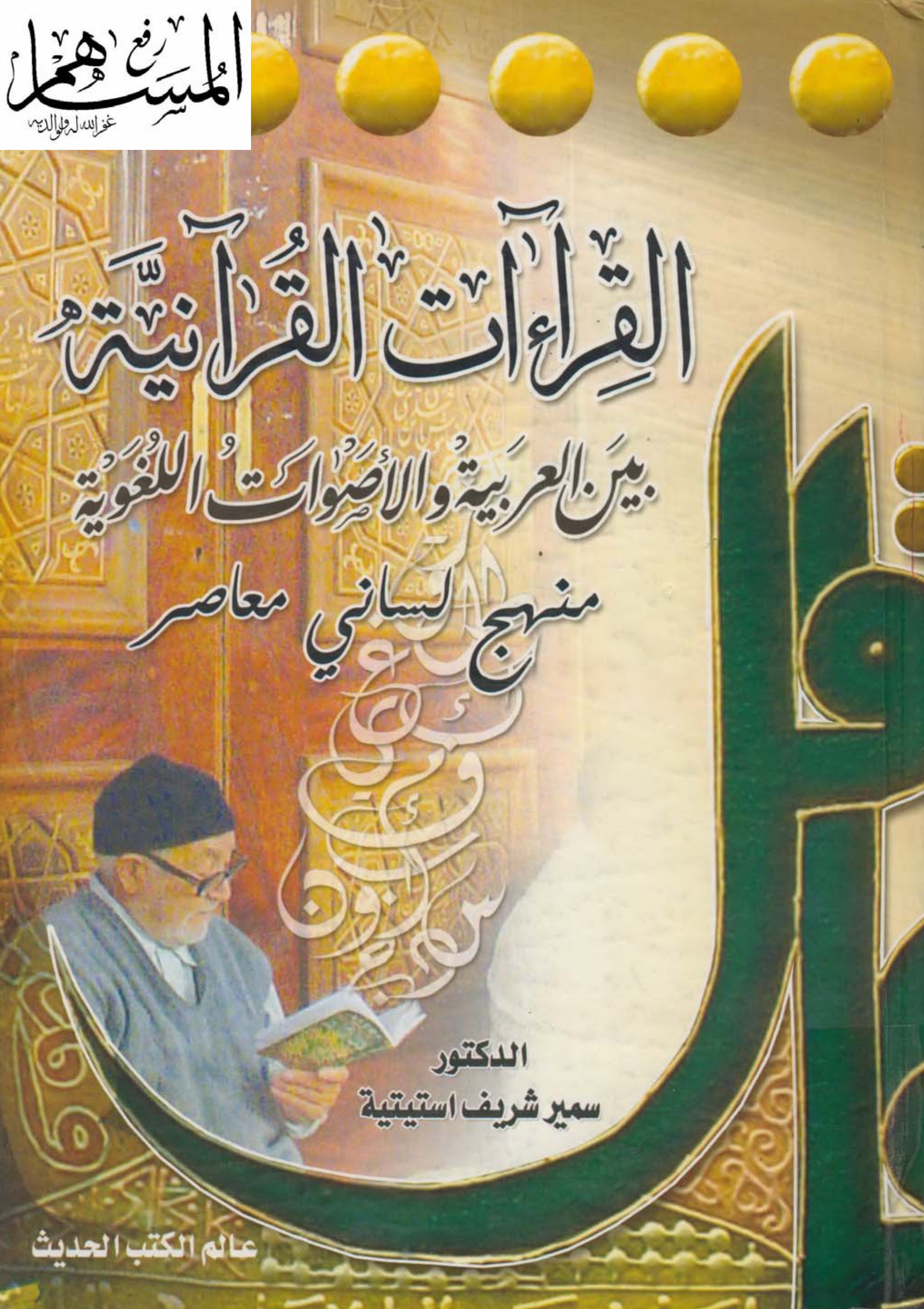
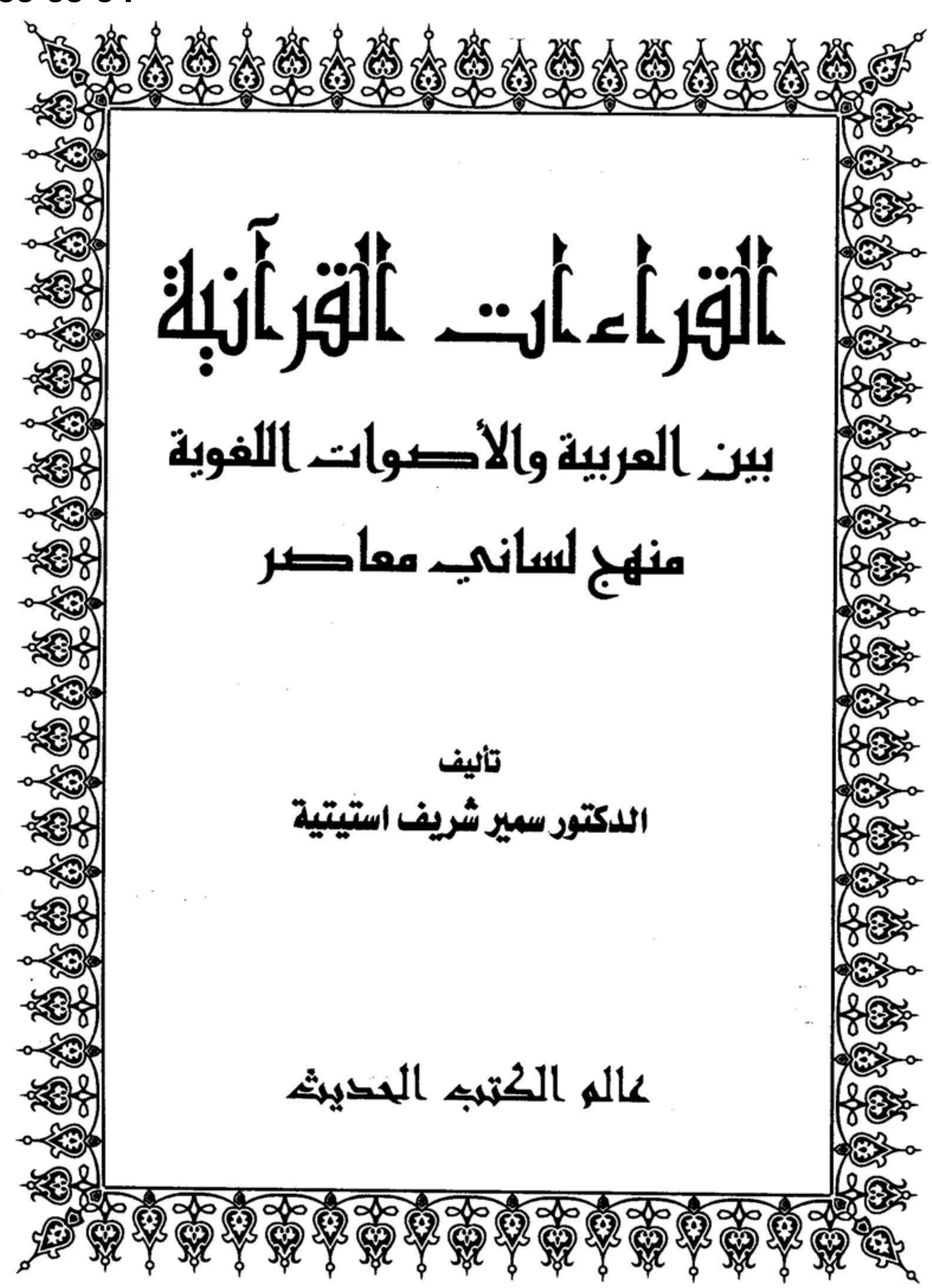

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه
القراءات القرآنية
بين العربية والأصوات اللغوية
منهج لساني معاصر
الدكتور
سمير شريف استيتية
عالم الكتب الحديث



القراءات القرآنية

بين العربية والأصوات اللغوية

منهج لساني معاصر

تأليف

الدكتور سمير شريف استيتية

عالم الكتب الحديث

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/١٢//٢٩٧٩)

٢٢٣.٢
استيتية، سمير شريف
القراءات القرآنية بين العربية والاصوات اللغوية:منهج لساني معاصر/سمير شريف استيتية.-اربد:عالم الكتب الحديث،٢٠٠٥
(   )ص
ر.إ: ٢٠٠٤/١٢/٢٩٧٩
الواصفات:/القرآن//قراءة القرآن//

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



ثبت المحتويات







رفع
المسيّهمّ



المقـــدمــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحمــود هــو الله جلّ ثناؤه، تباركت صفاته وأسماؤه، والمُصلّى عليهم رسلُه وأنبياؤه وبعد ،

فقد اجتهد علماء القراءات القرآنية في خدمة القرآن الكريم وقراءاته، ما وسعهم الاجتهاد في الحفظ،وأمانة النقل، وسلامة التمييز، ودقة الأداء، وعلو الإتقان في أداء قراءاتهم، وفي تعليمها لتلاميذهم بالسند. والتعليم بالسند والرواية من المزايا العظيمة لهذه الأمة، وهي مما سخر الله له هؤلاء العلماء، ممن لا يُحصون كثرة، للحفاظ على هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ليظل نبراس العلم والهداية، دون أن يعتريه تحريف أو تغيير أو تبديل، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، مصداقاً لقوله تعالى في كتابه العظيم: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

بدأت العمل في بحث الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية منذ أعوام طويلة. وعملت يومذاك على جمع القراءات العشر صوتياً، وسجلت كل قراءة بروايتيها على نحو ثلاثين شريطاً تسجيلياً. وقد كان ذلك العمل أول جمع صوتي كامل للقراءات العشر. وكان لبيب السعيد هو باعث فكرة التسجيل الصوتي للقراءات القرآنية، دون أن يتأتى له أن يراها مسجلة.

كتبت بعد ذلك عدداً من البحوث في الظواهر الصوتية لكل قراءة على حدة. ونشرت بعض هذه البحوث في عدد من المجلات العلمية المحكمة. وكانت هذه البحوث نواة هذا الكتاب. وقد شجعت طلاب الدراسات العليا في جامعة اليرموك وغيرها من الجامعات الأردنية والعربية، على أن يتناول الباحث منهم قراءة من القراءات ليدرسها صوتياً. وقد أفاد هؤلاء الباحثون من البحوث التي كتبتها وأشرت إليها، بل إني لم أكن أتوانى عن الموافقة على مشروع رسالة



الدكتوراه أو الماجستير،والإشراف عليها، وهي تحمل نفس العنوان الذي يحمله عنوان بحث لي كان قد نشر من قبل. وكان مـــن نتيجـــة ذلـــك أن الله تعالى قـــد وفـــق عدداً من الباحثين في الدكتوراه والماجستير، في إعداد رسائل جيدة في الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية.

تناولت في هذا الكتاب دراسة الظواهر الصوتية في اثنتي عشرة قراءة، أول سبع منها هي القراءات السبع المتواترة، ثم القراءات الثلاث المكملة للعشر، وهي أيضاً متواترة. ثم اخترت من القراءات الشواذ الأربع، المكملة للأربع عشرة، اثنتينً فقط. ومهما قيل في هذه القراءات الأربع، فنحن إنما ندرسها صوتياً. وهذا أمر لا جدال في صحته واستقامته في نظري، بل لقد استفاض القول بجوازه عند عدد كبير من العلماء.

جعلت لكل قراءة فصلاً، ورتّبت هذه الفصول بمقتضى الترتيب التاريخي لوفاة القراء في مجموعات ثلاث (باعتبارهم سبعة، أو مكملين للعشرة، أو مكملين للأربعة عشر). من هنا كان الفصل الأول مخصصاً لدراسة الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر، لأنه أقدم السبعة في تاريخ الوفاة، والثاني لدراسة الظواهر الصوتية في قراءة ابن كير، ثم عاصم،فأبي عمرو بن العلاء، فحمزة، فنافع، فالكسائي. هذه هي المجموعة الأولى. ثم كان ترتيب القراءات الثلاث المكملة للعشر، وهي المجموعة الثانية. وكان موضوع الفصل الواحد، واحدة من هذه القراءات الثلاث، وذلك بمقتضى تاريخ وفاة كل واحد من أصحاب هذه القراءات، دون النظر إلى ترتيب السبعة، ولا إلى ترتيب القراء الثلاثة الذين تحسب قراءاتهم من الشواذ. ثم كان ترتيب الاثنتين المكملتين للاثنتي عشرة، بمقتضى تاريخ الوفاة، الأسبق فالأسبق، ضمن المجموعة ذاتها فقط.

جعلت كل فصل قائماً على مطلبين، أولهما للتعريف بالقارئ ودرايته وراوييه وطرقه. وثانيهما لدراسة الظواهر الصوتية في قراءته. وقد درست هذه الظواهر نطقياً وفونولوجياً، وكنت أستنبط القواعد الصوتية للظاهرة وأرسم

معادلاتها. واستعنت على دراسة بعض الظواهر في بعض هذه القراءات أكوستيكياً، بأدق الأجهزة الصوتية وأحدثها في مركز النطق والسمع في جامعة اليرموك.

أسأل الله جلّت قدرته، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،وأن يجعله وصاحبه في المقبولين. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأطهار الطيبين، وأصحابه الغرّ الميامين.

سمير شريف استيتية

الفصل الأول

في قراءة ابن عامر

* المطلب الأول: ابن عامر:
  ١- حياته.
  ٢- راويا قراءته.
  ٣- طرقه.

* المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر.



ابـــن عـــامـــر

أبو عمران عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ).

راويـــاه:

١- هشام: أبو الوليد هشام بن عمار السلمي الدمشقي (ت ٢٤٥هـ).
٢- ابن ذكوان: أبو عمرو عبدالله بن أحمد القرشي الفهري (ت٢٤٢هـ).

طـــرقـــه:

١. طريقا هشام :
(أ) الحلواني: أبو الحسن أحمد بن يزيد (ت ٢٥٠ هـ).
(ب) الداجوني: أبو بكر محمد بن أحمد الرملي (ت ٣٢٤هـ).

٢. طريقا ابن ذكوان :
(أ) الأخفش: أبو عبدالله هارون موسى التغلبي (ت ٢٩٢هـ).
(ب) الصوري: أبو العباس محمد بن موسى الدمشقي (ت ٣٠٧هـ).

المطلب الأول

ابـــن عامـــــر

١. حياته ودرايته

هو أبو عمران عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي- بتثليث الصاد فتحاً وضماً وكسراً- نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ، وقيل: يحصب بن مالك بن أصبح بن أبرهة بن الصباح[١]. ولد في السنة الثامنة من الهجرة، وقيل: بل في السنة الحادية عشرة في ضيعة يقال لها: "رحاب"، وهي واقعة الآن في محافظة المفرق في الأردن. ولهذا فهو عربي المنشأ والمحتد،بل قيل إنه ليس بين القراء السبعة من العرب غير ابن عامر، وأبي عمرو بن العلاء[٢]. ولما قبض الرسول كان لابن عامر سنتان.

انتقل ابن عامر إلى دمشق وعمره تسع سنوات، ليقرأ القرآن على بعض من فيها من الصحابة مثل النعمان بن بشير[٣]، وواثلة بن الأسقع[٤]. وقد لمع نجم ابن عامر في القراءة حتى أصبح أحد أئمة هذا الفن، بل أصبح أحد القراء السبعة الذين اجتمع الناس على قراءتهم، وتلقوها بالقبول. وأصبح ابن عامر إمام

---

(١) محمد بن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق ج برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠) ١/٤٢٤.

(٢) محمـــد الذهبـــي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: عيسى البابي الحلي،١٩٦٣) ٢/٤٤٩.

(٣) صـــحابي مـــن الخـــزرج الأنصار، كان أول مولود في الإسلام من الأنصار. استعمله معاويـــة على الكوفة على حمص وكان من أخطب الناس،قتل سنة خمس وستين. انظر: أحمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار الكتب العلمية) ٦/٢٤٠.

(٤) أحد الصحابة، ومن أهل الصفة. شهد تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ القراءة عن النبي. توفي سنة خمس وثمانين وله ثمان وتسعون سنة.



أهل الشام في القراءة، واجتمع علماؤها على قراءته، وسار الناس عليها قروناً. وقد انتهت إلى ابن عامر مشيخة الإقراء، لما رأوا فيه من الفطنة والاستقامة، فقد كان إماماً جليلاً متمسكاً بالسنة، أمَّ الناس في الجامع الأموي سنين كثيرة، في أيام عمر بن عبد العزيز، وقبله، وبعده، وروي أن عمر بن عبد العزيز كان يأتم به ويصلي خلفه، وهو أمير المؤمنين. وقد جمع له عمر بين الإمامة والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق، توفي رحمه الله في دمشق سنة ثماني عشرة ومائة.

كان ابن عامر إماماً، عالماً، ثقة، متقناً، عادلاً، ضبطاً. وقد وثقه جلة العلماء، فقال فيه الذهبي: "صدوق ما علمت به بأساً. وقد تكلم في قراءته من لا يعلم، وهي قراءة حسنة"(٥). وقد ذكر ابن الجزري في ترجمته أن ابن جرير الطبري قد طعن في ابن عامر. ولا يعرف على وجه التحقيق أين ورد هذا الطعن. وأغلب الظن أنه ورد في كتاب القراءات لابن جرير الطبري، وهو كتاب ذكره ابن جرير نفسه في التفسير فقال: "وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روى عنه ذلك في قراءة في كتاب القراءات، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه، والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه"(٦). وقد سماه ابن الجزري: "الاستبصار في القراءات"(٧). وأما محقق تاريخ الطبري فقد ذكره تحت عنوان: "الجامع في القراءات"، قال المحقق: "رآه ابن الجزري وأخذ منه"(٨). ولم أجد في التفسير طعناً في ابن عامر، في المواطن التي كان ابن جرير يرغب فيها عن بعض حروف ابن عامر، في المواطن التي كان ابن جرير يرغب فيها عن

---

(٥) محمد بن أحمد الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ج٢، ص٤٩٩.

(٦) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣٢٣هـ) ٥٠/١.

(٧) محمد بن الجزري. النشر في القراءات العشر (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ٤٦٣/١.

(٨) محمد أبو الفضل إبراهيم. مقدمة تحقيقه لتاريخ الطبري، ص١٧.



بعض حروف ابن عامر. وأياً كان الأمر، فقد ردّ ابن الجزري ذلك الطعن وعدّه من سقطات ابن جرير(٩). وذكر ابن الجزري أنه قد نقل عن ابن مجاهد طعن في ابن عامر، ولكنه وصف هذا النقل بأنه غير صحيح فقال: "وما نقل عن ابن مجاهد في ذلك فغير صحيح، بل قول ابن مجاهد: وعلى قراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل على قوتها"(١٠).

وقد عقد حسين عطوان في كتابه "القراءات القرآنية في بلاد الشام" فصلاً لنقد الطبري والزمخشري لقراءة ابن عامر. وعدّ هذا النقد أثراً من آثار العصبية الإقليمية والسياسية والعلمية بين أهل العراق وأهل الشام؛ إذ "لم يكن ابن جرير بعيداً عن هذه العصبية كل البعد"(١١)، فمن المحتمل أن تكون العصبية بين أهل العراق وأهل الشام، قد أثرت بعض التأثير، في موقفه من قراءة ابن عامر والطعن فيها(١٢). غير أن هذه الدعوى لا تقف أمام الاعتبارات الآتية:

١. إن ابن جرير لم يكن يردّ قراءة من القراءات لأنها قراءة شامية، ولا كان يقبل قراءة لأنها عراقية، نضرب لذلك مثلاً تشديد الذال في الآية الكريمة: "بما كانوا يكذبون"(١٣) فإنه ليس قراءة ابن عامر الشامي وحده، وإنما هي قراءة نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبي عمرو البصري. هؤلاء جميعاً يقرؤون بتشديد الذال. وقد رجح ابن جرير عليها القراءة بعدم تشديد

---

(٩) ابن الجزي: غاية النهاية، ٤٢٤/١.

(١٠) المرجع السابق، ص٤٢٤.

(١١) حسين عطوان. القراءات القرآنية في بلاد الشام (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢) ص٣٦٠.

(١٢) المرجع السابق، ص ٣٦٠.

(١٣) البقرة : ١٠.



الذال[١٤]. فلا يعقل أن يكون ابن جرير قد ردّ هؤلاء القراء جميعاً من أجل عصبية إقليمية أو سياسية. وقد كانت قراءة تشديد الذال في "يكذبون" أول دليل يذكره حسين عطوان، على أن ابن جرير يطعن في قراءة ابن عامر[١٥].

٢. قرأ أبو جعفر ونافع (المدنيان)، وابن كثير (المكي)، وأبو عمرو (البصري) وابن عامر (الدمشقي)، وحمزة (الكوفي): "ملك" بغير ألف في قوله تعالى "مالك يوم الدين". وقرأ عاصم والكسائي (الكوفيان)،ويعقوب (البصري)،وخلف البزار (البغدادي): "مالك يوم الدين"[١٦]. وقد رجّح الطبري القراءة الأولى وهي "ملك" بغير ألف، فقال: "وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول، وهي قراءة من قرأ (ملك) بمعنى الملك، لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجاباً لانفراده بالملك، وفضلة زيادة الملك على المالك، إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك، وقد يكون المالك لا ملكاً"[١٧].

فإذا كان رأي حسين عطوان أن يكون رد الطبري لتشديد الذال في (يكذبون) دليلاً على ردّه لقراءة ابن عامر (مع أنها ليست قراءته وحده)، أفلا يكون موافقاً لمنهج عطوان في النظر والاستنتاج، أن يتخذ تفضيل الطبري لقراءة (ملك) بدون ألف،دليلاً على أن الطبري يقبل قراءة ابن عامر؟ إن نقد الطبري لبعض حروف ابن عامر ليس دليلاً على رده للقراءة كلها.

---

(١٤) محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن، ٩٦/١.

(١٥) حسين عطوان، القراءات القرآنية في بلاد الشام، ص ٣٣٢.

(١٦) أبو بكر الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر. تحقيق سبيع حمزة حاكمي (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠) ص٨٦ .

(١٧) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٥٠/١.

إذن، فالطبري لم يكن يردّ تشديد الذال في (يكذّبون) لأنها قراءة ابن عامر، وأهم من ذلك كله،إذا كان يردها في حرف، ويقبلها في حرف، فهذا يعني ثلاثة أمور: أولها أن الطبري لا يرفض قراءة ابن عامر بإطلاق، كما ظن حسين عطوان. كيف لا، وهو الذي يقرّ بأن قراءة المسلمين جميعاً هي بعض ما نزل به القرآن؟ قال ابن جرير: "قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربي، وأنه نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها،وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم لبعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها"[١٨]. وثانيها: أنه لا علاقة للعصبية بهذه القضية، وثالثها: أنه كان يعامل قراءة ابن عامر كما كان يعامل غيرها، يقبلها في حرف،ويردها في حرف. وهي على كل حال بدعة لا تليق بأحد من أهل العلم.

٣. وأهم من كل ما سبق هو أن الطبري "من أهل طبرستان"[١٩]، وهذا يعني أن دعوى العصبية الإقليمية والسياسية لا تقدم دليلاً يستند إليه، ويطمأن إلى سلامته.

أخذ ابن عامر القراءة عرضاً وسماعاً، عن بعض من لقيهم من الصحابة والتابعين. فقد عرض على أبي الدرداء الصحابي الجليل[٢٠]، وعلى المغيرة بن أبي شهاب[٢١]. واختلف العلماء في مسألة أخذه عن ثالث

---

[١٨] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ١/٥٠.

[١٩] محمد بن أحمد الذهبي،تذكرة الحفاظ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ) ٧١/٢.

[٢٠] عامر بن ليلى الغفاري أحد الأنصار السابقين بالفضل، انظر ترجمته في ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص١٦.

[٢١] انظر: محمد بن غاية النهاية في طبقات القراء ٣٠٥/٢.



الراشدين عثمان بن عفان مباشرة، فقد نص ابن غلبون على أنه قرأ على عثمان[٢٢]. وأما ابن الجزري فقد وضع عدة احتمالات لهذه المسالة هي:

١. أنه سمع قراءة عثمان وهذا محتمل.
٢. أنه قرأ عليه بعض القرآن، وهذا ممكن.
٣. أنه قرأ على عثمان جميع القرآن، وهذا بعيد[٢٣]. ولحسين عطوان رأي آخر في المسألة أجمله في قوله: "ومن المستبعد أن يكون ابن عامر قد قرأ على عثمان، لأن ما بقي من أخباره لا يتضمن أنه رحل إلى المدينة، والتقى فيها بعثمان وقرأ عليه"[٢٤]. وهذا استدلال غير صحيح، لأن الذي يذهب إلى دمشق وعمره تسع سنوات ليأخذ عن أهل العلم فيها،لا يستبعد أن يكون قد رحل إلى الحجاز حاجاً أو معتمراً على الأقل.

---

(٢٢) طاهر بن غلبون. كتاب التذكرة في القراءات. تحقيق د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم (القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي،١٩٩٠) ٥٩/١.

(٢٣) ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ج١، ص٤٢٤.

(٢٤) حسين عطوان، القراءات القرآنية في بلاد الشام، ص٢٨٣.



٢. راويـا قراءتـه

رويت قراءة ابن عامر براويتين إحداهما رواية هشام بن عمار، والأُخرى رواية عبدالله بن ذكوان. وهذا تعريف بهذين الإمامين:

(أ) هشام بن عمار

هو أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي، إمام أهل دمشق، وخطيبهم، ومقرئهم، ومحدثهم، ومفتيهم. كان ثقة، عادلاً، ضبطاً، وكان مشهوداً له بالفصاحة والبيان، واسع العلم، كثير الرواية. ولد في خلافة المنصور، وكان ذلك في سنة ثلاث وخمسين ومائة. عرض القرآن على عراك بن خالد[٢٥]، وأيوب بن تميم[٢٦]، والوليد بن مسلم[٢٧]. وحدّث عنه هذا الأخير لجلال قدره. وأخذ عنه القراءة خلق كثيرون منهم أبو عبيد[٢٨] مع تقدمه.

وقد وثقه ابن معين وغيره، قال فيه ابن معين:"كيّس،كيّس"،وقال الدراقطني: "صدوق كبير المحل"، ووصفه عبدان بقوله: "ما كان في الدنيا مثله" وقال أبو زرعة الرازي: "من فاته هشام بن عمار يحتاج أن ينزل في عشرة آلاف حديث"[٢٩].

---

(٢٥) عـراك بـن خالد بن يزيد المري الدمشقي، شيخ أهل دمشق عصره، توفي قبل سنة مائتين. انظر: غاية النهاية، ٥١١/١.

(٢٦) أبـو سـليمان أيوب بن تميم التميمي، ضابط، مشهور، قرأ عليه ابن ذكوان، وروى القراءة عنه هشام بن عمار. انظر: غاية النهاية، ١٧٢/١.

(٢٧) أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقي، عالم أهل الشام،روى القراءة عن يحيى الذماري، وروى عن هشام مع أنه من شيوخه. انظر: غاية النهاية ٣٦٠/٢.

(٢٨) القاسـم بن سلام البغدادي، إمام مجتهد ولغوي فذ. له مصنفات كثيرة منها: الأموال. توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. انظر: تذكرة الحفاظ . ٤١٧/١.

(٢٩) محمد بن أحمد الذهبي. تذكرة الحفاظ،٤٥١/١.



وروى عنه البخاري الحديث في صحيحه، وكذلك أبو داود، والنسائي، وابن ماجه في سننهم. مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

(ب) عبدالله بن ذكوان

هو عبدالله بن أحمد بن بشر، قرشي الأرومة، دمشقي المنبت. انتهت إليه مشيخة الإقراء بعد أيوب بن تميم. أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم، وقرأ على الكسائي[٣٠] حين قدم الشام. روى القراءة عنه خلق كثيرون. قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه.

ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

٣. طـرقـه

طريقا هشام :

(أ) **الحلوانـي:** هو أبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني، أمام كبير، عارف صدوق، متقن، ضابط. قرأ بمكة والمدينة والكوفة وبغداد على أئمة القراءة وأعلامها، وقرأ عليه خلق كثيرون. وتوفي سنة خمسين ومائتين.

(ب) **الداجونـي:** هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الضرير الرملي، من الرملة بفلسطين، يعرف بالداجوني. إمام كبير، مشهور، ثقة. ارتحل في طلب القراءة. صنف كتابا في القراءات. توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

---

(٣٠) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، أحد القراء السبعة، وأحد أئمة النحو، وعلم من أعلام مدرسة الكوفة في النحو، أخذ عن حمزة بن حبيب، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. انظر النهاية، ٥٣٥/١.



طريقا ابن ذكوان:

(أ) **الأخفش:** هو أبو عبدالله هارون بن موسى بن شريك الأخفش الدمشقي، مصدر، ثقة، نحوي، شيخ القراء بدمشق. أخذ القراءة عن ابن ذكوان وهشام. صنف كتباً في القراءات والعربية، وإليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان. توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين، عن اثنتين وتسعين سنة.

(ب) **الصوري:** هو أبو العباس محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبي عمار الصوري الدمشقي، مقرئ مشهور، ضابط، ثقة. مات سنة سبع وثلاثمائة.

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر

يتفق ابن عامر مع سائر القراء في أداء بعض الظواهر الصوتية، ويختلف معهم في أداء بعضها الآخر. ولا يعنينا هنا أن نرصد وجوه الاتفاق والاختلاف، إذ ليست وجهة البحث في بحث ذلك ولا إليه. وقد تعددت وجوه الظواهر الصوتية في هذه القراءة، ولا بد لهذه الظواهر من أطر تنتظمها، حتى يسهل استخلاص القوانين الصوتية التي تحكمها. وقد عملت على جمع هذه الظواهر في الأطر الآتية: المماثلة، والإدغام، والحركات، وبنية المقطع. وفي ما يأتي تفصيل لهذه الظواهر.

أولاً: المماثلة

تكثر التغيرات الصوتية عند أداء بعض الأصوات في قراءة ابن عامر، لإحداث توافق صوتي بين صوتين أو أكثر، من أصوات الكلمة الواحدة، أو أصوات الكلمات المتجاورة. وحقيقة هذا التوافق تتمثل في أن يفقد أحد الأصوات ملمحاً من ملامحه الخاصة، ليتفق مع صوت مجاور، أو يكتسب ملمحاً من ملامح صوت مجاور. وفي ما يأتي أهم الظواهر التي تحكم عملية التغير، في قراءة ابن عامر، وأقدّم هذه الظواهر في قواعد محددة، ثم أتبع هذه القواعد بالتوضيح:

١. **قد تحقق الهمزتان المجتمعتان، فان تغيرت الثانية فللمماثلة**

التوضيح: الهمزتان المتعاقبتان إما أن تكونا في كلمة واحدة، كما في: "أأنت" و "أأنذرتهم"، وإما أن تكونا في كلمتين متعاقبتين، كما في: "أنبئوني بأسماء هولاء إن كنتم صادقين"[٣١] و "يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"[٣٢].

عرفنا أن ثمة روايتين عن ابن عامر هما: رواية ابن ذكوان، ورواية هشام.

---

(٣١) البقرة: ٣١.

(٣٢) البقرة: ٢٣١.



أما ابن ذكوان، فإنه يحقق الهمزتين قولا واحداً. وهنا لا بد من مناقشة الدعوى التي تقول إنه ليس من كلام العرب أن تلتقي الهمزتان فتحققا، وقد وردت هذه الدعوى عند إمام النحاة سيبويه رحمه الله، فهو الذي يقول: "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا"[٣٣]. وقد أخذ كثيرون من النحاة هذه المقولة عن سيبويه دون أن يتحققوا من صحتها. وربما كان أفضل ما يبين عدم صحتها قول سيبويه نفسه: "وأما الذين لا يخففون الهمزة فيحققونهما جميعاً، ولا يدخلون بينهما ألفاً "[٣٤].

فتحقيق الهمزتين، إذن، هو الأصل، والآخذ به آخذ بمسلك عربي سليم في الأداء.

وأما هشام فعنه روايتان، إحداهما تقول بإظهار الهمزتين جميعاً، وهذا هو الذي عليه ابن ذكوان، وأخراهما- عن هشام أيضاً- تُعامِل تعاقب الهمزتين على أحد وجهين:

الوجـــه الأول:

تسهيل الهمزة الثانية مع إدخال ألف بينهما[٣٥]. وهذا لا يكون إلا إذا كانت الهمزة الأولى مفتوحة. وقد تبين لنا ذلك،بعد أن قمنا باستقراء الأمثلة التي تسهّل فيها الهمزة الثانية، مع إدخال ألف،بحسب فهمهم. ومن هذه الأمثلة:

(أأنــت، أإذا، أأنذرتهم). والواضح أن الهمزة الأولى همزة استفهام. والحق أنـــه مـــن الناحية الصوتية لم يتم إدخال ألف، ولكن فتحة الهمزة الأولى أطيلت حتى أصبحت ألفاً، والذي دعاهم إلى القول بإدخال ألف بين الهمزتين هو الشكل الكتابي لا الناحية النطقية.

---

(٣٣) سـيبويه. الكـتاب. تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣) ٥٤٩/١.

(٣٤) المرجع السابق، ص٥٥١.

(٣٥) عـثمان الداني. التيسير في القراءات السبع. تحقيق أوتو برتزل (بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٨٥) ص ٣١-٣٤.



وهذا الوجه المروي عن هشام عربي سليم. قال سيبويه: "ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً إذا التقتا"[٣٦].

وقد تم هذا التغير الصوتي على مرحلتين هما: مدّ الفتحة حتى تصبح ألفاً، ثم تسهيل الهمزة الثانية. أما التسهيل فهو من الناحية الصوتية، وفي هذا السياق، حذف الهمزة الثانية، مع بقاء حركتها. ويؤيد هذا تعريفهم للتسهيل بأنه "أن تجعل (الهمزة) بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها"[٣٧]. ويظهر هذا واضحاً في الكتابة الصوتية:

'a/'i/d̲ā ⟵ 'ā/'i /d̲ā ⟵ 'ā / i / d̲ ā

ووجه المماثلة هنا، يظهر في حذف الصامت وهو همزة القطع الثانية، من أجــل إحــداث تماثل بين المقطعين الأول والثاني، فيكون التجاور بينهما ذا حد صائتي لا صامتي.

الوجـــه الثانـــي:

تحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما. إن التغيير الذي جرى في هذا الوجه، هو إطالة فتحة الهمزة الأولى، مع بقاء الهمزتين، كما في: أإنكم، أألقي، أإن، فقد قرأها هشام آإنكم، وآألقي، وآإن[٣٨]. وعربية هذا الوجه، واستقامته مع الاستعمالات اللغوية الفصيحة، أمر لا شك فيه، يقول سيبويه: "وأما أهل الحجاز فمنهم من يقول: آإنك، وآأنت، وهي التي يختار أبو عمرو"[٣٩]. ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة (١):

---

(٣٦) سيبويه، الكتاب، ٣/٥٥١.

(٣٧) عثمان الداني. التيسير في القراءات السبع، ص٣٤.

(٣٨) المرجع السابق، ص٣٢.

(٣٩) سيبويه. الكتاب، ج٣، ص٥٥١.



المعادلة (١)

ح [+أمامية، +ضيقة، +قصيرة] ← ح [+ أمامية، + واسعة، + طويلة] / ص [+حنجري، +وقفي] ـــــ ص [+حنجري، +وقفي]

"تحولت الفتحة (الحركة الأمامية الضيقة القصيرة) إلى ألف (الحركة الأمامية الواسعة الطويلة)، عندما كانت مسبوقة بهمزة (الصامت الحنجري الوقفي)، ومتبوعة بهمزة".

٢. **قد تتحول الهمزة إلى كسرة بسبب الكسرة التي قبلها**

التوضيح: الهمزة صوت صامت يتم إنتاجه بإغلاق الوترين الصوتيين إغلاقاً تاماً[٤٠]. ويتخذ اللسان وضعاً مقارباً للوضع الذي يتخذه عند إنتاج الفتحة أو أي حركة أخرى من الحركات. ولهذا، فإنه إذا لم يتم قفل الوترين الصوتيين بصورة تامة، كان الصوت الناجم عن ذلك حركة لا همزة القطع. وإذن، فتحول الهمزة إلى حركة مناسبة للحركة التي قبلها، أمر وارد من الناحية الصوتية. وهذا هو الذي يحدث في قراءة ابن عامر، فقد ذكر ابن مجاهد[٤١] أن ابن عامر قرأ: "أنبيهم بأسمائهم" بكسر هاء "أنبيهِم". وللمماثلة في هذا الحرف وجهان، أما الوجه الأول فيتمثل في قلب الهمزة كسرة، وتجتمع الكسرتان فتصبحان حركة مدّ هي الياء، هكذا: أنبئهُم ←—— أنبـــ ـِ ـِ هـــ ـُ م وتمثل المعادلة (٢) هذا التحول:

---

(٤٠) كمال بشر. علم اللغة العام– الأصوات (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠) ص٦٩.

(٤١) ابـــن مجـــاهد. السبعة في القراءات. تحقيق د. شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠ هـــ) ص١٥٤.



المعادلة (٢)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← ح [+ أمامية، + ضيقة] / ح [+ أمامية، + ضيقة] ـــــ

ويتمثل الوجه الثاني في كسر هاء "أنبيهم" لتناسب الياء، فالتماثل هنا بين صائتين (الكسرة والياء). وهذا خلاف قراءة من قرأ بضم الياء في "أنبيهم"، فالمماثلة هناك قائمة بين صامت وصائت "الهاء والضمة"، فالهاء والضمة صوتان خلفيان، فغلب التماثل بينهما– وهو الأصل – على التماثل بين الصائتين في "أنبيهم " بكسر الهاء. وهذا أيضاً خلاف ما نسب إلى ابن عامر أنه قرأ "أنبئهم" باثبات الهمزة وكسر الهاء[٤٢]، وعل أساس النسبة هذه إلى ابن عامر، فالمماثلة قائمة بين الكسرتين "كسرة الباء وكسرة الهاء" على الرغم من وجود الهمزة فاصلاً بينهما.

٣. قد يبدل الصائت همزة لاحداث مماثلة صوتية

التوضيح: عرفنا أن طبيعة الهمزة تجعلها صالحة للتحول إلى صائت. وقد عرفت العربية تحول الصائت إلى همزة، بل هو فيها كثير، فبعض صور الإعلال من هذا القبيل. من ذلك أن الياء في (بناي) تصبح همزة: (بناء)، وأن الواو في (سماو) تصبح همزة كذلك: (سماء). وما هذا إلا بسبب الطبيعة النطقية للهمزة.

وفي بعض اختيارات ابن عامر ما يوافق هذه التحولات الصوتية. فابن مجاهد يذكر عنه ثلاث قراءات في "هيت لك"[٤٣] هي : "هَيْتَ لك" و "هِيتَ لك"

---

(٤٢) المرجع السابق، ص١٥٤.

(٤٣) يوسف: ٢٣.



و "هِئْتُ لك"[٤٤]. والقراءتان الأخيرتان مرويتان عن هشام بطريقين مختلفتين.
فاذا جعلنا "هَيْتَ لك" هو الأصل،اطرد تفسير قراءات ابن عامر الثلاث، وذلك على نحو ما هو مبين في الخطوات الآتية:

(أ) تتحول الفتحة في "هَيْت" إلى كسرة، لتناسب الياء، فتصبح الكلمة "هِيتَ". وتمثل هذه المرحلة البنية التي قبل البنية السطحية. ويتم تمثيلها بالكتابة الصوتية هكذا:

hiyta ⟵ hayta

(ب) تتحول الياء (نصف الحركة) إلى همزة، فتصبح الكلمة "هِئْتَ". وهذا يفسر القراءتين الأخيرتين المرويتين بطريقين مختلفين عن هشام عن ابن عامر.

وقد أدرك العكبري حقيقة هذا التحول، فقال وهو يفسر كسر الهاء، وسكون الهمزة، وفتح التاء في "هئت": "والأشبه أن تكون الهمزة بدلا من الياء"[٤٥]. وهو صحيح، غير أننا نراه ينطبق على "هئتَ" و"هئتُ" معاً؛ إذ ليس بينهما فرق من حيث إبدال الياء همزة. فالفرق بينهما آت من جهة حركة التاء، وذلك أمر خلاف موضوع مناقشتنا.

(ج) تتحول الياء (نصف الحركة) إلى كسرة، لتناسب الكسرة التي قبلها. وهذا يتم تمثيله صوتياً كما يأتي:

hiita ⟵ hiyta

---

(٤٤) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٣٤٧.

(٤٥) عبدالله بن الحسين العكبري. إملاء ما منّ به الرحمن. تحقيق إبراهيم عطوة عوض (القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، ١٩٦٩)، ٥١/٢.



ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة (٣)

المعادلة (٣)

+ ١/٢ حركة + أمامية	←	+ حركة + أمامية + ضيقة	/	+ حركة + أمامية + ضيقة	ــــــ

وهذا يفسر الرواية الأصلية المروية عن ابن عامر، وهي "هيت" بياء مدّ بعد الهاء. ووجه المماثلة هنا واضح، وهو جعل نصف الحركة حركة، لمماثلة الحركة التي قبلها وهي الكسرة، أي أن المماثلة هنا بين صائت وصائت، بعكس المماثلة في "هئت"، فإنها بين صامت وصامت، إذ إن الهاء صوت خلفي، والهمزة صوت خلفي كذلك، وهما جميعاً من الحنجرة.

٤. قد تتحول الضمة إلى كسرة لمناسبة الياء

التوضيح: تشير هذه القاعدة بشكل خاص، إلى تحول ضمة فاء جمع التكسير الذي على وزن "فعول"، مما عينه نصف حركة، إلى كسرة، وذلك مثل: "بيوت، وشيوخ، وعيون، والغيوب، وجيوبهن" فقد قرأها ابن عامر وغيره[٤٦] بكسر الباء في الأولى، والشين في الثانية، والعين في الثالثة، والغين في الرابعة، والجيم في الأخيرة. وقد ذهب بعضهم في تفسير هذا التحول الصوتي، إلى أن العرب "استثقلوا الضمة في الباء وبعدها ياء مضمومة، فيجتمع في الكلمة ضمتان بعدهما واو ساكنة، فنصير بمنزلة ثلاث ضمات، وهذا من أثقل الكلام،

---

(٤٦) وهـم: ابـن كثير، وحمزة، والكسائي. انظر: عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة. حجة القراءات. تحقيق سعيد الأفغاني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢) ص١٢٧.



فكسروا الباء لثقل الضمات،ولقرب الكسر من (الياء)، وكذلك الكلام في "الغيوب"، و "جيوبهن"، و "شيوخاً"[٤٧].

والتوجيه السابق فيه استيعاب لحقيقة التغير الصوتي، المتمثل في تحويل الضمة في هذه الجموع إلى كسرة، اللهم إلا تصوره في أن للياء ضمة تسبق الواو الساكنة في "بيوت" وشبهها. وهذا جار على تصور علماء العربية المتقدمين في أن كل حركة من الحركات الطوال (حروف المد) تكون مسبوقة بحركة قصيرة من جنسها، فالألف في كلمة (جاء) مسبوقة بفتحة، والياء في (قيل) تكون مسبوقة بكسرة، والواو في (بيوت) تكون مسبوقة بضمة. وهذا من الناحية الصوتية لا وجود له، وتصوره قائم على أساس غير موجود. غير أن صعوبة النطق تتمثل في أن "بيوت" بضم الباء، يتعاقب فيها ثلاثة أصوات متباينة، من حيث وضع اللسان عند نطقها،فضمة الباء صوت خلفي، لأن اللسان يرتد إلى الخلف عند نطقها. وأما الياء فهو صوت أمامي؛ لأن موضع نطقه الحنك الصلب، والواو صوت خلفي، وبذلك تكون الياء قد انحصرت بين صوتين خلفيين، مع كونها مخالفة لهما من حيث إنها صوت أمامي. وبكسر الباء يصبح الصائتان الأول والثاني أماميين، وهذا هو وجه المماثلة.

ومن الغريب أن بعض العلماء ما زالوا يتمسكون بالتصور الذي يقول بوجود حركات قبل حروف المد، وحجتهم أن الألف وأخويه من حروف المدّ سواكن[٤٨]. فمن أين يمنح الساكن حرفاً ساكناً قبله شيئاً من حركة؟ وكيف يلتقي ساكنان فتكون لأحدهما حالة من حالات الحركة؟

---

(٤٧) عبد الرحمن بن زنجلة. حجة القراءات، ص١٢٧.

(٤٨) جلال الحنفي. قواعد التجويد والإلقاء الصوتي (وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٧) ص١٢.



وحسبنا أن نأخذ في هذه المسألة بـــرأي ابن جني[٤٩]، وهو رأي سديد، موافق للقواعد العلمية في الأصوات، يقول ابن جني: "فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنهن توابع للحركات، ومتنشّئة عنها، وأن الحركات أوائل لها، وأجزاء منها،وأن الألف فتحة مشبعة،والياء كسرة مشبعة،والواو ضمة مشبعة. يؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف، وتشبع الضمة فتتولد بعدها واو"[٥٠]. وذكر ذلك في موطن آخر، فقال:

"اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو... فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الضمة الواو الصغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"[٥١].

يمكن تمثيل تحول الضمة إلى كسرة في "بيوت" وأشباهها بالمعادلة (٤):

<u>المعادلة (٤):</u>

ح [+ خلفية، + ضيقة] ← ح [+ أمامية، + ضيقة] / ــــ ح ١/٢ [+ أمامية]

---

(٤٩) عثمان بن جني الموصلي النحوي، من أشهر أئمة اللغة، من أشهر كتبه: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، صحب أبا علي الفارسي، انظر: ترجمته في: إنباه الرواة، ٣٣٥/٢.

(٥٠) عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب. تحقيق د. حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، ١٩٨٥) ص٢٣.

(٥١) المرجع السابق، ص١٧- ١٨.



٥. قد تتحول الهمزة إلى صائت لتماثل نصف حركة

التوضيح: تفسّر هذه القاعدة تحول الهمزة في (سوء) إلى نصف حركة، في قراءة ابن عامر. فهذه الهمزة تتحول إلى واو، ثم تقصر واو المد الأولى، وتدغم الحركة الناجمة عن هذا التقصير في الواو (نصف الحركة) المنقلبة عن همزة. وهذا يعني أن العملية قد تمت في ثلاث مراحل، هي:

١. تحول الهمزة إلى صائت ملائم للحركة التي قبلها، وهي واو المد. وهذا يمكن تمثيله بالمعادلة (٥).

٢. **المعادلة (٥) :**

$$\text{ص} \begin{bmatrix} +\ \text{حنجري} \\ +\ \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow \frac{١}{٢}\ \text{ح} \,/\, \text{ح}\ ____$$

٢. **يشمّ آخر الحركة الطويلة بنصف الحركة التي من جنسها.**

وهذا يمكن تمثيله بالكتابة الصوتية الآتية:

uu ⟶ uw

٣. **يدغم الصائتان الناجمان عن المرحلة السابقة.**

وهذا النوع من المماثلة، أعني تحول الهمزة إلى صائت، ينطبق على الهمزة الأخيرة من كلمة "لؤلؤ" في قراءة ابن عامر برواية هشام. وينطبق كذلك على كلمة "قروء"، بل ينطبق على الهمزة في "بريء" و "النسيء". فإن كان الساكن زائداً لمدّ، وكان ياء أو واواً، أبدلاً: الهمزة مع الياء ياء، ومع الواو واواً، وأدغم ما قبلها فيهما نحو قوله: (برئ والنسيء وثلاثة



قروء) وشبهه. والروم والإشمام جائزان في الحرف المتحرك بحركة الهمزة"[٥٢].

ثانياً : الإدغام

الإدغام في حقيقته الصوتية، دمج صوت في صوت مقارب له في موضع النطق، مع اختلاف بينهما في بعض السمات والملامح الصوتية، حتى يظهر الصوت المدغم، وكأنه صوت مماثل للصوت الذي أدغم فيه، فيظهر الصوتان وكأنهما صوت واحد مشدّد. وعلى ذلك فالإدغام يقتضي:

١. وجود صوتين متقاربين في المخرج، فإذا كانا متماثلين فالنحاة والقراء على أنه إدغام، إذ تمّ دمج الصوتين معاً لينتج عنهما نطق واحد، فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة. ومن وجهة نظر علم الأصوات، فإن الادغام يتم لإحداث مماثلة كلية أو جزئية بين صوتي الإدغام، ولذلك يفقد أحد الصوتين المتماثلين بعض ملامحه، فلا إدغام- على وجه الحقيقة- بين اللام واللام في مثل: الّذي، لأن أحداً منهما لن يفقد شيئاً من ملامحه وسماته.

٢. الاختلاف في بعض السمات والملامح بين صوتي الإدغام، كأن يكون الصوت المدغم وقفياً، والصوت الآخر استمرارياً مثل: (قد سَّمع)، بإدغام الدال في السين. وقد يحدث العكس. وقد يدغم صوت مرقق في صوت مفخم كما في (بسطت)، أو أن يدغم صوت مجهور في صوت مهموس مثل: (قد تّبين). غير أن الاختلاف بين اللام وأختها اللام ليس له وجود. ولهذا فنحن لا نرى إدغاماً في كلمة (الليل) ولا (ردّ) ولا (عدّ). وإذا سميناه إدغاماً، فباعتبار ما عليه تسميته في كتب النحو والصرف والقراءات.

والذي نراه أن هذا اللون من (الادغام)، إنما هو من قدرة العربية الفذة على تعيين موقع من مواقع النبر في الكلام، فيكون هذا النبر جزءاً من الكلمة التي

---

(٥٢) عثمان الداني. التيسير في القراءات السبع، ص٣٨.



فيها تضعيف، فالنبر هنا جزء من بنية الكلمة، لا مجرد تقدير يختلف من شخص إلى آخر، ولا هو مجرد نبرة توضع فوق مقطع لتنبه القارئ إلى موضع النبر.

ولا شك أن الإدغام الكامل يهدف إلى ذلك أيضاً،كما في (قد تَبين). ويجوز تصور عدم وقوعه في هذا المثال، إذ يمكن ألا يدغم القارئ الدال في التاء، فيتغير موقع النبر. لكن القارئ أو المتكلم ليس مختاراً في أن يضعف الدال في (ردّ). وقد أدرك سيبويه العلاقة بين الادغام وحقيقة النبر فقال: "وكلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن، وإن شئت بينت"[٥٣]. وما ذلك إلا لأن توالي مقاطع مفتوحة قد يضيع موضع النبر الحقيقي، وقد يجعله محل خلاف كبير بين اللهجات، ولكن الإدغام يحدّ من ذلك ويقيده.

لقد استقرأت مواطن الإدغام في قراءة ابن عامر، في مظانّها من كتب القراءات، وانتهيت إلى استخلاص القواعد التي توضحها، وهذا بيان ذلك:

٦. **إذا أدغم التنوين أو النون بصامت أو نصف حركة فالادغام بغنة للتأنيف.**

التوضيح: يتفق ابن عامر مع سائر القراء، في أنه يدغم التنوين والنون بالياء (نصف الحركة) بغنة مثل : "ومن يعمل من الصالحات"[٥٤]. ولكنه يخالفهم في أنه يجعل الادغام بغنة، حتى مع اللام كما في: "هدى للمتقين"[٥٥] و "فإن لم تفعلوا"[٥٦]، ومع الراء كما في: "من ربهم"[٥٧]، و "ثمرة رزقا"[٥٨]. والغنة ليست في حقيقتها الصوتية إلا تأنيفاً لبعض الأصوات. والتأنيف هذا ناجم عن إخراج تيار الهواء من الحجرتين الأنفية والفموية في وقت واحد. وهذا هو الفرق

---

(٥٣) سيبويه، الكتاب. ٤٣٧/٤.

(٥٤) النساء: ١٢٤.

(٥٥) البقرة: ٢.

(٥٦) البقرة: ٢٤.

(٥٧) البقرة :٤.

(٥٨) البقرة :٢٥.

الأساس بين الأصوات الأنفية nasals التي يخرج تيار الهواء عند نطقها من الحجرة الأنفية فقط، والمؤنفة nasalized وهي التي يتم نطقها على نحو ما وضحنا. وقد أشار بعض اللغويين المعاصرين إلى أن الحجرة الأنفية تكون حجرة رنين للأصوات المؤنفة(٥٩). ونزيد على بيان الفروق الموجودة بين الأصوات الأنفية والمؤنفة فرقاً آخر، وهو أن كمية تيار الهواء التي تخرج من الحجرة الأنفية، تكون أقل من كمية تيار الهواء التي تخرج من الحجرة الفموية عند نطق الأصوات المؤنفة.

والغنة في قراءة ابن عامر عند إدغامه النون أو التنوين في اللام أو الراء، تجعل للصوت نسقاً إيقاعياً خاصاً. هذا،والمعادلة (٦) تمثل تحول الصوت الأنفي إلى مؤنف:

<u>المعادلة (٦)</u>

ص [+ أنفي] ← ص١ [+ مؤنف] / ــــــ ص١

وهنا يتحول الصامت الأنفي إلى صامت مؤنف، عندما يكون متبوعاً بنفس الصامت. ولذلك رمزنا للصامت بأنه (ص١) في طرفي المعادلة.

٧. تدغم الذال في الأصوات الهلالية coronals لجعل المقطع الأول من مقطعي الادغام منبوراً.

التوضـــيح: تفســـر هذه القاعدة إدغام هشام ذال (إذ) في الأصوات الآتية: الـــتاء، والجـــيم، والدال، والزاي، والسين، والصاد. وهذه كلها أصوات هلالية، بمعنى أن موضع نطق كل واحد منها واقع في المنطقة التي تشبه الهلال، وهي

---

(٥٩) انظر: Dubois, Jean et al. Dictionnaire de linguistique (Paris : libraire larousse , 1973)P.372.



الجــزء الأمامي من الفك العلوي، من جذر الأسنان حتى مقدمة الحنك الصلب. والأصــوات الهلالية ليست هي الستة المذكورة فقط، ولكن ستة الأصوات هذه، هي الواردة في أول موقع من أية كلمة تأتي عقب (إذ) في القرآن الكريم.

ووجــه المماثلة في هذا الادغام، أن الذال يتحول إلى صوت هلالي مماثل للصــوت الهلالــي الذي يتبعه، وذلك كما في: "إذ تَّبرأ، وإذ جَّعلنا، إذ دخَّلوا، إذ زَّين، إذ سَّمعتموه، وإذ صَّرفنا". والمعادلة (٧) تمثل هذا التحول:

المعادلة(٧)

ص [+ بيأسناني، + احتكاكي، + مجهور] ← ص١ [+ هلالي] / —— ص١ [+ هلالي]

٨. **تدغم الدال في الأصوات الهلالية لجعل المقطع الأول من مقطعي الادغام منبوراً.**

التوضــيح: تفسر هذه القاعدة إدغام هشام دال (قد) في الأصوات الآتية: الــتاء، الجيم، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد،الضاد،الظاء. والعلة الصوتية التــي علــى أساســها يفسّر إدغام هشام للدال في هذه الأصوات هو أنها جميعاً أصوات هلالية، وأن الادغام يجعل المقطع الأول منبوراً. وأما عدم إدغامه دال (قــد) في الظاء في "لقد ظلمك" فهو الاختيار، واختيار وجه دون سائر الوجوه، أساس تشترك فيه القراءات القرآنية كلها.

هذا، و<u>المعادلة (٨)</u> تمثل هذا التغير الصوتي:

المعادلة(٨)

ص [+ وقفي، + لثوي، + مجهور] ← ص [+ هلالي] / —— ص١ [+ هلالي]

٩. تدغم تاء التأنيث في أصوات هلالية لجعل المقطع الأول من مقطعي الادغام منبوراً.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة إدغام ابن عامر تاء التأنيث في الأصوات الهلالية الآتية: الثاء، الجيم، الذال، الزاي، السين، الصادّ، الظاء، فقد قرأ بادغام تاء التأنيث في هذه الأصوات في كل من:

(كذبت ثمود، نضجت جلودهم، نزلت سورة، حصرت صدورهم، كانت ظالمة)، والمعادلة (٩) تبين هذه الحالة:

المعادلة (٩) :

[+ لثوي، + وقفي، + مهموس، + تأنيث] ← ص١ [+ هلالي] / ـــ ص١ [+ هلالي]

١٠. تدغم اللام الساكنة في الصامت الهلالي الذي يكون عقبها مباشرة، في أول الكلمة التالية، لجعل النبر على أول مقطع من مقطعي الادغام.

التوضيح: تدغم اللام في كل من (هل) و (بل) بالصامت الذي يتبعها في أول الكلمة التالية، إذا كان هذا الصامت واحداً من الأصوات الآتية:

التاء، والثاء، والسين، والزاي، والطاء، والضاد، والنون، ولذلك فقد أدغم هشام لام (بل) و (هل) في الصامت الهلالي الموجود في كل من: (هل تَّعلم، هل ثّوّب، بل سّوّلت، بل زّيّن، بل طّبع، بل ظّننتم، بل ضّلوا، هل نّدلكم). والمعادلة (١٠) تمثل هذا الإجراء الصوتي:

المعادلة (١٠)

ص [+ لثوي / + جانبي / + مجهور] ← ص١ [+ هلالي / .] / ـــــ ص [+ هلالي / .]

١١. تدغم الثاء في التاء لجعل المقطع الأول من مقطعي الادغام منبوراً .

التوضيح: أدغم هشام الثاء في التاء في كل من (لبثتم) و (لبثت) و (لبثت) و (أورثتموها)، ويتم تمثيل هذا بالمعادلة (١١).

المعادلة (١١)

[**+ بيأسناني / + احتكاكي / + مهموس**] ← [**+ لثوي / + وقفي / + مهموس**] / ـــــ [**+ لثوي / + وقفي / + مهموس**]

١٢. تدغم الباء في الميم والفاء لجعل أول مقطع من مقطعي الادغام منبوراً.

التوضيح: أدغم هشام بروايته عن ابن عامر، صوت الباء بالميم في "ويعذب من يشاء"[٦٠] وأدغم الباء في الفاء في "ومن لم يتب فأولئك"[٦١].

والمعادلة (١٢) تمثل هذا التغير الصوتي:

المعادلة (١٢)

[+ ش.ثنائي / + وقفي] ← [+ ش.ثنائي / − وقفي] / ـــــ [+ ش.ثنائي / − وقفي]

---

(٦٠) البقرة: ٢٨٤.

(٦١) الحجرات: ١١.



وأما عدم إدغامه الباء في الميم[٦٢] في "يا بني اركب معنا"فراجع إلى الاختيار.

ثالثاً : الحــركــات

تتفق قراءة ابن عامر مع سائر القراءات القرآنية، بوجود الحركات العربية الآتية فيها جميعاً: الفتحة المرققة، الفتحة المفخمة، الألف الرققة، الألف المفخمة، الضمة، واو المد، الكسرة، وياء المدّ. وتختلف عن بعض القراءات في أنها تحتوي على: الامالة، والاشمام، والكسرة المختلسة. وفي ما يأتي مناقشة لهذه الحركات التي تختلف فيها قراءة ابن عامر عن قراءات أخرى.

١. الإمـــــالة

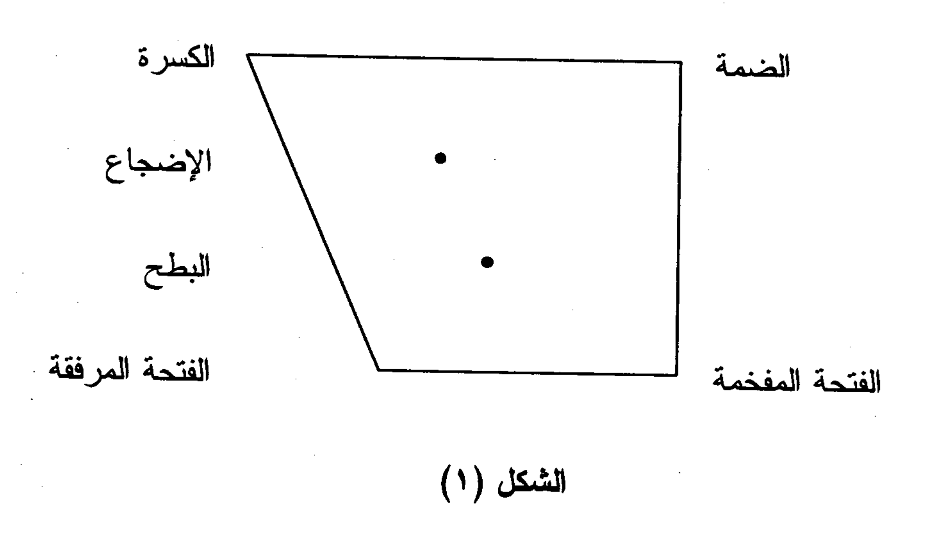
عرّف بعضهم الإمالة بقوله "الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء"[٦٣]. وهذا التعريف صحيح صوتياً. وتظهر حقيقة الامالة إذا عرفنا أن الحركات أمامية أو خلفية، وأنها ضيقة أو واسعة، وأن للحركات حدودا أفقية وعمودية، وأنها لا تتجاوز هذه الحدود، ولكنها ضمن هذه الحدود، يقترب بعضها من بعض، أو يبتعد بعضها عن بعض. فالكسرة هي الحد الأمامي العلوي للحركات، ولذلك توصف بأنها "أمامية ضيقة". والفتحة هي الحد الأمامي السفلي للحركات، ولذلك توصف بأنها "أمامية واسعة". وبين هاتين الدرجتين من العلو والنزول، درجات تمثل مقدار قرب الفتحة من الكسرة، وابتعادها عنها. وقد وجد علماء الأصوات أن أبرز درجتين بين الفتحة والكسرة هما الدرجتان اللتان تمثلان الثلث الأول والثلث الثاني، من المسافة الواقعة بين الفتحة والكسرة، فعند هاتين الدرجتين يتم إنتاج حركتين مختلفتين شائعتين في معظم لغات العالم،وإحدى هاتين الحركتين أقرب الحركتين إلى الكسرة، وقد سماها

---

(٦٢) هود: ٤٢.

(٦٣) محمد بن الجزري. النشر في القراءات العشر، ٢/٣٠.

علماء العربية "الإضجاع" وأخراهما أقرب إلى الفتحة، وقد سماها علماء العربية "البطح". وهذا واضح في الشكل (١).



الشكل (١)

وعلى ذلك يتبين لنا صحة ما ذهب إليه علماء القراءات وعلماء النحو، عندما نصوا على أن الامالة هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء. والبطح والاضجاع هما في الحقيقة درجتان من درجات الامالة، فالإضجاع أقرب إلى الكسرة، والبطح أقرب إلى الفتحة. وهاتان الدرجتان من الامالة عربيتان لا شك في ذلك، فالامالة لغة تميم، وقيس، وأسد. جاء في شرح المفصل "وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يسرون إلى الكسر من ذوات الياء"(٦٤) وعلى ذلك فالقراءة بهما جميعاً جائزة(٦٥).

ومن المؤسف أن بعض المعاصرين إذا ناقشوا مسائل في التراث اللغوي أو النحوي جاروا على المتقدمين، واشتدوا في النكير عليهم، بما ليس له وجه من الحق. فقد اشتد أحد الأساتذة الأجلاء، في النكير على تعريف العلماء العرب

---

(٦٤) ابن يعيش. شرح المفصل (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت) ٤٥/٩.

(٦٥) محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر،٣٠/٢.



للامالة، وهو التعريف الذي أوردناه ووضحنا صحته وسلامته، فقال: "وهو تعريف ينم عن جهلهم بحقيقة الصائتات، ذلك أنه لا يوجد فرق من الناحية الصوتية بين الفتح والالف إلا في كون صوت الأولى قصير (كذا!!)، وصوت الثانية طويل"(٦٦).

وحتى نضع الحق في نصابه نقول: إنه ليس في التعريف الذي كان محل (التجهيل) والتجريح أي خطأ من الناحية العلمية، فالقول إن الامالة هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالالف نحو الياء ليس فيه ما يدل على (الجهل) بحقيقة الصائتات، فهذا التعريف لا يعني من قريب ولا من بعيد عدم إدراك الفرق بين الفتحة والألف من حيث المستوى الكمي، الذي يتمثل هنا في الطول. وكيف لنا أن نَلْتام القوم وفيهم من يقول: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين... فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو... وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"(٦٧).

ولكن هذا لا يعني أن القوم لم يكونوا يخطئون، بل كانوا وكانوا ولكنهم معذورون في أنهم كانوا يعتمدون على النظر والتأمل، ولم يكونوا يعتمدون في دراسة الأصوات على أجهزة وآلات. وليس من الصواب أن نأخذ بما أخطؤوا في تقديره، ليكون محل تجريح وتجهيل. ومع ذلك ما زلنا نجد بين أفاضل العلماء في أيامنا هذه من يقول: "الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب أسفله"(٦٨) يحذو بذلك حذو القدماء. وهو فهم غير سليم، وتقليد غير مستقيم.

---

(٦٦) د. التهامي الراجي الهاشمي. بعض مظاهر التطور اللغوي. (الرباط: دار النشر المغربية، ١٩٧٨) ص٨١.

(٦٧) عثمان بن جني. سر صناعة الاعراب. ص١٧.

(٦٨) د. أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث (القاهرة: ١٩٦٥) ص ٢٠٤.



الإمالة – كما قلنا – تمثل صوراً من صور وضع اللسان بين الحركات العلوية الضيقة، والسفلية الواسعة. والفروق بين درجة وأخرى من درجات الامالة تتمثل في الترددات التي سنوضح الحديث عنها في ما يأتي:

عدد الترددات

* لدى دراسة عدد ترددات الكسرة، فالبطح، والاضجاع، على أحدث الأجهزة الصوتية وهو جهاز csl ، حصلنا على النتائج التالية:

١. ذبذبات الكسرة:

* في مستوى التردد الأول (F١) بلغ عدد ذبذبات الكسرة ٣٨٤ هرتز في كل ثانية.
* في مستوى التردد الثاني (F٢) بلغ عدد ذبذبات الكسرة ٢٢٤. هرتز في كل ثانية.

٢. ذبذبات الإضجاع:

* في مستوى التردد الأول (F١) بلغ عدد ذبذبات الإضجاع ٥٥٤ هرتز في كل ثانية.
* في مستوى التردد الثاني (F٢) بلغ عدد ذبذبات الإضجاع ١٨٤. هرتز في كل ثانية.

٣. ذبذبات البطح:

* في مستوى التردد الأول (F١) بلغ عدد البطح ٦٢٢ هرتز في الثانية.
* في مستوى التردد الثاني (F٢) بلغ عدد ذبذبات البطح١٧١٦ هرتز في الثانية.

وبتحليل هذه النتائج يتبين ما يأتي:

(أ) تتدرج الذبذبات في الزيادة في المستوى الأول من التردد (F١) من الكسرة (٣٨٤) هرتز، إلى الإضجاع (٥٤٤) هرتز، إلى البطح (٦٢٢)



هرتز. ولكن هذا لا يعني أن الكسرة أضعف من الامالة، إلا على مستوى التردد الأول فقط.

(ب) تتدرج الذبذبات في الانخفاض في المستوى الثاني من التردد (F٢) من الكسرة (٢٢٤٠) هرتز،إلى الإضجاع (١٨٤٠) هرتز، إلى البطح (١٧١٦) هرتز. وهذا يؤكد أن ترددات الكسرة أقوى من الإمالة وأشد.

(ج) قسنا الفرق بين التردد الأول والثاني فوجدناه كما يأتي:

في الكسرة ١٨٥٦ هرتز (٢٢٤٠- ٣٨٤).

وفي الإضجاع ١٢٩٦ هرتز (١٨٤٠- ٥٤٤).

وفي البطح ١٠٩٤ هرتز (١٧١٦-٦٢٢).

وهذا يعني أن الكسرة أشد وأقوى من الإمالة بقسميها.

(د) إذا أخذنا متوسط الترددين الأول والثاني وجدناه كما يأتي:

في الكسرة ١٣١٢ هرتز.

وفي الإضجاع ١١٩٢ هرتز.

وفي البطح ١١٦٩ هرتز.

هذه النتائج كلها توضح بما لا يقبل الشك، أن ترددات الكسر أقوى من ترددات الإمالة. وبذلك نعرف لماذا اختار العرب الإمالة، إنهم ينشدون بذلك تخفيفاً من الجهد المبذول في النطق.

وفي ضوء ما سبق، يتبين لنا أن الجنوح إلى الامالة له ما يسوغه، سواء أكان ذلك على المستوى اللهجي أم في قراءة ابن عامر، أم في أية قراءة أخرى من القراءات التي فيها إمالة.

نسب حسين عطوان إلى ابن عامر. أنه "كان يفتح كل الأفعال والأسماء المنتهية بألف عن ياء أو واو، ولا يميلها"[٦٩] وقد نقل عطوان هذه المقولة عن ابن مجاهد وابن الجزري. والحق أن روايتي ابن عامر (رواية هشام وابن

---

[٦٩] حسين عطوان، مرجع سابق، ص٢٨٩.

ذكوان) تميلان بعض الكلمات، فقد أفاد ابن الجزري أنه روي عن ابن ذكوان روايتان إحداهما رواية الصوري، وهي تميل كل ألف قبلها راء (ذكرى، وبشرى، وأسرى، والقرى، والنصارى، واشترى، ورأى، ويرى). والرواية الثانية بالفتح وهي رواية الأخفش[٧٠]. وروي عن ابن ذكوان إمالة: (أتى، ومزجاة، وبلى، ورمى)[٧١]. ورويت الامالة كذلك عن هشام. وقد روي عن هشام وجهان في (رأى) حيث وردت في القرآن الكريم[٧٢].

وإذن، فالامالة وعدمها مقبولان في قراءة ابن عامر. وما ذهب إليه ابن مجاهد في قوله: "وابن عامر يفتح ذلك كله"[٧٣] لا يزيد على أن يكون أخذا باحدى الروايات، وليس فيه ما ينفي الامالة عن قراءة ابن عامر.

الاشمام والرّوم

الاشمام والرّوم مصطلحان شائعان في كتب القراءات واللغة والنحو. وقد أطلق أولهما على عدد من المفاهيم يعنينا منها هنا ما يأتي:

١. مقابلته بالرّوم:

وهذا الاستعمال شائع جداً في مظانّ القراءات واللغة والنحو. أما حقيقة كل واحد منهما في اطار هذه المقابلة، فيوضحها الداني[٧٤] بقوله: "فأما حقيقة الروم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتاً خفياً يدركه الأعمى بحاسة سمعه. وأما حقيقة الاشمام فهو ضمك شفتيك بعد

---

(٧٠) محمد بن الجزري. النشر، ج٢، ص ٤٠.

(٧١) المرجع السابق، ص٤٢.

(٧٢) المرجع السابق، ج٢، ص٤٤، ٤٥.

(٧٣) ابن مجاهد. السبعة في القراءات، ص١٤٧.

(٧٤) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، من أهالي قرطبة، ولد سنة ٣٧١، رحل إلى القيروان ومصر. أخذ القراءات عن أئمة عصره ومنهم ابن غلبون، وله كتب كثيرة في القراءات. توفي سنة ٤٤٤ (غاية النهاية: ٥٠٣/١).



سكون الحرف أصلاً. ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى، لأنه رؤية العين لا غير، إذ هو ايماء بالعضو إلى الحركة"[٧٥].

وما يتحدث عنه الداني هنا، يشير إلى جعل الروم حركة مسموعة تلحق بصامت، فيميزها الأعمى،في حين يكون الاشمام مجرد حركة للشفتين في أثناء نطق صامت، فلا يميز الأعمى ذلك، لأن تدوير الشفتين مثلاً في أثناء نطق صامت لا يغير في نظرهم طبيعة هذا الصامت. ولا يستطيع الأعمى إدراك تدوير الشفتين من بسطهما؛ لأنه لا يبصر ذلك ولا يسمعه. وبيان ذلك في نظرهم أن الشفتين ستكونان مضمومتين عند النطق بالروم في كلمة (رجل)، بسبب كون الشفتين مضمومتين قبيل ذلك، أي عند نطق ضمة الجيم. فهذا إشمام وهو أضعف من الروم. وهذا شبيه لما جاء في اللسان: "وإشمام الحرف أن تشمه الضمة أو الكسرة، وهو أقل من روم الحركة،لأنه لا يسمع، وإنما يتبين بحركة الشفة... ولا يعتد بها لضعفها، والحرف الذي فيه الاشمام ساكن أو كالساكن، مثل قول الشاعر:

متى أنـــام لا يؤرقني الكـــرى   ليلاً، ولا أسمع أجراس المطيّ

قال سيبويه: "العرب تشم القاف شيئاً من الضمة، ولو اعتددت بحركة الاشمام لانكسر البيت"[٧٦].

وهنا لا بدّ أن نشير إلى أن الذي وضحناه في تحديد مفهومي الاشمام والروم هو مذهب البصريين. وأما الكوفيون، فانهم على نّقيض ذلك، فما اصطلح البصريون على تسميته إشماماً، سماه الكوفيون روما، وما اصطلحوا على تسميته روما، سماه الكوفيون إشماماً[٧٧].

---

(٧٥) عثمان الداني. التيسير في القراءات السبع، ص٥٩.

(٧٦) لسان العرب مادة (شمم).

(٧٧) أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث، ص٣٧٩.



٢. إشمام الحركات

إذا أشــمت الكسرة ضمة،كانت الحركة الناجمة عن ذلك حركة جديدة تجمع بين بعض خصائص الكسر، وبعض خصائص الضم، وهي لغة قيس وعقيل[٧٨]. وعلــى هذا،فإشمام الحركات العربية، قريب مما هو معروف في علم الأصوات بالحــركة المعيارية الثانوية الأولى. ولا يوجد فرق بين الكسرة والإشمام إلا في تدويــر الشــفتين عند نطق الإشمام، وعدم تدويرهما عند نطق الكسرة. وحقيقة نطق هذا النوع من الإشمام، تتمثل في أن يتقدم اللسان إلى الأمام، كوضعه الذي يكــون علــيه عند نطق الكسرة، وفي تلك اللحظة يتم تدوير الشفتين. وهذه هي الكيفية نفسها التي يتم بها نطق الحركة المعيارية الثانوية الأولى.

وهذا النوع من الإشمام (أي الدمج بين بعض خصائص الكسرة وبعض خصائص الضمة في النطق) موجود في قراءة ابن عامر، فقد صرح ابن الجزري بأن هشاماً وغيره قرأوا بإشمام الضم كسراً في: "قيل، وغيض، وجيء، وحيل، وسيق، وسيء، وسيئت)[٧٩]. أما ابن مجاهد[٨٠] فقد صرَّح بأن هشاماً كان يضم أول(سيق وسيء، وسيئت، وحيل، وغيض وجيء، وقيل)[٨١]. ولكن ابن مجاهد نفسه يذكر أن أبن ذكوان يستثني من الإشمام (غيض، وجيء، وقيل)

---

(٧٨) محمد المحيسن. المهذب،٤٨/١.

(٧٩) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ٢٠٨/٢.

(٨٠) أبــو بكــر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، ولد سنة ٢٤٥هــ، وهو من أعظم علمــاء القــراءات. أخــذ عــن شيوخ عصره عرضاً وسماعاً، فقد عرض على ابن عــبدوس، وقنــبل والأشناني. توفي سنة ٣٢٤ هــ، وله كتاب السبعة في القراءات. (غاية النهاية ١٣٩/١).

(٨١) ابن مجاهد. السبعة في القراءات، ص١٤٣.



فكان يكسر هذه الكلمات، ولا يشمها[٨٢]. وهنا ينبغي أن نتنبه إلى أن هشاماً لم يكن يشمّ (قيلا) في قوله تعالى "وأقوم قيلا"[٨٣]، مع أنه أشم (قيل).

٣. الحركة المختلسة

الحركة المختلسة حركة مختطفة، أي أنها أقصر من الحركة القصيرة، وبها قرأ هشام كسرة الهاء في (نولّه ونصله). ولكنه مع ذلك قرأ بتسكين الهاء في هاتين الكلمتين واشباعها فيهما. وهذه الوجوه المروية عن هشام، مروية عن ابن ذكوان أيضاً، وقد قرأ بها جميعاً. واختلاس الحركة ظاهرة لها وجود في العربية، وفي اللغات السامية، وهي في العبرية والسريانية ذات وجود ملحوظ.

رابعاً: بنية المقطع

تتشكل البنية المقطعية في قراءة ابن عامر باعتبارين مختلفين. أما الاعتبار الأول فهو الاطار المتفق عليه بين القراء في تشكيل المقطع. ولن نعرض هنا لهذا الاطار، لأنه ليس من أهداف الدراسة. وأما الاعتبار الثاني فهو الذي انفرد به ابن عامر، أو اتفق فيه معه بعض القراء لا جميعهم. وفي ضوء هذا الاعتبار يمكن أن نلحظ مواطن للتغيرات المقطعية في قراءة ابن عامر، وهذه بعضها:

١. قرأ ابن عامر "تَسَّوَّى بهم الأرض" بدلاً من "تُسَوّى"[٨٤]. والأصل في ذلك هو: "تتسوى". وهذا يعني أنه في قراءة ابن عامر، قد جرى تغيير صوتي ومقطعي، ذلك أن التاء الثانية قد حذفت، فأصبحت الكلمة "تَتْسَوى"، ثم أدغمت التاء الثانية في السين، فأصبحت على نحو ما تجري به تلاوتها في قراءة ابن عامر. وهذا لا شك تغيير واضح في البنية المقطعية، فبدلاً من أن تكون المقاطع هكذا: تَ / تَ / سَوْ / وى تصبح هكذا: تَسْ / سَوْ/

---

(٨٢) المرجع السابق، ص١٤٣.

(٨٣) المزمل: ٦.

(٨٤) النساء: ٤٢.

وى. وهنا يلحظ أن نهاية المقطع الأول هي السين، وبداية الثاني هي السين كذلك، ثم إن نهاية المقطع الثاني واو، وبداية الثالث واو كذلك. وهذا نوع من الايقاع الصوتي الذي تميزت به المقاطع العربية. وحسب قراءة ابن عامر أنها محل له في هذا الموطن.

ويــنجم عــن هــذا التغيير في البنية المقطعية، أن تصبح المقاطع الثلاثة منبورة، وإن كانت درجة النبر مختلفة من حيث الشدة من مقطع إلى آخر.

٢. قرأ ابن عامر "توله" بتسكين الهاء، واختلاس كسرتها، واشباعها. وهذا يعني أن المقطع الأخير في حال التسكين، سيتكون من: ص + ح + ص، وهذا هو المقطع المديد. وفي حال الكسر سيكون مكوناً من : ص + ح، وفي حال الاشباع سيتكون من : ص + ح + ح.

٣. قرأ ابن عامر كلمة (ميّت): (مَيْت)، بميم مفتوحة، وياء ساكنة. والتغير الصوتي الذي يحدث في هذا التحول، يجري على مرحلتين هما:

(أ) التحول من: مَيِّت إلى مَيــــِت (أي من ياء مشددة إلى ياء مكسورة من غير تشديد). ويمثل هذا بالكتابة الصوتية كما يأتي:

mayyit ⟵ mayit

وهذا واضح تمثيله في المعادلة (١٣)

<u>المعادلة (١٣)</u>

١/٢ ح [+ أمامية] ⟵ Φ / ح [+ أمامية + واسعة] ــــ ح [+ أمامية + ضيقة]

(ب) إسقاط كسرة الياء، كما هو واضح في الكتابة الصوتية:

mayt ⟵ mayit



وهذا يمكن تمثيله بالمعادلة (١٤):

<u>المعادلة (١٤):</u>

ح [+ أمامية، + ضيقة] ← Φ / ح ١/٢ [+ أمامية] ـــ ص [+ وقفي]

١. قرأ ابن عامر: "أوْ آباؤنا"[٨٥]، بإسقاط فتحة الواو في (أو)، وهذا هو الأصل. وهنا تتغير البنية المقطعية في حال الوصل، ذلك أن الفتحة لم تدخل على واو (أو) إلا في حال الوصل، فلما قرأها ابن عامر بالتسكين، كان معنى ذلك أنه يجعل البنية المقطعية لـــ (أو) في هذا المقام، وفي حال وصلها، كما يجعلها في حال الفصل، سواء بسواء.

٢. قرأ ابن عامر: "سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً"[٨٦]،بصرف "سلاسلاً". وقد كان علماء العربية يفسّرون هذا التصرف بأنه من باب إجراء التناسب بين "سلاسل" و "أغلال"، إذ لما صرفت هذه الأخيرة، صرفت الأولى لمناسبتها. قد يكون الأمر كذلك من حيث النسق الإيقاعي، ولكن الأمر من ناحية البنية المقطعية يتضمن أمراً آخر، وهو إغلاق المقطع الأخير في "سلاسلاً" بالتنوين. والتنوين صورة من صور إغلاق المقطع في العربية، وثمة صور أخرى منها: حذف الحركة الإعرابية عند الوقف، وإغلاق المقطع الأخير بهاء السكت.

---

(٨٥) الصافات: ١٧، والواقعة: ٤٨.

(٨٦) الإنسان: ٤.



الفصل الثاني

في قراءة ابن كثير

* **المطلب الأول: ابن كثير:**
  ١- حياته ودرايته.
  ٢- راويا قراءته.
  ٣- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير.**

ابـــن كثيـــر

أبو معبد عبدالله بن كثير المكي (ت١٢٠ هـ)

راويـــاه:

١. البزي: أبو الحسن أحمد بن محمد المكي (ت٢٥٠هـ).

٢. قنبل:أبو عمر محمد بن عبد الرحمن المخزومي المكي(ت٢٩١هـ).

طـرقـــه:

١. طريقا البزي:

(أ) أبو ربيعة: محمد بن إسحق الربعي المكي (ت٢٩٤هـ).

(ب) ابن الحباب: أبو علي الحسن بن الحباب الدقاق (ت٣٠١هـ).

٢. طريقا قنبل:

(أ) ابن مجاهد: أبو بكر أحمد بن موسى التميمي (ت٣٢٤هـ).

(ب) ابن شنّبوذ: أبو الحسن محمد بن أحمد البغدادي (ت٣٢٨هـ).

المطلب الأول

ابـــن كثيـــــر

١. حياته ودرايته

هو الإمام عبدالله بن كثير الداري، تابعي جليل، وإمام أهل مكة في القراءة، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة المكرمة سنة خمس وأربعين. وقد اختلف العلماء في نسبه، وسبب تسميته داريا، فقال بعضهم إنه كان "عطاراً والعرب تسميه دارياً، نسبة إلى (دارين)، موضع بالبحرين، يجلب منه الطيب،"[١] وذهب آخرون إلى أنه سمي بذلك، لأنه كان من بني الدار بن هانيء بن حبيب بن نمارة، من لخم رهط تميم الداري. وقيل: الداري الذي لا يبرح داره، ولا يطلب معاشاً[٢].

وقد اختلط الأمر على بعض العلماء، وهم يؤرخون له، ولرجل آخر اسمه عبدالله بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، وهو أحد قصّاص مكة، وكان معاصراً لابن كثير المقريء المكي. قال الذهبي وهو يؤرخ لهذا الأخير[٣]: "قيل لابن عيينة[٤]: رأيت عبدالله بن كثير؟ قال: رأيته سنة اثنتين

• نشـــر فـــي مجلـــة جامعة أم القرى سنة ١٩٩٤، ثم أشرفت على رسالة ماجستير في الموضوع نفسه في جامعة اليرموك للسيد علاء غرايبة سنة ١٩٩٧.

(١) محمد بن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق: ج. برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠)، ٤٤٣/١.

(٢) المرجع السابق، ٤٤٣/١.

(٣) الامام أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي. ولد في غوطة دمشق سنة ٦٧٣. تلقى العلم على أئمة عصره، له مؤلفات كثيرة قيل إنها تبلغ خمسة وستين كتاباً. توفي سنة ٧٤٨ هـ (غاية النهاية: ٧١/٢).

(٤) أبـــو محمـــد سفيان بن عيينة، محدث الحرم، ولد سنة ١٠٧ هـ، سمع من الزهري، وزيـــد بن أسلم، وعبدالله بن دينار، وعبدالرحمن بن القاسم وغيرهم، توفي سنة ١٩٨ هـ (تذكرة الحفاظ: ٢٦٢/١-٢٦٤).



وعشرين ومائة، أسمع قصصه وأنا غلام. وقد ذكر البخاري[٥] هذا القول في ترجمة مقريء مكة"[٦] انتهى قول الذهبي.

والحق أن البخاري انما ذكر ذلك[٧]، وهو يؤرخ لابن كثير القاص لا المقريء. بل إن البخاري لم يؤرخ لابن كثير المقريء ألبتّة. فهذا وهم وقع فيه الامام الذهبي رحمه الله. وقد ذكر الامام الذهبي، وهو يترجم لابن كثير المقريء في تهذيب التهذيب، أن البخاري نسب ابن كثير المقريء إلى بني الدار، فقال الذهبي: "وقول البخاري إنه من بني الدار وَهْم وانما هو سهمي"[٨]. والحق أن البخاري لم يقل إن أبن كثير المقريء من بني الدار، ولا قال إنه سهمي، بل إنه لم يترجم له كما قلنا. وأما قول الذهبي إن ابن كثير المقريء سهمي وليس دارياً فغير صحيح، إذ إن ابن كثير المقريء ليس سهمياً، ولا هو من بني الدار. وقد اختلط الأمر على الذهبي رحمه الله، إذ ظن أن البخاري كان يترجم للمقريء، وهو يترجم لعبدالله بن كثير بن المطلب بن وداعة السهمي، ومن هنا جاءت تخطئته للبخاري. وأما عدم ترجمة البخاري لابن كثير المقريء ففيه إشكال آخر؛ إذ ربما يكون البخاري قد ظن أن ابن كثير المقريء هو ابن كثير القاص. هذا،وقد التبس أمرابن كثير المقريء على علماء آخرين،فكثيرون منهم عندما ينسبونه يقولون "هو عبدالله بن كثير بن المطلب..."[٩] وابن المطلب هذا إنما هو

---

(٥) الامـــام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل صاحب الصحيح والتصانيف الكثيرة. كان رأساً في العلم والذكاء والورع والعبادة. توفي سنة ٢٥٦هـ (تذكرة الحفاظ: ١ /٥٥٥).

(٦) محمـــد بن أحمد الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد البجاوي (القاهرة: مكتبة البابي الحلبي،١٩٦٣)، ٢/٤٧٤.

(٧) محمـــد بن اسماعيل البخاري. التاريخ الكبير (الهند، دار المعارف العثمانية،١٩٥٨)، ١٨١/٥.

(٨) محمد بن أحمد الذهبي. التهذيب (الهند، دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦ هـ).

(٩) ابن الجزري. غاية النهاية ٤٤٣/١.



ابن كثير القاصّ لا المقريء. وهذا يؤكد ما قلته إن البخاري رحمه الله كان يؤرخ لابن كثير القاص، وهو يظن أنه يؤرخ لابن كثير المقرىء.

لقي ابن كثير عبدالله بن الزبير[١٠]، وأبا أيوب الأنصاري[١١] وأنس بن مالك[١٢]، وروى عنهم،وأخذ القراءة عرضاً عن عبدالله بن السائب[١٣].

وقد اختلفوا في تاريخ وفاته، فابن الجزري يذكر أنه مات سنة عشرين ومائة، وقد قطع القول بذلك فقال: "وتوفي ابن كثير سنة عشرين ومائة بغير شك"[١٤]. ولكن بعض العلماء يروي أن عبدالله بن إدريس الأودي[١٥] كان قد قرأ على ابن كثير. ومولد ابن ادريس كان في سنة خمس عشرة ومائة، فكيف تصح قراءته عليه لولا أن ابن كثير تجاوز سنة عشرين؟ وانما الذي مات فيها عبدالله ابن كثير القرشي، وهو غير القاريء"[١٦] أما ابن الجزري، فانه يرد مسألة

---

(١٠) عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأزدي الصحابي. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. كان أول مولود ولد من المهاجرين في المدينة، ولد في السنة الثانية، واستشهد سنة ثلاث وسبعين (غاية النهاية:١/٤١٩).

(١١) أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري. نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده. شهد الفتوح وقاوم الغزو. توفي في غزو القسطنطينية سنة ٥٠هـ، وقيل ٥٢هـ (الاصابة في تمييز الصحابة: ٢/٩٠).

(١٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه، روى القراءة عنه سماعاً، وقرأ عليه قتادة، ومحمد بن مسلم الزهري، توفي سنة ٩١هـ (غاية النهاية: ١/١٧٣).

(١٣) عبدالله بن السائب بن عبدالله بن السائب، أحد أئمة القراءة، وواحد من أشهر شيوخ ابن كثير. وثقه ابن معين وأبو حاتم (ميزان الاعتدال في نقد الرجال:٢/٤٢٦).

(١٤) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. تحقيق محمد علي الضباع. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١/١٢٠.

(١٥) عبدالله بن ادريس الأودي، الكوفي الحجة. أخذ عن نافع والأعمش. قال فيه أحمد بن حنبل: كان ابن ادريس نسيج وحده. توفي سنة ١٩٢هـ (غاية النهاية:١/٤٠٩).

(١٦) ابن خلكان. وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار الثقافة،١٩٧٠)٣/٤١.



قراءة الأودي على ابن كثير، ويقول: وهو غلط، فإن ابن كثير توفي بالاجماع سنة عشرين ومائة ومولد ابن إدريس سنة خمس عشرة ومائة"[١٧].

٣. راويا قراءته

قراءة ابن كثير من القراءات السبع المتواترة التي تلقتها الأمة بالتسليم والقبول جيلاً عن جيل. وأما راويا قراءته فهما:

(أ) **البزي:** وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن أبي بزة، من أهل همذان، ولد سنة سبعين ومائة. كان إماماً في القراءة، محققاً، ضابطاً، متقناً، انتهت إليه رياسة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من الأقطار، يأخذون عنه ويعرضون عليه. توفي سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة[١٨].

(ب) **قنبل:** وهو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد. ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وكان إماماً في القراءة، متقناً، ضابطاً، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، وكان من أجلّ رواة ابن كثير، وأوثقهم، وأعدلهم. وقُدّم البزي عليه لأنه أعلى منه سنداً، إذ هو مذكور في من تلقى عنهم قنبل. وكان على الشرطة بمكة، لأنه كان لا يليها إلا رجل من أهل الفضل والخير والصلاح، ليكون لما يأتيه من الحدود والأحكام على صواب. توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين عن ست وتسعين سنة[١٩].

---

(١٧) ابن الجزري. غاية النهاية، ٤٠٩/١.

(١٨) المرجع السابق: ١٢١/١.

(١٩) المرجع السابق: ١٦٥/١.



٣. طرقــه

طريقا البزّي

(أ) **أبــو ربــيعة:** هو أبو ربيعة محمد بن إسحاق بن وهب بن أعين الربعي المكي المؤدب، مقرئ جليل ضابط. وهو من كبار أصحاب البزي وقنبل وقدمائهم، وهو من أهل الثقة والعدالة. توفي سنة أربع وتسعين ومائتين.

(ب) **ابــن الحباب:** هو أبو علي الحسن بن حباب بن مخلد الدقاق البغدادي، شــيخ متصــدر مشهور، ثقة، ضابط، من كبار الحذاق. وهو الذي روى التهليل عن البزي. توفي سنة واحدة وثلاثمائة.

طريقــا قــنــبــل

(أ) **ابن مجاهد:** هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، الحافظ، أستاذ، شيخ الصنعة، وأول من سبّع السبعة. ولد سنة خمس وأربعين ومائتين. ذاع صيته واشتهر أمره، وفاق نظراءه. أخذ العلم عنه خلق كثيرون. وكان له في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس.

(ب) **ابن شنّبوذ:** هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنّبوذ، شيخ الإقراء في العراق، أستاذ كبير، ارتحل في طلب العلم والقراءة. وكان ثقة ضابطاً صالحاً. وكان يقرأ بالسبعة وبعض الشواذ، وحوكم بسبب قراءته بالشاذ. توفي سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة.

المطلب الثاني

الظواهـــر الصوتيـــة فـــي قراءة ابن كثير

تكثر الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير بصورة تدعو إلى التأمل. وسنجمع هذه الظواهر في أطر تنتظمها، وهي الأطر الآتية: المماثلة– حقيقتها وأقسامها، وقواعد المماثلة وأحكام الهمزة، والمماثلة بين الحركات، والإبدال والإدغام، والمخالفة، وتغير البنية المقطعية. وهذا بيان ذلك:

أولاً : المماثلة– حقيقتها وأقسامها

تعرّف المماثلة بأنها تأثر صوت بصوت مجاور، بحيث يكتسب منه بعض خصائصه وصفاته النطقية، أو يفقد الصوت المتأثر بعض خصائصه الأصلية، ليماثل بذلك أحد الأصوات المجاورة. فإذا كان التأثير واقعاً من صوت على صوت لاحق، كانت المماثلة تقدمية. وإذا كان واقعاً من صوت على صوت سابق له، كانت المماثلة رجعية.

وقد تجري المماثلة بين صوتين ليس بينهما فاصل، فتكون المماثلة مباشرة. وقد تجري بين صوتين بينهما فاصل، فتكون المماثلة غير مباشرة. وعلى ذلك، فالمماثلة أربعة أقسام:

١. المماثلة التقدمية المباشرة، وذلك مثل تحول تاء الافتعال (والتاء صوت مهموس) إلى دال (وهو صوت مجهور)، عندما تكون التاء هذه مسبوقة بصوت مجهور، هكذا مثلاً: (ازتان : ازدان).
٢. المماثلة التقدمية غير المباشرة، وذلك مثل تفخيم فتحة العين في (أطاع)، لكونها مسبوقة بصوت مفخم هو الطاء، مع وجود فاصل بينهما.
٣. المماثلة الرجعية المباشرة، وذلك مثل تحول السين في (بسطة) إلى صاد في قراءة ابن كثير، لتأثر السين بالطاء، مع عدم فاصل بينهما.



٤. المماثلة الرجعية غير المباشرة، وذلك مثل تفخيم الراء في (الخراصون)، لتأثرها بالصاد، مع وجود فاصل بينهما (وهو الألف).

ثانياً : المماثلة وأحكام الهمزة

تطــرأ على الهمزة في قراءة ابن كثير تغيرات كثيرة، بعضها مما له صلة بالمماثلـــة، وبعضها ليس له بها صلة. وسندرس في هذا المطلب التغيرات التي تطرأ على الهمزة من قبيل المماثلة. وهذه هي القواعد الصوتية التي تحكمها:

القاعدة (١)

تسقط الهمزة المفردة إذا كانت محصورة بين صائتين، لإحداث مماثلة صوتية.

التوضيح: إذا كانت همزة القطع المفردة محصورة بين صائتين، فإن هذه الهمزة تسقط في قراءة ابن كثير. ويكون ذلك في أحد الموقعين الآتيين:

١. إذا كانت الهمزة محصورة بين حركتين خالصتين.
٢. إذا كانت محصورة بين حركة + نصف حركة.

أما الموقع الأول فمن أمثلته في قراءة ابن كثيــــر: "يُضاهُون قول الذين كفروا"[٢٠]، بدلاً من قراءة من قرأ: "يُضاهِئُون". والتغير الصوتي الذي تم هنا، إنما يتصور حدوثه- من وجهة صوتية معاصرة- على خطوتين هما:

الخطوة الأولى: الانتقال من البنية الأولى (يُضاهِئُون) إلى البنية الثانية (يضاهِون)، وذلك بحذف الهمزة، والإبقاء على كسرة الهاء، وواو المد. وفي هذه المرحلة، يظهر سقوط الهمزة لإحداث مماثلة بين حدّي المقطعين [هِـ] [و]، فآخر أولهما كسرة، وثانيهما مُستَهَلّه ضمة طويلة (واو المد). والكسرة والضمة حركتان ضيقتان. والمعادلة (١) تمثل التغير في هذه الخطوة.

---

(٢٠) التوبة : ٣٠.

المعادلة (١) :

ص [+ حنجري، + وقفي] ← Φ / ح [+ أمامية، + ضيقة] ــــــ ح [+ خلفية، + ضيقة، + طويلة]

وتقرأ المعادلة كما يأتي: "سقطت الهمزة (الصامت، الحنجري، الوقفي) في موقــع كانت محصورة فيه بين الكسرة (الحركة، الأمامية، الضيقة)، وواو المد (الحركة، الخلفية، الضيقة، الطويلة).

الخطوة الثانية: الانتقال من البنية قبل الفوقية (يضاهِون)، إلى البنية الفوقية (يضاهُون). وفي هذه الخطوة تسقط الكسرة، لكونها محصورة بين صوتين خلفيين هما الهاء (وهي صامت حنجري)، وواو المد. ووجه المماثلة في هذه المرحلة،هو أن الكسرة، وهي صوت أمامي، تسقط لتفسح مجالاً للتقارب والتماثل بين الصوتين الخلفيين (الهاء والواو) أن يأخذا مكانهما. المعادلة (٢) تمثل التغير في هذه المرحلة.

المعادلة (٢) :

ح [+ أمامية، + مغلقة] ← Φ / ص [+ حنجري، + احتكاكي] ــــــ ح [+ خلفية، + ضيقة، + طويلة]

وأما الموقع الثاني الذي تحذف منه الهمزة المفردة، فمن أمثلته في قراءة ابن كثير: "لا يايَس من روح الله إلا القوم الكافرون"[٢١]، بدلاً من قراءة من قرأ

(٢١) يوسف: ٨٧.

(ييْأَس). ومن أمثلته كذلك (استايَسوا)[٢٢]. وهما لهجتان عربيتان فصيحتان شائعتان.

ويمكن القول إن الانتقال من (ييأس) إلى (يايس)، يتم تصوره على خطوتين هما:

الخطوة الأولى: وفيها يتم الانتقال من البنية العميقة (ييأس)، إلى البنية قبل الفوقية (ييَس)، أي بسقوط الهمزة مع بقاء حركتها. والذي يحدث في هذه الخطوة أن الهمزة تسقط، لكونها محصورة بين حركتين، فتصبح الكلمة (ييَس). وتحدث بين المقطعين درجتان من التماثل بسقوط الهمزة، فقد أصبحت الياء التي هي صوت انزلاقي في مستهل كل واحد من المقطعين (يا / يَس) بدلاً من (يَيْ / أَس). ثم صارت نهاية المقطع الأول حركة، وبداية المقطع الثاني صوتاً انزلاقياً، وهذا من ذاك قريب من قريب. ويمكن تمثيل ما يحدث في هذه الخطوة بالمعادلة (٣).

<u>**المعادلة (٣)**</u>

ص [+ حنجري / + وقفي] ← Φ / ح [+ أمامية] ــــ ح [+ أمامية / + واسعة]

الخطوة الثانية: وفيها يتم الانتقال من البنية قبل الفوقية (ييَس) إلى البنية الفوقية (يايس)، وذلك بإحداث صورة من المماثلة بين المقطعين، إذ أصبح المقطع الأول (يا) بدلاً من (يَ)، أي أنه أصبح مقطعاً طويلاً مفتوحاً، وذلك من أجل إحداث تناسب بين كمية المقطع الأول والمقطع الثاني، الأمر الذي يؤدي إلى إيجاد نسق إيقاعي بين المقطعين. فوَجْه المماثلة في هذه الخطوة يتمثل في إحداث تناسب في كمية هذين المقطعين.

---

(٢٢) يوسف: ٨٠.



القاعدة (٢)

عــند اجــتماع همزتيــن في مقطعين متتابعين، فإن إحداهما تسقط أو تتحول إلى نصف حركة لإحداث مماثلة صوتية.

التوضيح: إذا اجتمعت همزتان في مقطعين متتابعين، فإما أن تكونا متفقتين، وإما أن تكونا مختلفتين. أما المتفقتان فعلى ثلاثة أقسام هي[٢٣]:

١. المتفقتان بالفتح مثل : "فقد جاءَ أشراطهاً[٢٤].

٢. المتفقتان بالكسر مثل: "هؤلاء إن كنتم صادقين"[٢٥].

٣. المتفقتان بالضم مثل: "أولياءُ أُولئك"[٢٦].

وأما المختلفتان فعلى خمسة أقسام هي[٢٧].

١. مفتوحة ومضمومة مثل: "جاءَ أُمة رسولها" [٢٨].

٢. مفتوحة ومكسورة مثل: "حتى تفيء إلى أمر الله"[٢٩].

٣. مضمومة ومفتوحة مثل: " يا سماءُ أقلعي"[٣٠].

٤. مكسورة ومفتوحة مثل: "هؤلاءِ أهدى"[٣١].

٥. مضمومة ومكسورة مثل: "ولا يأب الشهداءُ إذا ما دعوا"[٣٢].

---

(٢٣) ابن الجزري. النشر ١/ ٣٨٢.

(٢٤) محمد: ١٨.

(٢٥) البقرة: ٢٣.

(٢٦) الأحقاف: ٣٢.

(٢٧) ابن الجزري. النشر ٣٨٦/١ –٣٨٧.

(٢٨) المؤمنون: ٤٤.

(٢٩) الحجرات: ٩.

(٣٠) هود: ٤٤.

(٣١) النساء: ٥١.

(٣٢) البقرة: ٢٨٢.



ونبدأ بمعالجة الصنف الأول، وهو الذي تكون فيه الهمزتان متفقتين فتحاً، أو كسراً، أو ضماً. وقد اختلف قنبل والبزي في معالجة هذا الصنف. أما قنبل فعنه ثلاث روايات، أولاها رواية ابن شنّبوذ[٣٣]، وفيها تسقط الهمزة الأولى من الهمزتين المتعاقبتين[٣٤]. وسقوط الهمزة في هذه الرواية لا تقتضيه مماثلة بين صوتين مفردين. ولكنها المماثلة بين كمية المقاطع المتتالية، فقبل الحذف كانت الهمزة الأولى تشكل مع فتحتها مقطعاً قصيراً مفتوحاً. وكان هذا المقطع محصوراً بين مقطعين، كمية كل واحد منهما أكبر من كميته. فلما سقط المقطع القصير كله (أي الهمزة وفتحتها)، أصبح ثمة توازن وتماثل بين كمية المقطع الطويل المفتوح (شا)، والمقطع الذي يليه وهو مقطع مديد (أن).

وأما الرواية الثانية فهي رواية الجمهور عن قنبل، وفيها تجعل الهمزة الثانية- من الهمزتين المتماثلتين المتعاقبتين- "بين بين"[٣٥]. ومعنى "بين بين" في عرفهم أن تجعل الهمزة بين الهمزة والحركة. وهذا قريب مما قاله سيبويه[٣٦]: "اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة، فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققةً، غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي، لأنك تقربها من هذه الألف"[٣٧]. وهذا واضح الدلالة على أن همزة

---

(٣٣) أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن شنّبوذ، شيخ الاقراء بالعراق، كان ثقة صالحاً متــبحراً في هذا الشأن. أخذ عن اسحاق والفضل ابني مخلد وعن موسى بن جمهور. توفي سنة ٣٢٨ هـ (غاية النهاية: ٥٢/٢).

(٣٤) ابن الجزري. النشر ٣٨٣/١.

(٣٥) المرجع السابق ٣٨٤/١.

(٣٦) عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، إمام أئمة النحو، أخذ عن حماد بن سلمه بن أحمد توفي سنة ١٨٠ هـ،كتابه في النحو أعظم كتب النحو العربي قاطبة.

(٣٧) سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)، ٥٤١/٣.



القطع لا يعود لها وجود منطوق، والذي ينطق هو حركة الهمزة، إذ هي التي تبقى بعد سقوط الهمزة، فالمنطوق في حال التسهيل "بين بين" هو (خفقة في الصدر كما قالوا)، وليس همزة القطع. ويمكن أن يُحمل كلام سيبويه على أن المقاطع في حال التسهيل "بين بين" تكون على نسق المقاطع قبل التسهيل، وهذا معنى قوله: "وتكون بزنتها محققة". وهذا أقرب إلى مضمون كلامه، وإلا فكيف تكون الكلمة بعد التسهيل بزنتها قبله، إلا إذا كان يقصد نسقية المقطع، إي إذا كانت المقاطع على سَمْتِها الذي كانت عليه قبل التسهيل؟ ولكن بعض العلماء لا يتصورون أن تكون الحركة في بداية المقطع.

وقد ينشأ سؤال مهم من القول بسقوط الهمزة هنا وهو: إذا كانت الهمزة الثانية في مثل (أأنت) قد حذفت وبقيت حركتها وهي الفتحة، فلماذا لم تدمج الحركتان القصيرتان (الفتحة التي في آخر المقطع الأول، والفتحة التي في أول المقطع الثاني) في حركة واحدة طويلة، كأن تكون هكذا: (آنت)؟ الحق أن لهذا السؤال وجهاً، وبه أخذت الرواية الثالثة عن قنبل. وقد أخذ به المصريون والمغاربة في قراءاتهم برواية قنبل(٣٨).

إن وجود ثلاث روايات عن قنبل، في كيفية معاملة الهمزتين المتفقتين فتحاً وضماً وكسراً، لا ينبغي أن يفهم منه وجود تعارض بين هذه الروايات، ولا أن بعضها ضعيف. بل إننا نؤكد أن ورود هذه الروايات الثلاث متفق مع ما روي عن قنبل أنه قال: "قال لي القواس(٣٩): لا تبال كيف قرأت، ولا أي الهمزتين تركت إذا لم تجمع بين همزتين"(٤٠).

---

(٣٨) ابن الجزري، النشر ١/٣٨٤.

(٣٩) أبو شعيب صالح بن محمد القواس الكوفي، وقيل البغدادي. عرض على حفص، وروى القراءة عنه عرضا إبراهيم السمسار وغيره (غاية النهاية: ١/٣٣٤).

(٤٠) أحمد بن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات. تحقيق د. شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ)، ص١٤٠.



وأما البزي، فإنه يتفق مع الرواية الأولى من الروايات الثلاث المروية عن قنبل، فقط عندما تجتمع همزتان مفتوحتان، فهو يحذف الهمزة الأولى، إذا كانت الهمزتان المتعاقبتان مفتوحتين[٤١]. وأما إذا كانت الهمزتان متفقتين بالكسر أو الضم، فإن له موقفاً آخر، فهو يعامل ثانية المتفقتين كسراً، معاملة مختلفة عن ثانية المتفقتين ضماً. أما المتفقتان كسراً، فإن البزي يسهّل الأولى منهما. ويعني التسهيل في عرفهم، وفي هذا السياق، جعلها ياء خالصة، أي أنها تصبح حركة، إذْ هكذا يتم التحول:

هؤلاء إن ←——— هؤلايِ إن

وهذا هو معنى قول بعضهم، في وصف أداء البزي للهمزة الأولى، من الهمزتين المتعاقبتين المتفقتين كسراً، بأنه يجعلها كالياء المكسورة[٤٢].

ووجه التماثل هنا، هو أن همزة القطع تحولت إلى نصف حركة (هي الياء التي في مثل: يلد) لتماثل:

١. كلا من الألف التي قبلها، والياء التي بعدها، من حيث إنهما صائتان أماميان، (والياء التي هي نصف حركة صوت أمامي).
٢. ولتماثل الكسرة التي بعدها، من حيث إنها ضيقة، (والياء التي هي نصف حركة) قريبة من الكسرة بهذا الاعتبار. هذا والمعادلة (٤) تمثل هذا التحول:

---

(٤١) المرجع السابق ٣٨٣/١، ومكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع. تحقيق: د. محيي الدين رمضان (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤)، ٧٥/١.

(٤٢) عثمان بن سعيد الداني. التيسير في القراءات السبع، ص ٣٧.



المعادلة (٤)

ص [+ وقفي، + حنجري] ← [+ أمامية] / ح [+ أمامية، + واسعة] — ح [+ أمامية، + ضيقة]

وأما الهمزتان المتفقتان ضماً، فإن البزي يجعل الأولى "بين بين"[٤٣]. وقد وضحنا أن مفهوم "بين بين" عندهم، لا يتفق مع الحقيقة الصوتية. فقد سقطت الهمزة من أجل إحداث توافق بين الحركات. والفرق بين رواية البزي هذه، ورواية قنبل الثانية، هو أن البزي– بحسب مفهومنا الصوتي المعاصر– يحذف الهمزة الأولى، وأن قنبلا "– في رواية الجمهور عنه– يحذف الهمزة الثانية. وحذف إحدى هاتين الهمزتين يسمى في نظرهم "همزة بين بين".

وما يحدث في رواية البزي، عند معاملته الهمزتين المتفقتين ضماً، يمكن تمثيله في المعادلة (٥).

المعادلة (٥)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← Φ / ح [+ امامية، + واسعة] — ح [+ خلفية، + ضيقة]

هذا، وقد نسب إلى البزي أنه يهمز واحدة من الهمزتين المتماثلتين إذا، تعاقبتا[٤٤]، دون تحديد أي الهمزتين هي التي يجري عليها التغيير الصوتي.

(٤٣) ابن الجزري، النشر، ١/٣٨٣.

(٤٤) أحمد بن الحسين الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠) ص١٢٦.



وضحنا حتى الآن التغيرات التي تطرأ على الهمزتين المتعاقبتين المتماثلتين فتحاً وضماً وكسراً. وأما التغيرات التي تطرأ على المتعاقبتين المختلفة حركتاهما، فقد نص بعض العلماء على أن أبن كثير يحقق الهمزة الأولى منهما، ولكنه يسلك في معاملة الهمزة الثانية مسلكين مختلفين(٤٥). أما المسلك الأول فيتمثل في تحويل الهمزة الثانية إلى همزة "بين بين"، عندما تكون هذه الهمزة في مثل واحد من الموقعين الآتيين:

١. المفتوحة والمضمومة، كما في: "جاءَ أُمةً رسولها".

٢. المفتوحة والمكسورة، كما في: "تفيءَ إلى".

ووجه المماثلة في الموقع الأول (المفتوحة والمضمومة)، أن همزة القطع الثانية تسقط، حتى يزول الفاصل الصامتي بين الفتحة والضمة. نعم،الفتحة تختلف عن الضمة، من حيث إن الفتحة حركة أمامية واسعة غير مدورة، والضمة حركة خلفية ضيقة مدورة. لكن الجامع بينهما أنهما صائتان، وسقوط الهمزة من بينهما، يجعل إحداهما قريبة من الأخرى، بسبب هذا الاعتبار. ووجه المماثلة في الموقع الثاني (المفتوحة والمكسورة)، هو أن سقوط الهمزة الثانية (والذي عبروا عنه بأنه همزة بين بين) إنما كان من أجل إحداث نسق إيقاعي بين ياء (تفيء)، وكسرة الهمزة في (إلى)،فهما صائتان أماميان ضيقان.

وأما المسلك الثاني الذي يعامل به ابن كثير الهمزتين المتعاقبتين المختلفتين في الحركة، فيتمثل في تحويل الهمزة الثانية، إلى نصف حركة (ياء أو واو)، وذلك كما في:

يا سماءُ أقلعي ←——— يا سماءُ وقَلعي

هؤلاء أهدى ←——— هؤلاءِ يَهدى

لقد تحولت همزة القطع الثانية في (يا سماءُ أَقلعي) إلى واو خالصة، لكونها مسبوقة بضمة. وتحولت همزة القطع الثانية في (هؤلاءِ أَهدى) إلى ياء خالصة، لكونها مسبوقة بكسرة. والمعادلة (٦) توضح هذين التغيرين:

---

(٤٥) ابن الجزري. النشر ٣٨٨/١.



المعادلة (٦)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← [+ ١/٢ حركة] / ح [+ مغلقة] ___

القاعدة (٣)

قــد تتحول همزة القطع إلى جنس الحركة التي تسبقها، لتصبح الحركتان حركة واحدة طويلة.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة تحول همزة القطع في قراءة ابن كثير إلى حركة كالتي تسبقها في نفس المقطع. لقد قرأ ابن كثير: "يا جوج" دون همز فيهما[٤٦]. المعادلة (٧) تمثل هذا التغير الصوتي:

المعادلة (٧)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← ح [+ أمامية، + واسعة] / ح [+ أمامية، + واسعة] ___

القاعدة (٤)

تضــاف الهمــزة بعد صوت المد، ثم يقصّر صوت المد، ويكون كل منهما جزءاً من نفس المقطع.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة مجيء الهمزة بعد الواو في "سؤقه" من الآية "فاستوى على سؤقه"[٤٧] بهمز الواو،ومجيء الهمزة بعد الألف في (سأق)

(٤٦) محمــد المحيســن. المهــذب في القراءات العشر (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٧)، ١٢٢/١.

(٤٧) الفتح: ٢٩.



من الآية: "وكشفت عن سأقيها"[٤٨]. ووجه المماثلة هنا أن الهمزة صوت خلفي، إذ موضع نطقها في الحنجرة، والواو صوت خلفي كذلك. وتتم هذه العملية في مرحلتين: الأولى الانتقال من البنية العميقة (سوقه) إلى البنية قبل الفوقية (سؤقه)، بوجود واو المد والهمزة معاً. وبهذه الزيادة يصبح المقطع الأول مكوناً من: (ص + ح + ح + ص). وهذا مقطع لا تلجأ إليه العربية كثيراً. ولما كان الأمـــــر كذلك، كان لا بد من المرحلة الثانية، وفيها يتم الانتقال من البنية قبل الفوقية (سوءقه) إلى البنية الفوقية (سؤقه).

وهمز ما ليس مهموزاً ليس غريباً في اللسان العربي، فقد ذكر بعض اللغويين أن العرب ربما كانت تهمز ما ليس مهموزاً، وذلك قولهم: لبّأت بالحج، وحلأت السويق،ورثأت الميت. واجتمعت العرب على همز "مصائب" وأصلها الياء، وقالوا: افتأت برأيه،أي انفرد واستبدّ به،وقد سمعت هذه الكلمة مهموزة[٤٩].

وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن همز ما ليس مهموزاً كما في: (عألم) و (خأتم)، انما جرى فيه ابدال الهمزة من الألف. ولما كانت الألف زائدة، فالبدل من الزائد زائد، وليس البدل من الأصل بأصل[٥٠] (٥.). والحقيقة أن الهمزة ليست بزيادة– من وجهة نظر صوتية معاصرة– ولكن ألف المد تحولت إلى فتحة وهمزة. وقد عدّ بعضهم ذلك من شواذ الهمز، يقول ابن جني[٥١] في باب

---

(٤٨) النمل: ٤٤.

(٤٩) عبدالرحمـــن الســـيوطي. المزهر. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي البحاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت)، ٢/٢٥٢– ٢٥٣.

(٥٠) عـــثمان بـــن جنـــي، الخصـــائص. تحقيق محمد علي النجار: (بيروت: دار الهدى، ١٩٥٩)،١/ ١٤٢.

(٥١) أبو الفتح عثمان بن جني صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة والنحو والأدب، صحب أبا علي الفارسي، توفي سنة ٣٧٢ هـ (إنباه الرواة: ٢/٣٣٥-٣٤٠).



شواذ الهمز من الخصائص: "وقرأ ابن كثير: وكشفت عن سأقيها وقيل في جمعه: (سؤق)، مهموزاً على (فُعْل)"[٥٢].

ثالثاً: المماثلة بين الحركات

لن نعرض هنا لظاهرة مماثلة الحركات مما كان جزءاً من ظاهرة المماثلة في مطلب الهمزة. ولكننا نعرض فقط لعمليات المماثلة التي تجري بين الحركات، أو بين الصوامت والحركات. وهذا بيان ذلك:-

<u>القاعدة (١)</u>

إذا كانت الفتحة متبوعة بنصف حركة في مقطع واحد، تحولت الفتحة إلى حركة مناسبة لنصف الحركة.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة التحول الصوتي الذي يطرأ على كلمات مثل: "سَوْء" و "ضَيْق" و "سَيْناء"، فقد قرأها ابن كثير كما يأتي:-

١. عليهم دائرة السُّوءِ[٥٣].

٢. ولا تَكُ في ضيق مما يمكرون[٥٤].

وقد مرَّ التغير الصوتي في هذه الأمثلة بمرحلتين تتمثل أولاهما في الانتقال من البنية العميقة (سَوْء)، (بفتح السين وتسكين الواو)، إلى البنية قبل الفوقية (سُوْء) بضم السين، وجعل الواو نصف حركة، وذلك كما يظهر في الكتابة الصوتية:-

suw’ ⟵ saw’

المعادلة (٨) تمثل هذه المرحلة:

---

[٥٢] ابن جني. الخصائص ٣/١٤٢.

[٥٣] التوبة: ٩٨.

[٥٤] النحل: ١٢٧.



المعادلة (٨)

ح [+ أمامية، +واسعة] ← ح [+ خلفية، + ضيقة] / —— ح [+ خلفية]

وتتمثل المرحلة الثانية في الانتقال من البنية قبل الفوقية، إلى البنية الفوقية.

والمعادلة (٩) تمثل هذا الانتقال:

المعادلة (٩)

ح [+خلفية] ← ح [+ خلفية] / ح [+ خلفية] ——

القاعدة (٢)

تـــتحول الضمة إلى كسرة، لتماثل الياء في جمع التكسير الذي على وزن (فُعول).

التوضـــيح: تـــتحول الضمة في "بيوت، وعيون، وشيوخاً، وجيوبهن "إلى كسرة،في قراءة ابن كثير، في المواطن التي وردت فيها من كتاب الله عز وجل، وبذلك فهو يقرؤها "بِيوت، وعِيون، وشِيوخاً، وجيوبهن". المعادلة (١٠) توضح ذلك:

المعادلة (١٠)

ح [+ خلفية، + ضيقة] ← ح [+ أمامية، + ضيقة] / —— ح $\frac{١}{٢}$ [+ أمامية]



القاعدة (٣)

تتحول الحركة الأمامية إلى خلفية لتناسب صوتاً خلفياً، وتتحول الحركة الخلفية إلى أمامية لتناسب صوتاً أمامياً.

التوضيح: تمثل هذه القاعدة تحول الكسرة في (قسطاس) إلى ضمة في قراءة ابن كثير، وتحول الضمة في (انشزوا) إلى كسرة، أي أن هذه القاعدة تمثل حالتين هما:

١. تحول الحركة الأمامية إلى خلفية، وذلك كما هو واضح في المعادلة (١١)، وهي الآتية:

المعادلة (١١)

ح [+ أمامية] ⟵ ح [+ خلفية] / ص [+ خلفي] ——

٢. تحول الحركة الخلفية إلى أمامية، وذلك كما هو واضح في المعادلة (١٢) وهي الآتية:-

المعادلة (١٢)

ح [+ خلفية] ⟵ ح [+ أمامية] / ص [+ أمامي] ——

رابعاً : الإبـدال والادغـام

لا تختلف قراءة ابن كثير عن سائر القراءات في الإبدال والادغام، إلا في مسائل يسيرة، وهذه هي القواعد الخاصة بهذين الموضوعين، في هذه القراءة.

القاعدة (١)

تتحول السين إلى صاد حين تكون السين متبوعة بصوت مطبق.

التوضيح: قرأ ابن كثيرالسين في "بسطة" صاداً. وهذا يمكن تمثيله بالمعادلة (١٤).

المعادلة (١٤)

س ———→ ص / ——— ط

وهذا ينطبق على "المسيطرون" التي تصبح السين فيها صاداً، في قراءة ابن كثير، وذلك في قراءته للآية الكريمة "أم هم المصيطرون"(٥٥) . وفي ما عدا ذلك، فابن كثير يتفق مع سائر القراء.

القاعدة (٢)

تدغم اللام والنون والتنوين في الراء.

التوضيح: قرأ ابن كثير بادغام اللام من (بل) بالراء في قوله تعالى: "كلا بل رّان على قلوبهم ما كانوا يكسبون"(٥٦)، وقرأ كذلك بادغام نون (من) بالراء في "من ران". المعادلة (١٥) توضح ذلك:

المعادلة (١٥)

{ل، ن} ———→ ر / ——— # ر

(٥٥) الطور: ٣٧.

(٥٦) المطففين: ١٤.



خامساً : المخالفة الصوتية

مع قلة شواهد المخالفة في قراءة ابن كثير، فانها في هذه القراءة أكثر من غيرها. ويمكن جمع مواطن المخالفة فيها من القواعد الآتية:-

القاعدة (١)

يجوز أن تخالف حركة أمامية صوتاً انزلاقياً خلفياً.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة مجيء الكسرة قبل الواو في (سوى) في قراءة ابن كثير للآية الكريمة: "لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سِوى"(٥٧) وكذلك في قراءته للآية "يرسل عليكما شِواظ"(٥٨) بكسر الشين في (شواظ). ووجه المخالفة هنا هو أن كسرة السين في (سوى) تخالف الواو من حيث إن الواو صوت خلفي، والكسرة صوت أمامي، فحدثت المخالفة لاحداث إيقاع صوتي. ومثل ذلك يقال عن (شِواظ).

القاعدة (٢)

تحدث المخالفة بين حركة واسعة وحركة ضيقة في مقطعين متجاورين.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة قراءة ابن كثير كلمة (جَبريل) حيث وردت بالفتح، وهي إحدى اللهجات العربية. ولكن هذا لا يغني عن تفسير هذا التغير من جهة صوتية. ووجه المخالفة بين الفتحة وياء المد، و أن الفتحة- مع كونها حركة أمامية- فهي واسعة، أي أن اللسان ينزل إلى أقصى درجة ينزل اليها عند إنتاج حركة أمامية. وأما ياء المد فهي على العكس من الفتحة تماماً، إذ هي حركة ضيقة.

القاعدة (٣)

يجوز أن تخالف حركة خلفية صامتاً أمامياً يجاورها.

---

(٥٧) طه: ٥٨.

(٥٨) الرحمن: ٣٥.



التوضيح: تفسر هذه القاعدة قراءة ابن كثير ضم التاء في "فاعتُلوه" في قوله تعالى "فاعتُلوه إلى سواء الجحيم"[٥٩]، وكذلك الأمر في كلمة "سُدّ" حيث وردت في القرآن، ووجه المخالفة هو أن التاء والسين صوتان أماميان، والضمة التي تلي كلا منهما صوت خلفي. وإذا كانت قراءة ابن كثير قد أخذت باللهجة التي تضم التاء في "اعتُلوه" والسين في "سُد" فما ذلك إلا بسبب ايثار هذه القراءة المخالفة في هذا الموطن على المماثلة.

<u>القاعدة (٤)</u>

يجوز أن تخالف حركة أمامية صامتاً خلفياً يجاورها.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة تحول حركة أمامية إلى خلفية، لتخالف بذلك صامتاً أمامياً يجاورها وذلك كما في (العِدوة) من قوله تعالى "إذا أنتم بالعِدوة الدنيا"[٦٠] فقد قرأها ابن كثير بكسر العين بدلاً من قراءة من قرأها بالضم. ووجه المخالفة هنا أن العين صوت خلفي، إذ موضع نطقه في الحلق، والكسرة حركة امامية كما عرفنا.

سادساً: تغير البنية المقطعية

تتغير البنية المقطعية عند ابن كثير، بتأثير التغيرات الصوتية التي وضحناها. ولن نعرض هنا لكلّ المؤثرات في البنية المقطعية في هذه القراءة، ولكننا سندرس أهم هذه المؤثرات وأبرزها، وهي مما يمكن اجماله في ما يأتي:-

١. التقاء الساكنين.
٢. تحريك ميم الجمع.
٣. (تاءات البزي).

---

(٥٩) الدخان: ٤٧.

(٦٠) الأنفال: ٤٢.



٤. الوصل.

٥. فتح ياء المتكلم.

٦. تضعيف صوت غير مضعف.

٧. زيادة الحركة.

٨. سقوط حركة عين الكلمة.

وهذا بيان لهذه المؤثرات:-

<u>القاعدة (١)</u>

لا تتحول الضمة إلى كسرة عند ما يسمى "التقاء الساكنين"، فاذا كانت كسرة بقيت على حالها.

التوضيح: لقد كان ما يسمى في التراث اللغوي والنحوي "التقاء الساكنين" مصدراً من مصادر اللبس، فالنحاة يرون أن كسرة نون (أن) في قوله تعالى "وأوحينا إليه أنِ اصنع الفلك"[٦١] انما جيء بها للتخلص من صعوبة نطق الساكنين المتعاقبين. وهنا ينبغي أن نلاحظ ما يأتي:

١. يفترض النحاة وجود كسرة مستقلة عن وجود همزة الوصل في (اصنع). والحقيقة أنه لا وجود لهذه الكسرة، إذ كسرة النون ليست شيئاً آخر غير همزة الوصل في (اصنع).

٢. أن فـــائدة همزة الوصل هذه، في أنها تغير البنية المقطعية، فبدلاً من أن تكون مقاطع (أنْ اصنع) هكذا:

(أ – َ ن /– ِ ص / ن – َ ع) تصبح هكذا: (أ – َ / ن ِ – ص / ن – َ ع)

هذا بالاضافة إلى تغير موقع النبر.

٣. إذا كانـــت همـــزة الوصل ضمة كما في (احكم) مثلاً، فان الضمة هذه لا تـــتحول إلى كسرة عند ابن كثير ونافع، ولذلك فهما يقرآنها بالضم " وأنُ

---

(٦١) المؤمنون: ٢٧.

احكـــم بينهم بما أراك الله[٦٢] (٦٢). وسائر القراء يقرؤونها بالكسر، أي أنهم يحولون الضمة إلى كسرة.

٤. وإذن، فما يسمى "الكسر لالتقاء الساكنين" قد يكون أصيلاً، كما في "أنِ اصنع"، وقد يكون محولاً عن ضم، كما هو الحال عند سائر القراء، ما خلا ابن كثير ونافعاً

وقد يكون الكسر محولاً عن فتحة كما في: "اشتَرَوُا الضلالة"[٦٣]، فمعظم القراء يقرؤونها بكسر الواو. وهذه الكسرة محولة عن الفتحة التي هي همزة الوصل في (الضلالة). وأما ابن كثير ونافع، فانهما يقرآنها بضم الواو "اشتروُا الضلالة"، أي أنهما يحولان الفتحة إلى ضمة.

وسواء أكانت القراءة بضم الواو أم بكسرها فالكل عربي صحيح، والكل من اللسان العربي الفصيح[٦٤]، قال سيبويه: "وقد كسر قوم" فقالوا: "قلِ انظروا".

وأما الذين يضمون فانهم يضمون في كل ساكن يكسر في غير الألف المضمومة، فمن ذلك قوله عز وجل:- وقالتُ اخرج عليهن[٦٥] ومنه: أوُ انْقص منه قليلاً[٦٦]. وهذا كله عربي قد قريء"[٦٧].

القاعدة (٢)

تتغير البنية المقطعية بتحريك ميم الجمع مطلقاً.

التوضيح: تعامل العربية الفصيحة المشتركة ميم الجمع بإبقائها ساكنة. وقد ذهب بعضهم إلى خلاف ذلك فقال: "والأصل في ميم الجمع بعدها واو كما قرأ

---

(٦٢) المائدة: ٤٩.

(٦٣) البقرة: ١٦.

(٦٤) السيوطي: المزهر ١/٢٥٥.

(٦٥) يوسف: ٣١.

(٦٦) المزمل: ٣.

(٦٧) سيبويه: الكتاب ٤ /١٥٣.

ابن كثير، فالميم لمجاوزة الواحد، والألف دليل التثنية نحو: عليهما، والواو للجمع نظير الألف.

وكما أن علامة الجماعة في المؤنث نون مشددة نحو: عليهن، فكذلك يجب أن يكون علامة الجمع للمذكر حرفين، الا أنهم حذفوا الواو تخفيفاً، ولا لبس في ذلك لأن الواحد لا ميم فيه"[٦٨].

إذن فميم الجمع تلحقها واو في قراءه ابن كثير كما في: "أنعمت عليهمو"، من فاتحة الكتاب العزيز. وهذا يؤدي إلى تغيير البنية المقطعية للكلمة، فبدلاً من أن تكون هكذا. (عَ / لَيْ / هِم) تصبح (عَ / لَيْ / هـِ / مو)، فتكون المقاطع ثلاثة حال التسكين، وأربعة بالتحريك.

القاعدة (٣)

إذا تعاقبت تاء المطاوعة وتاء المضارعة، حذفت حركة أولاهما،ثم أدغمتا.

التوضيح: توضح هذه القاعدة التغيير الصوتي الذي يحدث على ظاهرة صوتية، تعرف في كتب القراءات بأنها تاءات البزي[٦٩]، ذلك أن البزي يحذف الحركة التي بين التاءين ويدغمهما، كما في: "فلا تّناجوا بالاثم والعدوان"[٧٠]، و "قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين"[٧١]، و"إذ تّلقونه بألسنتكم"[٧٢] وكما في "وان تّولّوا فاني أخاف عليكم"[٧٣]، وغير ذلك من المواطن التي بلغت عدّتها في القرآن الكريم واحداً وثلاثين موضعاً.

---

(٦٨) عـبدالله بن الحسين العكبري. إملاء ما مّن به الرحمن. تحقيق: ابراهيم عطوة عوض (القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٦٩)، ٩/١.

(٦٩) أفدنـا فـي كتابة هذه المسألة كثيرا مما كتبه الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه: سـيبويه والقراءات ص ٥٣- ٥٩ وان كنا نخالفه في شدة حملته على سيبويه، فجزاه الله خيراً على كل حال.

(٧٠) المجادلة: ٦٩.

(٧١) التوبة: ٥٢.

(٧٢) النور: ١٥.

(٧٣) هود: ٣.



إن أبرز أثر لهذا التغيير يتمثل في تغيير طبيعة المقاطع التي تكون مجاله ومحلا له. فالتركيب المقطعي في (اذ تّلقونه) يجري عند تشديد التاء على سمت غير سمته الذي كان عليه قبل ذلك. فالمقطع الأول مديد يتكون من: ص + ح + ص، وكان المقطع الثاني قبل التشديد قصيراً مفتوحاً.

وتوالي المقاطع على هذا النحو ليس فيه ما يدعو إلى الاستغراب، فهو جار في العربية على نظر مالوف، وسمت معروف. ولكن تركيب المقطعين سيكون هكذا بعد التشديد:-

المقطع الأول: (ص + ص +ح).

المقطع الثاني: (ص + ح + ص).

وهنا يبرز أمر جديد، وهو أن المقطع الذي فيه التاء مشددة في (تّلقونه) يبدأ بصامتين، والشائع في اللسان العربي ألاّ يبدأ مقطع بصامتين.

ولكن الشيوع هذا لا يعني عدم صحة خلافه على كل حال. والذين يقولون إنه لا يجوز ان يبدأ مقطع عربي بصامتين، كان عليهم أن يرجعوا النظر في مقولتهم هذه في ضوء هذه القراءة.

وربما كان هذا هو سبب ردّ سيبويه رحمه الله، لتشديد هذه التاء في مثل هذا السياق[٧٤]، مع كون ذلك وارداً في قراءة سبعية هي قراءة ابن كثير، وما ينبغي أن تردّ قراءة سبعية ولا عشرية، فالكل على أصله من التواتر، وعلى سمته العربي، شائعاً كان بين العرب، أم غير شائع، ولا ينقص من قدره عدم شيوعه.

ولكنّ تشديد التاء يمكنِ أن يرد في موطن آخر في رواية البزيِ، وذلك مثل قراءته لقوله تعالى: "ولا تّيمّموا الخبيث منه تنفقون"[٧٥] ومثل "فلا تّناجوا بالاثم والعدوان"[٧٦].

---

(٧٤) سيبويه. الكتاب ٤/٤٣٨.

(٧٥) البقرة: ٢٦.

(٧٦) المجادلة: ٩.



وقد أجاز سيبويه تضعيف التاء وعدمه في هذا السياق[٧٧] والتغيير الذي يجري على البنية المقطعية في هذه الحال، يتمثل في أن المقطع الأول سيصبح مكوناً من: ص + ح + ح + ص، وكان قبل ذلك مكوناً من: ص + ح + ح.

وكل الذي حدث هو أن المقطع قد أغلق بعد أن كان مفتوحاً. ان المقطع الذي ينشأ عن هذا التغيير (أي: تشديد التاء) مقطع غير شائع في العربية، فهو يستعمل في مثل: (ضالّين وجادّين)، وفي الوقف كما في الوقوف على: رحيم. ولكن عدم شيوعه لا يقدح في صحته، ولا ينال من سلامته وفصاحته.

وثمة سياق آخر تشدّد فيه التاء برواية البزي، وذلك مثل قراءته لقوله تعالى: "وألق ما في يمينك تّلقف"[٧٨]. والمقطع الأول الذي ينجم عن هذا التغيير في موطن التشديد يكون مكوناً من: ص + ح + ص، أي أنه من المقطع المديد، وهو من الكثرة والشيوع في اللسان العربي بما لا نحتاج معه إلى مزيد بيان.

وأحسب أن هذا هو السبب في أن التشديد في هذا الموطن جائز في نظر علماء العربية، فهو "متفق على جوازه بين النحاه لعدم التقاء الساكنين، حيث كان الحرف الذي قبل التاء متحركاً"[٧٩].

القاعدة (٤)

في الوصل يتغير المقطع القصير المفتوح إلى مقطع طويل مفتوح.

التوضيح: تفسر هذه القاعدة تحول المقطع من قصير مفتوح إلى طويل مفتوح في عملية الوصل، وهو الموضوع الذي يسمى في كتب القراءات هاء الكناية[٨٠]، وذلك مثل الهاء في "عملته أيدينا"[٨١]. تكون هذه الهاء على أحوال هي:-

---

(٧٧) سيبويه: الكتاب ٤/٤٤٠.

(٧٨) طه: ٦٩.

(٧٩) أحمد مكي الأنصاري. سيبويه والقراءات (القاهرة: دار المعارف،١٩٧٢) ص٥٥.

(٨٠) محمد المحيسن. المهذب في القراءات العشر (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٩)، ص٣٧.



١. أن تقع قبل ساكن، وذلك مثل الهاء في الآية: "يعلمه الله"[٨٢]، فهذه لا يمدّها ابن كثير ولا غيره.

وقد ردّوا عدم الوصل هنا إلى أن الصلة (أي: مدّ الهاء): "تؤدي إلى الجمع بين الساكنين، وتبقى على حركتها ضمة كانت أو كسرة "نحو قوله تعالى: يعلمه الله، وربه الأعلى"[٨٣].

والساكنان اللذان يشير اليهما هذا القول هما صوت المد الناجم عن الاشباع (الوصل)، ثم الصامت الذي يليه. وينجم عن هذا الاشباع أن ينشأ مقطع مكون من: (ص + ح + ح + ص). وهذا المقطع لا تلجأ إليه العربية كثيراً كما أسلفنا.

أما القول إن الهاء تبقى على حركتها مع وجود الاشباع، فهو تصور يجعل الصوامت وحروف المد التي تليها حركات من جنسها، فالألف في (قال) تكون مسبوقة بفتحة، والواو في (علموا) تكون مسبوقة بضمة، والياء في (قولي) مسبوقة بكسرة. وهذا تصور لا يسعفه التحقيق العلمي؛ إذ لو كانت أصوات المد هذه مسبوقة بحركات من جنسها،لما كان الاشباع أصلاً مؤدياً إلى الحركات الطويلة (أصوات المد).

٢. أن تقع الهاء حركتين مثل: "أماته فأقبره"[٨٤] ومثل "وختم على سمعه وقلبه"[٨٥] فهذا لا خلاف بين القراء على وصله وإشباعه.

---

(٨١) يس: ٣٥.

(٨٢) البقرة: ١٩٧.

(٨٣) علي بن القاصح. سراج القارئ وتذكار المنتهي (القاهرة: البابي الحلبي،١٩٥٤)، ص٤٥.

(٨٤) عبس: ٢١.

(٨٥) الجاثية: ٢٣.



٣. أن تكــون الهــاء مسبوقة بصامت ومتبوعة بحركة مثل: "اجتباه، ومنه، وفيه"، فهذه يمدّها ابن كثير[٨٦].

القاعدة (٥)

تفتح ياء المتكلم اختياراً لا اطراداً.

التوضــيح: لا توجد علة صوتية مطردة في قراءة ابن كثير، تفسّر فتح ياء المتكلم في سياق، وعدم فتحها في سياق آخر.

لقــد ابــن كثــير قرأ بفتح الياء في كل من: "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم"[٨٧] و "لا يجرمنّكم شقاقيَ أن يصيبكم"[٨٨].
و "ليحزننـــي أن تذهــبوا به"[٨٩]، وعدم فتحها في كل من: "لن تخرجوا معي أبداً"[٩٠] و "إنْ أجري الا على الله"[٩١].

إن قـــانون الاختـــيار يغلب على قانون الاطراد في فتح ياء المتكلم أو عدمه. والاختيار من أهم الأركان التي بنيت عليها القراءات القرآنية، والاختيار في هذه المسألة واضح.

القاعدة (٦)

تضعّف النون في آخر مثنى الاشارة والاسم الموصول، فتشكل من ذلك بني مقطعية منوعة.

---

(٨٦) ابن القاصح، مرجع سابق، ص ٤٥.
(٨٧) هود: ٢٦.
(٨٨) هود: ٨٩.
(٨٩) يوسف: ١٣.
(٩٠) التوبة: ٣٠.
(٩١) يونس: ٧٢.



التوضيح: تشير هذه القاعدة إلى تشديد النون في آخر مثنى اسم الاشارة والاسم الموصول في قراءة ابن كثير، فقد قرأ بتضعيف هذه النون في:

"أرنا اللذينّ أضلانا"[92].

"واللذانّ يأتيانها منكم فآذوهما"[93].

"إن هذانّ لساحران".

"هذانّ خصمان اختصموا في ربهم".

"فذانّك برهانان من ربك".

---

(92) فصلت: ٢٩.

(93) النساء: ١٦.

الفصل الثالث

فــي قــراءة عــاصــم

* **المطلب الأول: عــاصــم:**
  ١- حياته ودرايته.
  ٢- راويا قراءته.
  ٣- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة عاصم.**



عـــاصــــــم

أبو بكر عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي (ت١٢٧هـ).

راويـــــاه:

١. شعبة: أبو بكر شعبة بن عياش (ت١٩٣هـ).

٢. حفص: أبو عمر حفص بن سليمان (ت١٨٠هـ).

طـرقـــه:

١. طريقا شعبة:

(أ) الصليحي : أبو زكريا يحيى بن آدم الصليحي (ت٢٠٣هـ).

(ب) العليمي : أبو محمد يحيى بن محمد العليمي (ت٢٤٣هـ).

٢. طريقا حفص:

(أ) ابن الصباح: أبو محمد عبيد بن الصباح (ت٢١٩هـ).

(ب) ابن الصباح: أبو حفص عمر بن الصباح (ت٢٢١هـ).

المطلب الأول

عاصم بن أبي النجود

١. حياته ودرايته

أبو بكر عاصم بن بهدلة أبي النجود، أحد القراء السبعة. وأبو النجود اسم أبيه، وبهدلة اسم أمة. وقد انتهت إليه رياسة الإقراء في الكوفة، بعد أبي عبدالرحمن السلمي[١]. وقد جمع بين الفصاحة والإتقان في التجويد. وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. وقد كان ذا حافظة قوية، حتى إنه مرض سنتين، فما تمكن من ختم القرآن فيهما ، كما كان يفعل من قبل. ولكنه بعد أن عافاه الله، عاد إلى القراءة فما أخطأ في شيء[٢].

وهو إلى ذلك تابعي جليل؛ أدرك عدداً من الصحابة، فقد روى عن رفاعة بن يثربي التميمي، والحارث بن حسان البكري، وكانت لهما صحبة. وأخذ القراءة عرضاً عن زرّ بن حبيش، وأبي عبدالرحمن السلمي، وغيرهما.

وروى القراءة عنه أبان بن تغلب[٣]، وحفص بن سليمان، وأبان بن يزيد العطار[٤]، والأعمش[٥]، وشعبة، وخلق كثيرون.

---

(١) عبدالله بن حبيب السلمي مقرئ الكوفة. ولد في حياة النبي ولأبيه صحبة. توفي سنة ٧٤هـ (غاية النهاية ٢/٤١٣).

(٢) ابن الجزري. غاية النهاية ١/٣٤٦.

(٣) أحد القراء النحويين، ومن أئمة النحو والقراءة في الكوفة. توفي سنة ١٥٣هـ (غاية النهاية ١ /٤).

(٤) أحد القراء النحويين في الكوفة. توفي سنة بضع وستين ومائة (غاية النهاية ١ /٤).

(٥) سليمان بن مهران تابعي جليل. أحد أئمة القراءة والنحو في الكوفة، توفي سنة ١٤٨ هـ (غاية النهاية ١ /٣١٥).



كان رحمة الله صالحاً ديّنا، وقد وثقه أبو زرعة. وقال أبو حاتم: محله الصدق، وحديثه مخرج في الكتب الستة. قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة، فقال: رجل صالح خيّر ثقة، فسألته: أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم(٦).

توفي في السماوة، ودفن فيها، وهو في طريقه إلى الشام، سنة سبع وعشرين ومائة.

٢. راويا قراءته

روى عن عاصم راويان جليلان هما:

(أ) **شعبة**: أبو بكر شعبة بن عياش الأسدي النهشلي الكوفي الإمام. اختلفوا في اسمه على أقوال كثيرة، أصحها شعبة.

عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السايب(٧)، وعُمّر دهراً، إلا أنه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين. وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً، وكان من أئمة السنة. توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة.

(ب) **حفص**: أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة، الأسدي الكوفي البزاز. أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته. ولد سنة تسعين. نزل بغداد فأقرأ بها. وجاور بمكة، فأقرأ بها أيضاً. وكان بعض العلماء يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم.

قال حفص: قلت لعاصم أبو بكر يخالفني، فقال عاصم: أقرأتك بما أقراني أبو عبدالرحمن السُّلمي، عن علي بن أبي طالب. وأقرأته بما أقرأني زرّ بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود.

توفي سنة ثمانين ومائة.

---

(٦) ابن الجزري. غاية النهاية ١ /٣٤٨.

(٧) تابعي جليل وهو أحد أعلام القراءة والنحو في الكوفة. أدرك علياً، ومات سنة ١٣٦هـ (غاية النهاية ١ /٥١٣).



المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة عاصم

في قراءة عاصم ظواهر صوتية كثيرة تستحق الدراسة. وسنقتصر على دراسة الظواهر الآتية: المدّ والقصر، والنون الساكنة، والتفخيم والترقيق. وهذا بيان ذلك:

أولاً : المدّ

المدّ في اللغة مطلق الزيادة، كما جاء في الآية: "ويمددكم بأموال وبنين"(٨)؛ أي يزدكم. وفي الاصطلاح هو إطالة صوت المدّ (الألف، أو الواو، أو الياء)، لسبب لفظي أو معنوي. ويقابل المدّ في الاصطلاح: القصر، وهو إثبات صوت المد، من غير زيادة ولا مطل.

والمدّ قسمان: أصلي وفرعي. فالأصلي هو المد الطبيعي الذي لا يقوم نطق صوت المدّ إلا به. وعبروا عن طوله بقولهم: إنه بمقدار نطق الألف. ومقدار الألف حركتان. وطول الحركة بمقدار قبض الإصبع، كما في (قالَ).

وأما المدّ الفرعي فهو الزيادة على المدّ الطبيعي، لسبب معنوي أو لفظي. فالمعنوي كقصد المبالغة في النفي للتعظيم في قوله تعالى: "لا ريب فيه"(٩). وليس لهذا المدّ وجود في قراءة عاصم.

وأما السبب اللفظي للمدّ، فقد يكون في ورود صوت المدّ قبل الهمز، أو قبل السكون. فأما صوت المدّ الذي يسبق الهمزة فيكون ثلاثة أنواع هي: المتصل كجاء، والمنفصل كيا أيّها، والبدل مثل (آمنوا). وهذه المدود الثلاثة موجودة في قراءة عاصم.

---

(٨) نوح ١٢.

(٩) البقرة ٢.



وقد تبين لي بعد قياس المدود بأنواعها، على جهاز CSL المحوسب، وهو من أحدث الأجهزة الصوتية، أن مدة المدّ الطبيعي للألف المتبوعة بهمزة، في كلمة واحدة، وهي كلمة (شاء) هو ٠,٤٠٣ ث، وأن مدة المدّ المتوسط للألف نفسها هو ٠,٧٠٧ ث، وأن مدة المدّ بأربع حركات من قبض الإصبع للكلمة نفسها أيضاً هو ١,٥٥٠ ث.

لكن هذه القيم الرقمية، لزمن المدود الثلاثة، تختلف عندما يكون المدّ منفصلاً، كما في (يا أيها)، وذلك على النحو الآتي: مدة المدّ الطبيعي للألف في (يا) هو ٠,٧٠٣ ث. ومدة المدّ المتوسط للألف نفسها هو ٠,٨٩٥ ث. في حين أن مدة المدّ بأربع حركات، من قبض الإصبع هو ١,٣٤٥ ث.

غير أن هذا الاختلاف في الزمن، بين تقديرهم الأدائي، وقياسنا على جهاز CSL المحوسب، لا يدفعنا إلى الغض من تقديرهم للأسباب الآتية:

أولاً: إن اعتمادهم على هذا التقدير، هو المعيار الذي اعتمدوه في القراءة، وهو معيار تقديري تقريبي، يكفي لضبط الأداء، وهذا هو الأساس.

ثانياً: لا يمكن الاعتماد على الأجهزة في الأداء، فليس من الممكن أن يصطحب الإنسان الأجهزة، كلما أراد أن يقرأ أو أن يتعلم.

ثالثاً: إن الاعتماد على الأجهزة إنما هو للتثبت من دقة التقدير، وهو تقدير دقيق، باعتبار الإدراك السمعي. وليس مطلوبا من التقدير الأدائي، حتى يكون دقيقا، أن يتحصل على أجزاء يسيرة من الألف في الثانية الواحدة.

وأما المدّ الذي يتبعه سكون، فقد يكون السكون عارضاً، وقد يكون لازماً. أما العارض فهو الذي ينشأ مع الوقف، كما في ياء (نستعين) عند الوقوف على آخرها. وأما اللازم فقد عرفوه بأنه الذي يكون في البنية النطقية للكلمة، وهو نوعان: كلمي وحرفي. ويقصدون بالكلمي ما كان فيه بعد صوت المدّ سكون أصلي ثابت، وصلاً ووقفاً، في كلمة تزيد على ثلاثة أحرف. فإن أدغم ساكنه في ما بعده، سمّي الكلمي المثقل، كما في (دابَّة، صاخة، الطامّة). وإن لم يدغم سمي الكلمي المخفف. وقد ورد هذا في قراءة عاصم، في كلمة



واحـــدة فقـــط، وردت في موضعين في القرآن الكريم. هذه الكلمة هي (آلآن). وهـــذان الموضعان هما: "آلآن وقد كنتم به تستعجلون"[١٠] و " آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين"[١١].

أمـــا السكون الحرفي فهو الذي يكون عند نطق اسم الحرف، من حروف الهجاء المتقطعة في بدايات السّوَر، كما في "قاف والقرآن المجيد"[١٢]، و "صاد والقرآن ذي الذكر"[١٣]. وحكم المدّ في الأصوات الثمانـــية الآتية هو الإشباع: السين، والنون، والقاف، والصاد، والعين، واللام. والإشباع في قراءة عاصم هو ست حركات.

ثانياً: النون الساكنة

يقصد بالنون الساكنة كل نون أو تنوين غير متبوع بحركة، كما في: من آمن، ومن صبر، ومن معه، وإنّه، و (هدىً للمتقين) و (آتية أكاد أخفيها).

وإنما جعلوا التنوين لاحقاً بالنون لسببين:

أولهما: أن التنوين في حقيقته النطقية، ليس شيئا آخر غير النون.

وثانيهما: وهـــو مترتب على الأول، أنهم وجدوا في الأداء التجويدي أن الذي ينطـــبق على النون، هو نفسه الذي ينطبق على التنوين. فلذلك كانت الأحكام التي استخلصت من الأداء النطقي للتنوين، مطابقة لتلك التي في الأداء النطقي للنون. ولا شك أن الذي انتهوا إليه، يدل على قدر كبير من الإدراك.

---

(١٠) يونس ٥١.

(١١) يونس ٩١.

(١٢) ق ١.

(١٣) ص ١.



من الفروق بين النون والتنوين، أن النون فونيم من فونيمات العربية. أي أنه صوت من أصواتها التي تتكون منها الكلمات. وأما التنوين فهو إجراء صوتي في الأسماء المعربة غير المعرفة بـ (ال)، وغير المضافة. بالتنوين يغلق المقطع، وهذه هي وظيفته الصوتية.

سنعرض هنا لدراسة بعض مسائل النون الساكنة، لنحللها من وجهة نظر صوتية معاصرة، آخذين في الوقت نفسه، بالمفاهيم التي قالوا بها. فإذا وجدنا تبايناً أشرنا إليه. والمسائل التي سندرسها هنا هي: الإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والإدغام. وهذا بيان ذلك:

١. الإظهار

الإظهار كما نفهمه الآن، في الدرس الصوتي المعاصر، هو إتمام نطق النون، ظاهراً غير مخفي، ومن موضع نطقه الأصلي، وهو اللثة. وإنما يتأتى هذا إذا كان النون (والتنوين طبعاً) متبوعاً بأحد الأصوات الستة الآتية: الهمزة ، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء.

وقد أطلقوا على هذه الأصوات الستة مصطلح "حروف الحلق". والصحيح من منظور علم الأصوات، أن العين والحاء فقط حلقيان، وأن الهمزة والهاء حنجريان، وأن الغين والخاء طبقيان velars عندما يكونان مرققين، لهويان uvulars عندما يكونان مفخمين.

غير أن تسميتهم لهذه الأصوات بأنها حلقية، لا يؤثر في صحة الحكم الذي ينجم عن وجودها بعد نون ساكنة؛ إذ تظل النون ظاهرة، غير مخفية في النطق، وتكون اللثة هي موضع نطقها.

ويلاحظ عند نطق النون، متبوعاً بأحد هذه الأصوات الستة، أن فجوة زمنية قصيرة جداً، تحدث بين تمام نطق النون، والبداية بنطق كل واحد من هذه الأصوات. فإذا نظرت في (من آمن)؛ فانك لا بد واجد انقطاعاً يسيراً، بين النون والهمزة. ويحدث مثل ذلك عند نطق (منه ومنهم). وكلما كان الكلام سريعاً



اختفت هـذه الفجوة، وظهر الصوتان (النون والهاء، أو النون والهمزة ...) متتابعين. وكلما كان الكلام بطيئاً ظهرت الفجوة الزمنية واضحة تماماً.

يـتحكم بهذه العملية أن النون هي نهاية المقطع، وأن أي واحد من هذه الأصـوات السـتة، سيكون بداية المقطع التالي. ولكن تتابع المقاطع ليس وحده كافياً، لتفسير إظهار النون؛ لأن النون تتغير ألواناً شتى من التغيرات، مع كونها نهايـة المقطع. أقول ليس تتابع المقاطع وحده هو السبب في ذلك. ولكن السبب هـو كون نهاية المقطع نوناً ساكنة غير متحركة، مع كون المقطع التالي مبتدئاً بأحد هذه الأصوات الستة.

ونضـيف إلـى ذلك، أن هذه الأصوات الستة بالذات، هي التي ساعدت النون على الظهور التام؛ لأن هذه الأصوات من الجزء الخلفي من جهاز النطق؛ في حين أن النون من الجزء الأمامي من جهاز النطق. ويجد الناطق صعوبة في الانتقال المفاجئ من صوت أمامي إلى صوت خلفي مباشرة. فلذلك يعطى الوقت الكافـي للـنون، كي يظهر واضحاً. وينجم عن ذلك أن الأعضاء الناطقة تتهيأ لـنطق الصـوت الـذي يلي من هذه الأصوات. وتكون فترة التهيؤ هي الفجوة الزمنية بين الصوتين.

٢. الإخـفـاء

يعـرّف الإخفـاء فـي كتب القراءات، بأنه "النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، من غير تشديد، مع بقاء الغنة في الحرف الأول"[١٤].

ويقـع الإخفاء عندما تكون النون متبوعة بأحد الأصوات الخمسة عشر الآتـية: الصاد ، الفاء ، الذال ، الثاء ، النون ، الكاف ، الميم ، الجيم ، الشين ، القاف ، السين ، الدال ، الظاء ، الضاد ، الظاء.

---

(١٤) محمد الصادق قمحاوي. البرهان في تجويد القرآن. القاهرة: مكتبة الجامعة الأزهرية، ١٩٧٢ ص٩.



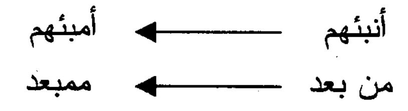
والحقـيقة النطقـية للـنون، عندما تكون متبوعة بأحد هذه الأصوات، تتلخص في أن اللسان لا ينطبق تماماً على موضع النطق، فيظل بينه وبين ذلك الموضـع فجوة يمرّ منها الهواء بحرية تامة. وهذا هو الذي يجعل بعض علماء الأصـوات يصفون النون في هذه الحال، بأنها حركة. ولست أذهب إلى تخطئة ذلك، بل هو إلى الدقة أقرب. وإذا عددنا النون حركة، كما يرى هؤلاء العلماء، فهي لا شك حركة مؤنفة nasalized vowel.

وينبغي لنا أن نتنبه جيداً، إلى أن النون عندما تكون متبوعة ببعض هذه الأصوات الخمسة عشر، يتغير موضع نطقها. وذلك واضح عندما تكون النون متـبوعة بالجيم، والكاف، والقاف. أما عندما تكون متبوعة بالجيم فإنها تصبح غارية palatal؛ أي أن موضع نطقها يصبح في منطقة الحنك الصلب (الغار). وعندما تكون متبوعة بالكاف، فإنها تصبح طبقية، وعندما تكون متبوعة بالقاف فإنها تصبح لهوية uvular .

٣. الإقـلاب

وهـو فـي اللغة تحويل الشيء عن وجهه، واصطلاحاً: جعل الصوت مكان صوت آخر.

ويظهر الإقلاب في جعل النون الساكنة ميماً إذا كانت متبوعة بالباء، مع الابقـاء على الغنة. والمقصود بالإبقاء على الغنة، هو إخراج الهواء من الأنف. ومن ذلك مثلاً:



٤. الإدغــــام

يقصــد بالإدغــام هــنا، إحداث تغييرين في النون أولهما: قلبها لتكون مجانسة لأحد الأصوات الستة الآتية، عندما تكون النون الساكنة سابقة لها: الياء، والراء ، والميم ، واللام ، والواو ، والنون. ثانيهما: إدغام الصوتين المتماثلين.

لكن هذا الإدغام ينقسم إلى قسمين، **أولهما** إدغام بغير غنة. وهذا يعني أن تــيار الهواء لا يخرج من الأنف عند نطق المدغم، بل من الفم. ويحدث هذا الإدغــام في قراءة عاصم، عندما تكون النون متبوعة بالراء أو اللام، كما في: "من له"؛ إذ تنطق هكذا: ملَّه. وكما في (من رب)، إذ تنطق هكذا: مِرْرَب.

وثانــيهما إدغام بغنة. وهذا يعني أن تيار الهواء يخرج من الأنف والفم معــاً، أو من الأنف فقط. ويحدث ذلك عندما يكون الصوت اللاحق للنون واواً، أو يــاء، أو مــيماً، أو نونــاً، كما في: "من وال"؛ فقد انقلبت النون إلى واو، ثم أدغمــت الــواوان، وكما في: "من يعمل"؛ إذ انقلبت النون إلى ياء، ثم أدغمت الياءان. في هذا النوع من الإدغام، يخرج الهواء من الأنف والفم معاً، فالصوت مؤنف nasalized .

وأمــا إذا كــان بعد النون ميم كما في "مِنْ مَنْ" تحولت النون إلى ميم. وتــيار الهــواء في هذه الحالة، كله يخرج من الأنف. ومثل ذلك يحدث عندما تكون النون مشددة، كما في "منَّة" فإن هذا التشديد مكون من نونين. والهواء كله يخرج من الأنف عند نطقه، فهو صوت أنفي nasal .

لقــد أظهر عاصم أصواتاً أدغمها آخرون من القراء. ومن ذلك مثلاً أنه أظهــر الــدال المتــبوعة بالجيم، حيث وردت، كما في: "لقد جئتم"، فلم يدغمها بالجيم.

وأظهر لام (بل) متبوعة بالراء في: "بل ران".

وأظهر نون (من) متبوعة بالراء في: "من راق".

وأظهر الدال حيث الدال المتبوعة بالضاد، حيث وردت، ومنه "فقد ضل".



وأظهر التاء إذا كانت متبوعة بالسين كما في "أنبتت سبع سنابل".

ثالثاً: التفــخيــم والترقــيــق

ســوف نقتصر على دراسة تفخيم اللام والراء. أما اللام فنعني بها لام لفظ الجلالة (الله)؛ فيجري تفخيمها إذا كانت مسبوقة بفتح أو ضم، كما في (تالله) و "يعلــمُ الله". وتــرقق اللام في قراءة عاصم، إذا كانت مسبوقة بكسر كما في (بالله) و (باسم الله).

وأمــا الــراء فلهــا حالتان، فهي إما أن تكون متحركة، وإما أن تكون ســاكنة. فالمــتحركة إذا كانت مكسورة نطقت مرققة، كما في: "رزقاً للعباد"، و "أنذر الناس"، و "الغارمين" وغير ذلك.

وإذا كانــت مــتحركة بالفتح أو بالضم، نطقت مفخمة كما في: "ربنا" و "الرحمن".

وأمــا الــراء الساكنة فتكون بعد همزة الوصل، في وسط الكلمة، وفي نهايــتها. وحكم هذه الراءات التفخيم، كما في: "اركض"، و "والذي ارتضى" و "أم ارتابوا".

الفصل الرابع

في قراءة أبي عمرو بن العلاء

* **المطلب الأول: أبو عمرو بن العلاء:**
  ١- حياته ودرايته.
  ٢- راويا قراءته.
  ٣- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة أبي عمرو.**



أبو عمرو بن العلاء

أبو عمرو زبان بن العلاء المازني (ت ١٥٤ هـ).

راويـــاه:

١. الدوري: أبو عمر حفص بن عبد العزيز الدوري (ت ٢٤٦ هـ).

٢. السوسي: أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت ٢٦١ هـ).

طـرقـــه:

١. طريقا الدوري:

(أ) أبو عبدوس : أبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس (ت ٢٨٠ هـ).

(ب) ابن فرح : أحمد بن فرح البغدادي (ت ٣٠٣ هـ).

٢. طريقا السوسي:

(أ) ابن جرير: أبو عمران موسى بن جرير (ت ٣١٦ هـ).

(ب) ابن جمهور: أبو عيسى بن موسى بن جمهور (ت ٣٠٠ هـ).

المطلب الأول

أبو عمرو بن العلاء

١. حياته ودرايته

هو أبو عمرو زبّان بن العلاء المازني، تابعي جليل، وأحد أعلام الأمة في القراءة، واللغة والنحو، عربي الأرومة والمحتد. ولد سنة ثمانٍ وستين. على أصح الأقوال وأجمعها. ونشأ بالبصرة.

وقد تنقل مع أبيه، بين مكة والمدينة والكوفة والبصرة، وقرأ فيها جميعاً على أئمة العلم والقراءة، حتى أصبح من أوعية العلم. وقيل إنه ليس أحد من السبعة أكثر شيوخاً منه. فقد سمع أنس بن مالك وغيره من الصحابة. وقرأ على حميد بن قيس الأعرج(١)، وأبي العالية(٢)، وسعيد بن جبير(٣)، وعبدالله بن كثير المكي، وابن محيصن(٤)، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع(٥). وهو أحد شيوخ سيبويه؛ فقد نقل عنه، ودوّن آراءه وأقواله ومرويّاته في الكتاب.

كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية، وكان ثقة، صالحاً، زاهداً، ذا حافظة كبيرة، فكان يحفظ أكثر ما يجمع. وقد قيل: إن مدوّناته وكتبه ودفاتره، كانت مِلء بيت إلى السقف.

---

(١) أبو صفوان حميد بن قيس الأعرج المكي. أخذ القراءة عن مجاهد، توفي سنة ثلاثين ومائة (غاية النهاية ١/٢٦٥).

(٢) أبو العالية رفيع بن مهران، أحد كبار التابعين، أسلم بعد النبي بسنتين. قرأ القرآن على عمر، مات سنة تسعين (غاية النهاية ١/٢٨٥).

(٣) انظر ترجمته في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب.

(٤) انظر ترجمته في الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(٥) هو أبو محمد يحيى بن المبارك البصري اليزيدي، إمام نحوي مقرئ علامة. أخذ القراءة عن أبي عمرو، وعن حمزة. توفي سنة اثنتين ومائتين (غاية النهاية ٢/٣٧٥).



وقال عنه الأصمعي: ما رأيت بعد أبي عمرو أحداً أعلم منه. وقال يونس بن حبيب: لو قسّم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً.

مات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة.

٢. راويـــا قراءتـــه

يروي قراءة أبي عمرو علَمان كبيران هما:

(أ) الـــدوري

هو أبو عمر حفص بن عبدالعزيز الدوري الأزدي النحوي. إمام القراءة، وشيخ الناس في زمانه. ثقة، ثبت، كبير، ضابط. وهو أول من جمع القراءات.

ارتحل الدوري في طلب العلم والقراءات. وقرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ، وقد أخذ عن عدد كبير من العلماء، كما روى عنه من لا يُحصون كثرة. توفي سنة أربعين ومائتين.

(ب) الســوســي

هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله بن الجارود، مقرئ، ضابط محرر، ثقة، أخذ القراءة عرضا وسماعاً عن اليزيدي[٦]، وهو من أجلّ أصحابه. وروى القراءة عنه عدد كبير من القراء.

---

[٦] هو أحد القراء الأربعة عشر

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة أبي عمرو

في قراءة أبي عمرو ظواهر صوتية كثيرة، تمثل لهجة تميم التي ينتمي إليها أبو عمرو. ولكن في هذه القراءة آثاراً لهجية أخرى؛ لأنها كسائر القراءات مبنية على الاختيار.

وقد اخترت الظواهر الصوتية الآتية لدراستها: الهمز، والإدغام، والإمالة، وهذا بيان ذل :

أولاً: الهمــز

كان أبو عمرو يحقق الهمزة أحياناً، ويخففها أحياناً أخرى. فقد كان يحققها عند التلاوة المفصلة؛ أي أنه كان ينطقها همزة قطع خالصة. ولكنه كان يسهّل الهمزة في الصلاة، وإذا قرأ قراءة الدرج، وإذا قرأ بالإدغام.

ولتسهيل الهمزة أحكام مفصلة، في قراءة أبي عمرو، نوجزها في ما هو آت:

١. الهمزة الساكنة المفردة

تسهّل قراءة أبي عمرو الهمزة الساكنة المفردة، التي تكون في الكلمة الواحدة، كما في: يؤمنون، يؤفكون، بئسما، الذئب، الرؤيا، مأمنه.

وقد قالوا في تفسير تسهيل الهمزة، في قراءة أبي عمرو، إن الهمزة تنقلب إلى حرف علة. أي أن الهمزة في (يؤمنون) تصبح واواً، وإن الهمزة في (بئسما) تصبح ياء، وإنها في (مأمنه) تصبح ألفاً.

وليس هذا التفسير صحيحاً، بالمعايير الصوتية المعاصرة. والصحيح أن الهمزة تتحول إلى حركة مماثلة للحركة التي قبلها، فتجتمع الحركتان وتصبحان حركة طويلة واحدة. وعلى ذلك، فإن الهمزة في (يؤمنون) تتحول إلى ضمة، فتجتمع الضمتان وتصبحان واواً. وتتحول الهمزة في (بئسما) إلى كسرة، فتجتمع



الكسرتان وتصبحان ياء. وتتحول الهمزة في (مأمنه) إلى فتحة، فتجتمع الفتحتان وتصبحان ألفاً. والمعادلة (١) توضح هذه التغيرات.

المعادلة (١)

ص (+ وقفي / + حنجري) ← ح١ / ح١ ــــــــ

"تتحول الهمزة– الصامت الوقفي الحنجري– إلى الحركة التي تماثل الحركة التي تسبقها".

واستثني من هذه القاعدة الهمزة الساكنة بالجزم كما في: "إن تمسسكم حسنة تسؤهم"(٧)، والهمزة الساكنة للبناء كما في "أنبئهم".

٢. **الهمزتان المجتمعتان في كلمة أو كلمتين**. وهذه لها أحوال، ولكل حال حكم، كما هو مبين في ما يأتي:

(أ) أن تكون الهمزتان مفتوحتين كما في (أأنت). والحكم في هذه الحال أن تسهل الثانية، مع إدخال ألف بينهما، هكذا:

أأنت ← أا ــَـ نت

والـــذي يســـمونه تسهيلاً، هو في حقيقته، حذف للهمزة الثانية، وإبقاء حركتها.

(ب) أن تكـــون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة في كلمتين ، كما في "جاء أمة رسولها"(٨). والحكم هو أن تسهل الهمزة الثانية "بين بين"

والـــذي ســـمّوه همزة "بين بين" هو في حقيقته الصوتية: الواو نصف الحركة. والمعادلة (٢) تبين ذلك:

---

(٧) آل عمران ١٢.

(٨) المؤمنون ٤٤.



المعادلة (٢)

ص
+ وقفي
+ حنجري
← ١/٢ ح
+ خلفية
/ —— ح
+ خلفية
+ مغلقة

(ج) أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة في كلمتين، كما في: "شهداء إذ". والحكم هو أن تحقق الأولى، وتسهّل الثانية "بين بين". والذي سمّوه "بين بين" هو في الحقيقة النطقية، نصف حركة أمامية، وهي الياء. والمعادلة (٣) تبين ذلك:

المعادلة (٣)

ص
+ وقفي
+ حنجري
← ١/٢ ح
+ أمامية
/ ح ——
+ أمامية
+ مغلقة

(د) أن تكون الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة في كلمتين، كما في: "نشاءُ أصبناهم". والحكم في هذه الحال، هو أن تحقق الأولى، وتصبح الثانية واواً (نصف حركة). والمعادلة (٤) توضح ذلك:

المعادلة (٤)

ص
+ وقفي
+ حنجري
← ١/٢ ح
+ خلفية
/ ح
+ خلفية
+ مغلقة
——

(هـ) أن تكون الأولى مكسورة والثانية مفتوحة من كلمتين، كما في: "وعاء أخيه". والحكم في هذه الحال، أن تحقق الأولى، وتسهل الثانية فتصبح ياء (نصف حركة)، كما هو مبين في المعادلة (٥):

المعادلة (٥)

ص (+ وقفي، + حنجري) ← ½ح (+ أمامية) / ح (+ أمامية، + مغلقة) ــــ

(و) أن تتفق الهمزتان بالفتح، أو الضم، أو الكسر. والحكم في هذه الحال هو أن تحذف إحدى الهمزتين، مع إبقاء حركتها، كما في: "جاء أمرنا". فإذا قدرنا أن الهمزة الأولى هي المحذوفة، كان تمثيل النطق هكذا:

جاء أمرنا ← جا أمرنا

وإذا قدرنا أن الثانية هي المحذوفة، وهو الذي نميل إليه، كان التقدير هكذا:

جاء أمرنا ← جاء ـَـ مرنا

ثانياً: الإدغـــام

الإدغام– بنوعيه الصغير والكبير– أبرز ظاهرة صوتية، في قراءة أبي عمرو. وقد أدغم المثلين، والمتقاربين، كما هو مبيّن في ما هو آت:

١. إدغام المثلين

إذا كانت نهاية الكلمة، مماثلة لبداية الكلمة التي بعدها، فإن أبا عمرو يدغمهما، كما هو مبين في الأمثلة الآتية:



(أ) أدغم الباء في مثلها من قوله تعالى: "لذهب بسمعهم"[٩].

(ب) أدغم التاء في مثلها من قوله تعالى: "كنت ترابا"[١٠].

(ج) أدغم الحاء في مثلها من قوله تعالى: "النكاح حتى"[١١].

(د) أدغم الراء في مثلها من قوله تعالى: "شهر رمضان"[١٢].

(هـ) أدغم السين في مثلها كما في قوله تعالى: "الناس سكارى"[١٣].

(و) أدغم العين في مثلها كما في قوله تعالى: "يشفع عنده"[١٤].

(ز) أدغم الغين في مثلها وهو موضع واحد في القرآن، ذلك هو قوله تعالى: "يبتغ غير"[١٥].

(ح) أدغم الفاء في مثلها، كما في قوله تعالى: "وما اختلف فيه"[١٦].

(ط) أدغم القاء في مثلها، كما في قوله تعالى: "أفاق قال"[١٧].

(ي) أدغم الكاف في مثلها، كما في قوله تعالى: "مناسككم"[١٨].

(ك) أدغم اللام في مثلها، كما في قوله تعالى: "قيل لهم"[١٩].

(ل) أدغم الميم في مثلها، كما قوله تعالى: "إبراهيم مصلّى"[٢٠].

---

(٩) البقرة ٢٠.

(١٠) النبأ ٤٠.

(١١) البقرة ٢٣٥.

(١٢) البقرة ١٨٥.

(١٣) الحج ١٢.

(١٤) البقرة ٢٥٥.

(١٥) آل عمران ٨٥.

(١٦) البقرة ٢١٣.

(١٧) الأعراف ١٤٣.

(١٨) البقرة ٢٠٠.

(١٩) النحل ٢٤.

(٢٠) البقرة ١٢٥.

هذا القدر من الأمثلة يكفي للاستدلال على كثرة إدغام المثلين في قراءة أبي عمرو. وقد كان شائعاً عند علماء العربية، والقراءات، أن الإدغام يقصد منه التخفيف في النطق. والحق أنه لا تخفيف في إدغام المثلين، بل إن الجهد النطقي الذي يبذل في هذا النوع من الإدغام، أكبر من الجهد الذي يبذل، عند الإدغام.

لكـنّ هـذا لا يعني أنه لا يوجد اقتصاد لغوي في إنتاج هذا النوع من الإدغـام. فالاقتصاد اللغوي لا يقتضي التيسير دائماً. ويظهر وجه الاقتصاد في أمرين أولهما أن الحركة التي تكون بين المتماثلين قد سقطت. وفي هذا تقليل في عـدد الأصـوات، ولكن ليس فيه تقليل في الجهد المبذول في ادغام الصوتين. وثانـيهما تقليل عدد المقاطع القصيرة المفتوحة المتتالية . وهو وجه من وجوه الاقتصـاد اللغوي الذي يظهر في لهجة تميم بخاصة ، وتمثله قراءة أبي عمرو خير تمثيل.

٢. إدغام المتقاربين

يُقصد بالمتقاربين أي صوتين تقارب موضعا نطقيهما. وهذا الإدغام في قراءة أبي عمرو كثير، ونكتفي بذكرما هو آت:

(أ) تدغم التاء في الثاء ، والجيم ، والذال ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، كما في الآيات:

* بالبينات ثم[٢١].
* نضجت جلودهم[٢٢].
* التاليات ذكراً[٢٣].
* فالزاجرات زجراً[٢٤].
* وجاءت سيارة[٢٥].

---

(٢١) المائدة ٣٢.

(٢٢) النساء ٥٦.

(٢٣) الصافات ٣.

(٢٤) الصافات ٣.



* بأربعة شهداء[٢٦].
* والصافات صفا[٢٧].
* والعاديات ضبحا[٢٨].
* الصالحات طوبى[٢٩].
* إلا ما حملت ظهورهما[٣٠].

(ب) تدغم الثاء في: التاء ، والذال ، والسين ، والشين ، والضاد ، كما هو واضح في:

* لبثتم[٣١].
* يلهث ذلك[٣٢].
* وورث سليمان[٣٣].
* ثلاث شعب[٣٤].
* حديث ضيف[٣٥].

---

(٢٥) يوسف ١٩.

(٢٦) النور ١٣.

(٢٧) الصافات ١.

(٢٨) العاديات ١.

(٢٩) الرعد ٢٩.

(٣٠) الأنعام ١٤٦.

(٣١) الكهف ١٩.

(٣٢) الأعراف ١٧٦.

(٣٣) النمل ١٦.

(٣٤) المرسلات ٣٠.

(٣٥) الذاريات ٢٤.

(ج) تدغم الجيم في التاء والشين كما في:

* ذي المعارج تعرج[٣٦].

* أخرج شطأه[٣٧].

(د) تدغم الحاء في العين في موطن واحد في القرآن هو قوله تعالى:

* زحزح عن النار[٣٨].

(هـ) تدغم الدال في: التاء ، والثاء ، والجيم ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والظاء كما في:

* تكاد تميَّز[٣٩].

* ومن يرد ثواب الدنيا[٤٠].

* داود جالوت[٤١].

* من بعد ذلك[٤٢].

* ولقد زيّنا[٤٣].

* قد سألها[٤٤].

* وشهد شاهد[٤٥].

---

(٣٦) المعارج ٣.

(٣٧) الفتح ٣٩.

(٣٨) آل عمران ١٣٥.

(٣٩) الملك ٨.

(٤٠) آل عمران ١٤٥.

(٤١) البقرة ٢٥١.

(٤٢) المائدة ٦٤.

(٤٣) الملك ٥.

(٤٤) المائدة ١٠٢.

(٤٥) يوسف ٢٦.

* لقد صدق الله[٤٦].

* من بعد ضراء[٤٧].

* لقد ظلَمك[٤٨].

ثالثاً: الإمالة

يميل أبو عمرو كل ألف بعدها راء مكسورة، كسرة إعراب، كما في قوله تعالى:

* من الأخيار[٤٩].

* عقبى الدار[٥٠].

ويميل كل راء بعدها ألف منقلبة عن ياء، كما في قوله تعالى:

* مجراها[٥١].

* واعتراك[٥٢].

ويميل أواخر الآي من إحدى عشرة سورة وهي: طه ، والنجم ، والمعارج ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والعلق[٥٣].

---

(٤٦) الفتح ٢٧.

(٤٧) فصلت ٥٠.

(٤٨) ص٢٤.

(٤٩) ص٤٧.

(٥٠) آل عمران ٧٤.

(٥١) هود ٤١.

(٥٢) هود ٥٤.

(٥٣) أحمد بن جعفر الغافقي (ابن الأبزازي). رواية أبي عمرو بن العلاء البصري. تحقيق د. سرّ الختم الحسن عمر. (عمان: دار عما ، ٢٠٠١) ، ص٨٣.

ويميل كل ألف منقلبة عن ياء، في آخر الكلمة، سواء أكانت الألف لام الكلمة، أم كانت للتأنيث، كما في الكلمات الآتية: نرى، يرى، اشترى، بشرى[٥٤].

وقد كثرت أقوال العلماء في الإمالة، فمنهم من يكتفي بردها إلى لهجة أو لهجات عربية. ومنهم من يعدها من التغيرات الصوتية التي تقتضيها الخفة والسهولة. ومنهم من يرى أنه لا علاقة للدلالة بها. ومنهم من اكتفى باستقراء المواطن التي تجوز فيها الإمالة والمواطن التي لا تمال فيها الألف.

أما أن الإمالة في القراءات تعود إلى أصول لهجية عربية، فهذا مما لا شك فيه. فالمعروف عن بعض القبائل العربية أنها كانت تميل أكثر من غيرها. وليس من الخطأ أن نربط بين الإمالة في العربية، والإمالة في اللغات التي يسمونها سامية. فالعربية هي أصل تلك اللغات جميعاً. وقد ناقشت هذه القضية، في كتابي "اللسانيات".

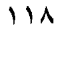
وأما الخفة والسهولة فلا علاقة لهما بالإمالة. وقد قست ترددات الألف ممالة وغير ممالة، على جهاز CSL، فتبين لي أن ترددات الألف الممالة أكثر من ترددات غير الممالة، وزمن نطق الممالة أكثر من زمن غير الممالة.

وأما ارتباط الإمالة، أو عدم ارتباطها بالمعنى، فينبغي ألاّ نطلق الحكم بعدم ارتباط الإمالة بالمعنى باطلاق، وإن كانت شواهد ذلك قليلة. فقد قرأ أبو عمرو بن العلاء قوله تعالى: "ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا"[٥٥] بإمالة (أعمى) الثانية، وعدم إمالة الأولى. فلما سئل عن ذلك قال: إن الأولى اسم، والثانية وصف (يريد أنه اسم تفضيل)، وإن بني تميم

---

(٥٤) د. عـبد الصبور شاهين. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- أبو عمرو بن العلاء. (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٠٨٧)، ص١١٣.

(٥٥) الإسراء ٧٢.



يميلونها في الوصف، ولا يميلونها في الاسم. قيل له: وهل في العمى تفاضل؟ قال: نعم؛ وإنما لا تفاضل في عمى البَصر، أما عمى البصيرة ففيه تفاضل.

الفصل الخامس
في قــراءة حـمـزة

* المطلب الأول: حمـزة بـن حبيـب:
  ١- حياته ودرايته.
  ٢- راويا قراءته.
  ٣- طرقه.

* المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة حمـزة.

حمــزة بــن حبيــب

أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات التيمي (ت ١٥٨ هـ).

راويـــاه:

١. خلف: أبو محمد خلف بن هشام البزار الأسدي البغدادي (ت٢٢٩هـ).

٢. خلاد: أبو عيسى خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي (ت٢٢٠هـ)..

طــرقـــه:

١. طريقا خلف:

(أ) أبو الحسن إدريس بن عبدالكريم الحداد البغدادي (ت٢٩٣هـ).

(ب) ابن عثمان: أبو الحسن أحمد بن عثمان الخراساني (ت٣٤٤هـ).

٢. طريقا خــلاد:

(أ) ابن شاذان: أبو بكر محمد بن شاذان الجوهري (ت ٢٨٦ هـ).

(ب) ابن الهيثم: أبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفي (ت ٢٤٩ هـ).

المطلب الأول

حمـــزة بـــن حبيـــب

١. حياته ودرايته

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، إمام أهل الكوفة، ومولـــى آل عكـــرمة بن ربعي التيمي، وقيل: بل هو عربي صليبة. وهو أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالتسليم والقبول. كان عالماً فذاً، وبحراً مـــن بحـــور العلم والصلاح. ولد سنة ثمانين من هجرة سيد المرسلين، أي في السنة ولد فيها أبوحنيفة النعمان[١]. ويحتمل بل يرجح، أن يكون قد أدرك بعض الصحابة، أو رأى نفراً منهم.

انصـــرف حمزة إلى العلم منذ صغره، وكان شديد الورع، شديد التمسك بكـــتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وقد قال فيه أبو حنيفة: "غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض"[٢].

ورأى الأعمش[٣] يوماً حمزة مقبلاً فقال: "وبشر المخبتين"[٤].

---

(١) أبـــو حنـــيفة النعمان بن ثابت أحد الأئمة المجتهدين، كوفي تيمي من رهط حمزة بن حبيـــب، كـــان خزازاً يبيع الخز وهي الثياب التي تنسج من الصوف، وهو إمام أهل الـــرأي، أدرك بعـــض الصحابة وروى عنهم، فهو تابعي جليل، توفي سنة ١٥٠ هـــ (مناقب أبي حنيفة: ١٠-٣٦).

(٢) محمـــد بن أحمد الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٣) ١/٦٠٥.

(٣) أبـــو محمد سليمان بن مهران الأعمش أحد القراء الأربعة عشر. أخذ القراءة عرضاً مـــن النخعـــي وزر بن حبيش وعاصم وغيرهم. وروى عنه القراءة حمزة، ولد سنة ٦٠هـــ ومات سنة ١٤٨ هـــ (غاية النهاية: ١/٣١٧).

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال ١/٦٠٥.



وقد قيل له (الزيات)، لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان (مدينة في آخر سواد العراق)، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعرف به[٥]. وقد توفي حمزة سنة ثمان وخمسين ومائة.

٢. راويا قراءته

وقد رويت قراءته بروايتين هما:

(أ) **رواية خلف البزار:** وهو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب البزار، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن حمزة. ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد. كان رحمه الله ثقة كبيراً زاهداً عابداً.

(ب) **رواية خلاد الصيرفي:** وهو أبو عيسى وقيل: أبو عبدالله[٦] خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي، من أئمة الكوفة المشهورين في القراءة. توفي سنة عشرين ومائتين أيضاً.

٣. طرقه

طريقا خلف:

(أ) **إدريس:** أبو الحسن إدريس بن عبدالكريم الحداد البغدادي. إمام، ضابط، متقن، ثقة. قرأ على خلف. وروى عنه ابن مجاهد وغيره. قال عنه الدار قطني: ثقة، وفوق الثقة بدرجة. توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

(ب) **ابن عثمان:** أبو الحسن أحمد بن عثمان بن محمد بن جعفر. ثقة، كبير، مشهور، ضابط. ولد سنة ستين ومائتين، ومات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

---

(٥) أحمد بن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء الزمان. تحقيق: د. احسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٦) ٢/٢١٦.

(٦) محمد بن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ١/٢٧٤.



طريقا خلاد:

(أ) **ابن شاذان:** أبو بكر محمد شاذان الجوهري البغدادي، مقريء حاذق، محدث مشهور، ثقة. روى عنه ابن شنبوذ وغيره. توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

(ب) **ابن الهيثم:** أبو عبدالله محمد بن الهيثم الكوفي. قارئ مشهور، ضابط حاذق في قراءة حمزة. وهو من أجل أصحاب خلاد. توفي سنة تسع وأربعين ومائتين.



المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءته

تمتاز قراءة حمزة بوجود ظواهر صوتية كثيرة، أكثر من أية قراءة أخرى من القراءات السبع، ما خلا قراءة أبي عمرو بن العلاء[٧] (٧). وسندرس هذه الظواهر موزعة على الأطر الآتية:-

١. المد.

٢. السكت والوقف.

٣. مماثلة الحركات.

٤. مماثلة الصوامت.

٥. الإمالة.

وفي ما يأتي مناقشة لهذه الظواهر والقواعد الصوتية التي تحكمها:-

أولا : المد

المد هو إطالة مدة الصائت حركة كان أو نصف حركة. تقسم الحركات في الدراسات الصوتية المعاصرة، بحسب الطول، إلى قصار كالفتحة والضمة والكسرة، ومتوسطات وهي التي تكون أطول من الحركات القصار، وأقصر من نظائرها الطوال. وهذه المتوسطة ليس لها وجود (فونيمي) في اللغة العربية، ذلك أن إطالة الحركة القصيرة حتى تصبح حركة متوسطة، لا يؤدي إلى تغيير في المعنى. وأما الحركات الطوال فهي ألف المد، وواو المد وياء المد. والحركات المطولة هي الألف والواو والياء عندما تزاد كمياتها، فتصبح أطول من صورتها الطبيعية. والحركات الطوال لها وجود فونيمي في العربية، ذلك أن إطالة الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة في كثير من الكلمات، تؤدي إلى

---

(٧) انظر ترجمته في الفصل الرابع من هذا الكتاب.



تغيير معناها، وذلك كما في: (مؤمنٌ) التي إذا أطيلت ضمة النون فيها أصبحت: (مؤمنون)، وكما في: (مؤمناً) التي إذا أطيلت فتحة النون فيها أصبحت: (مؤمنان)،وكما في: (مؤمنٍ) التي إذا أطيلت كسرة النون فيها أصبحت: (مؤمنين).

وهنا لا بد من أن نعرض لمناقشة مسألتين، تتصلان بمسألة التقابل بين الحركات القصار، ونظائرها الطوال. أما أولى هاتين المسألتين فهي أن بعض اللغويين العرب المعاصرين، يحاولون أن يفرقوا بين كمية الصوت ومدته الزمنية، يقول الدكتور تمام حسان: "وينبغي أن يكون واضحاً تماماً أن هناك فرقاً عظيماً جداً بين كمية الحرف، وبين المدة التي يستغرقها نطق الصوت، والكمية جزء من النمطية اللغوية، فهي جزء من النظام ،والمدة هي الوقت الذي يستغرقة نطق الصوت "[٨]. لا شك في أن كمية الصوت تمثل مقدار ذبذباته وشدتها وعلوها، ولا شك في أنها بالإضافة إلى ذلك تشمل مدته التي ينطق بها. فإذا كان التفريق بين كمية الصوت ومدته، يعني التفريق بين العام والخاص، فذلك لا خلاف عليه، وإذا كان يعني أنه لا صلة بينهما، فذلك غير صحيح، ذلك أن عدد الحزم الصوتية في حركة ما، يزداد بزيادة مدة نطق الحركة. وكذلك الشأن بالنسبة إلى تردداتها، وسرعة الهواء وحركته.

والمسألة الثانية تتمثل في الاختلاف النوعي بين الحركات القصار والحركات الطوال، ذلك الاختلاف الذي يؤدي في نظر بعض العلماء المعاصرين، إلى عدم صحة المقابلة، بين هذين النوعين من الحركات باعتبار الطول. ومعنى ذلك عدم صحة القول إن، الفارق الوحيد بين الحركة القصيرة ونظيرتها الطويلة، إنما هو فارق في الطول فقط. لقد ذهب الدكتور كمال بشر

---

(٨) تمام حسان. اللغة العربية– معناها ومبناها (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥) ص٣٠١.



إلـــى أن الكسرة العربية أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية الأولى مع فرقين اثنين:

الأول: أن مقـــدم اللســـان مـــع الكسرة العربية أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية الأولـــى، فالكســـرة العربـــية إذن حركة ضيقة، ولكن بدرجة أقل من المعيارية.

الثاني: أن أعلـــى نقطـــة فـــي هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلاً. فالكســـرة العربية إذن حركة أمامية، ولكن ليس بالدرجة التي توصف بها هذه الحركة المعيارية(٩).

لقد تأثر الدكتور كمال بشر في هذه المقولة، بما ذهب إليه دانيال جونز الذي زعم أن اللسان يرتد إلى الخلف، منحدراً قليلاً عند نطق الحركة الإنجليزية القصـــيرة (التـــي تماثل الكسرة العربية)، وأن اللسان عند نطق الحركة الطويلة (التي تقابل ياء المد في العربية)، يرتفع حتى يكون في العلو والتقدم اللذين يكون عليهما عند نطق الحركة المعيارية الأساسية الأولى(١٠).

لقـــد تأثر الدكتور كمال بشر في وصفه للحركات العربية، بما ذهب إليه دانيال جونز في وصف الحركات الإنجليزية،وهنا نود أن نبين ما يأتي:-

١. فـــي القـــراءات القرآنية- بما فيها قراءة حمزة- تنطق الكسرة في درج الكـــلام ووصـــله، بحيث لا يكون أي فرق في وضع اللسان عند نطقها، ووضعه عند نطق ياء المد. أي أن الفرق بينهما يكون في الطول، لا في وضع اللسان.

---

(٩) كمال بشر. علم اللغة العام- الأصوات (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠) ص٢٥١.

(١٠) انظر:

Daniel. Jones. An Outline of English Phonetics (Cambridge, W. Heffer & Sons Ltd., 1956) p.66.



٢. هذا، وإن إطلاق القول بوجود فرق بين الكسرة وياء المد، من حيث وضع اللسان، أمر يحتاج إلى مراجعة، وإعادة نظر، ذلك أننا وضعنا الكسرة في سياقات متصلة، وجدنا اللسان عند نطقها، كالوضع الذي يكون عليه عند نطـق يـاء المد،من حيث الارتفاع والتقدم سواء بسواء، وذلك مثل: وفه حقـه، فـإن اللسـان عند نطق كسرة الفاء في وفه حقه، يكون من حيث الارتفاع والتقدم، في نفس النقطة التي يكون عليها عند نطق ياء المد في: وفـيه حقـه. وثمـة أمثلة كثيرة توضح هذا، ولكننا نكتفي بهذا المثال، للاستدلال على عدم صحة إطلاق الحكم في هذه المسألة.

يقسـم علماء القراءات المد،من حيث طوله، إلى: مد طبيعي،ومدته مدة قـبض الإصبع أو بسطها ويسمونه أحياناً (القصر). واختلفوا بعد ذلك في تحديد أقسـام المدود، ولكن أغلبهم على القول بوجود أربع درجات فوق المد الطبيعي (القصـر) وهـي: فويق القصر، ومقداره ثلاثة حركات بأصابع اليد، والتوسط ومقـداره أربـع حـركات، وفويق التوسط ومقداره خمس حركات، والإشباع ومقداره ست حركات[١١].

تمتاز قراءة حمزة بأنها من القراءات التي تكثر فيها درجات المد الأربع المطولـة. وقـد ذكـر بعـض علمـاء القـراءات أن قراءة حمزة من أشبع القـــراءات مداً[١٢].

غـير أن علمـاء القـراءات يقسمون المدّ، من حيث موقعه، إلى أقسام كثـيرة، فمـنها: المـد المنفصل وهو الذي يقع على حرف المد الذي في آخر الكلمـة،إذا كانـت متلوة بهمزة مثل: يا أيها الذين آمنوا. ومقدار هذا المد عند

---

(١١) محمـد المحيسـن. المهـذب في القراءات العشر (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٣) ١/٣٨.

(١٢) طاهـر بـن غلبون. التذكرة في القراءات. تحقيق عبدالفتاح بحيري إبراهيم (القاهرة: الزهراء للإعلام ، ١٩٩٠).



حمــزة الإشباع، أي بمقدار ست حركات[١٣]. قال ابن مجاهد[١٤]: "وكان حمزة يميز في المد بين الهمزتين المتفقتين المرفوعتين، والمفتوحتين، والمخفوضتين، وروى خلــف[١٥] عــن ســليم[١٦] أن أطول المد عند حمزة ما كان مثل: تلقاء أصحاب النار[١٧]، وجاء أحدهم[١٨]. وكذلك ما أتى من الهمزة مفتوحاً، وإن كان همزة واحدة مثل: يأيها"[١٩].

وأمــا المد المتصل، فهو الذي يقع على حرف المد الذي تتلوه همزة في نفــس الكلمة، وذلك مثل: (الصائمين والملائكة وإسرائيل وأولئك). ومقدار هذا المد عند حمزة هو الإشباع، أي بمقدار ست حركات[٢٠]. وقد ورد عن خلف عن ســليم، أن حمزة كان يقصر المد المتصل في (الملائكة وخائفين وإسرائيل) عنه فــي (جــاء أحدهــم). ولكــنه كــان يطيل المد المتصل في (الملائكة وخائفين

---

(١٣) علــي بــن القاصح. سراج القاريء المبتدي وتذكار المقريء المنتهي (القاهرة: مكتبة البابي الخلبي، ١٩٥٤) ص ٤٩.

(١٤) أبــو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي ولد سنة ٢٤٥هــ قرأ على ابن عــبدوس وعلى عدد كبير من العلماء، له كتاب السبعة في القراءات، توفي سنة ٣٢٤ هــ (غاية النهاية: ١/٢٧٣).

(١٥) أبــو محمد خلف بن هشام البزار أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة وسمع من الكسائي، وهو عالم ثقة كبير،توفي سنة ٢٢٩هــ (غاية النهاية: ١/٢٧٣).

(١٦) أبــو عيسى سليم بن عيسى، عرض على حمزة وهو أخص أصحابه وهو الذي خلفه بالقراءة. توفي سنة ١٨٨هــ (غاية النهاية: ١/٣١٨).

(١٧) الأعراف: ٤٧.

(١٨) المؤمنون: ٩٩.

(١٩) ابــن مجــاهد. الســبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف (القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠ هــ) ص١٣٥.

(٢٠) ابن القاصح. سراح المبتدي وتذكار المقريء المنتهي ص٤٩.



وإسرائيل) أكثر مما يطيله في (أولئك)[٢١]. وقد ردّ ابن الجزري[٢٢] على التفريق فـي المد بين (الملائكة وخائفين وإسرائيل) و (أولئك) فقال: "وليس العمل على ذلـك عند أحد من الأئمة، بل المأخوذ به عند أئمة الأمصار في سائر الأعصار خلافـه، إذ الـنظر يرده،والقـياس يأباه، والنقل المتواتر يخالفه. ولا فرق بين (أولئك) و (خائفين) فإن الهمزة فيهما بعد الألف مكسورة"[٢٣].

وأمـا مد البدل، فهو الذي يكون فيه قبل حرف المد همزة فمثله (آمن، وإيمـان). وهـذا النوع من المد لم تخالف فيه قراءة حمزة سائر القراءات، إلا ورشاً فإن هذا الأخير، يمده بمقدار أربع حركات.

ومـن أنواع المد مد الحجز، وهو الذي يحجز بين الساكنين والمتحرك نحـو (الضـالين ودابة). ولم تختلف قراءة حمزة في مقدار هذا المد عن سائر القـراءات، ومقـداره الإشباع أيضاً. ويسمى هذا المد أيضاً "المد اللازم الكلمي المثقل".

ومنه مدّ المبالغة للتعظيم. ومن أمثلته التي ترد في بعض كتب القراءات مـدّ "لا إلـه إلا الله"[٢٤]. وهـنا تنشأ مشكلة في اعتبار المد في "لا إله إلا الله" للتعظيم، فالأصح أن مد "لا" هنا إنما هو من المد المنفصل الذي يكون بالإشباع في قراءة حمزة و يكون بأربع حركات فقط. ثم إن مد المبالغة لا يكون للتعظيم دائماً، فقد يكون للتوكيد، وذلك مثل "لا ريب فيه"[٢٥] و "لا شية فيها"[٢٦]، وكذلك

---

(٢١) ابن مجاهد. السبعة في القراءات، ص١٣٥.

(٢٢) شـيخ الإسـلام محمد بن محمد الجزري ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ أخذ القراءات عن شـيوخ وقـته، له تصانيف كثيرة منها النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، توفي سنة ٨٣٣هـ.

(٢٣) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ٣١٧/١.

(٢٤) ابن القاصح. سراج القاريء المبتدي وتذكرة المقريء المنتهي، ص٤٨.

(٢٥) البقرة: ٢.



"لا مــرد له" و "لا جرم"، فقد قرأ حمزة بمد "لا" في هذه الآيات مدا متوسطاً،أي بمقدار أربع حركات[٢٧].

ومن أقسام المد: مدّ اللين، مثل مد "شيء" فقد مدها حمزة مداً متوسطاً، أي بمقدار أربع حركات.

ثانياً: السكــت والوقــف

روى خلــف عن سليم عن حمزة، أنه كان يسكت على الحرف الصحيح الساكن الذي تتبعه همزة سكتاً قصيراً قبل نطق الهمزة[٢٨] دون أن يقطع نَفَسه، وذلــك بشرط عدم إسقاط الهمزة، أو نقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها. وبيان ذلــك أنه إذا قرأ كلمة (الأرض) مثلاً، فإنه يسكت على اللام قبل نطق الهمزة. ومــثل ذلك في: "هل أتاك"[٢٩] و "عليكم أأنذرتهم"[٣٠] و "نبأ ابنيْ آدم"[٣١]. وهذا هــو أحــد الوجــوه المروية عن حمزة. والعلة الصوتية التي من أجلها يتم هذا الســكت هو تحقيق النبر للمقطعين المتواليين. ولا يحسن تجاوز النظر في هذه المســألة لأن الــتأمل في حقيقة السكت يفضي إلى ما قلناه، وهو أنه لولا وجود السكت لكان من الصعب تحقيق نبر المقطعين معاً، على النحو الذي يكون عليه النبر، عند تحقيق السكت.

ومــع ذلــك، فإن ثمة وجهاً آخر مروياً عن حمزة وهو النقل. وحقيقته الصــوتية تتمثل في حذف الهمزة ونقل حركتها، إلى الصامت الذي قبلها، وذلك كما هو ظاهر في التمثيل الآتي:-

---

(٢٦) البقرة: ٧١.

(٢٧) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ١/٣٥٤.

(٢٨) ابن الفاصح. سراج القارئ المبتدى وتذكرة المقرئ المنتهي، ص ٨٠.

(٢٩) حيث وردت في كتاب الله عز وجل.

(٣٠) البقرة: ٦.

(٣١) المائدة: ٢٧.



هـ - َل - أ - َت ا ك ⟵ هـ - َل - َت ا ك

والمعادلة (١) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١)

ص [+حنجري، +وقفي] ⟵ Φ / [+ صامت] ــــ ح [+ أمامية، + واسعة]

"تسقط الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي)، إذا كانت مسبوقة بصامت ومتبوعة بفتحة (الحركة الأمامية الواسعة)" وهذا الوجه له ثلاثة أحوال هي:

١. إذا كان آخر الكلمة صامتاً (غير ميم الجمع)، وكان أول الكلمة التي بعدها همزة كما في: "من آمن" فهذا يجوز فيه السكت، ويجوز فيه نقل حركة الهمزة إلى الصامت الذي قبلها، ويجوز فيه التحقيق؛ أي بلا سكت ولا نقل.

٢. إذا كان آخر الكلمة نصف حركة، وأول الكلمة التي بعدها همزة، وذلك مثل "ابنيْ آدم، وخلوْا إلى" فالنقل هو المروي عن حمزة[٣٢]. أي أنه لا يسكت على الواو أو الياء، بل تسقط الهمزة، وتنقل حركتها إلى نصف الحركة الذي قبلها، والمعادلة (٢) توضح هذه الحالة:

المعادلة (٢)

ص [+ حنجري، + وقفي] ⟵ Φ / [+ $\frac{1}{2}$ حركة] ــــ [+ حركة]

(٣٢) ابن القاصح. سراج القارئ المبتدى وتذكرة المقرئ المنتهي. ص٨١.

(ب) أن تضـــم الميم مطلقاً، وذلك بغض النظر عن حركة الهمزة، وذلك كما هو آت:

ومنهم أميون تقرأ: ومنهمو أميون.

سواء عليهم أستغفرت تقرأ: سواء عليهمو أستغفرت

ذلكم إصري تقرأ: ذلكمو إصري

وقـــد قـــالوا في تعليل إلحاق الضم بميم الجمع: "حذرا من تحريك الميم بغير حركتها الأصلية"[٣٣].

والمعادلة (٣) توضح هذا الوجه:

المعادلة (٣)

Φ ← ح [+ خلفية، + مغلقة، + طويلة] / # [+ميم الجمع] ـــــ ص [+ حنجري، + وقفي]

(ج) الـــنقل في الضم والكسر دون الفتح، من أجل ألا يختلط بلفظ التثنية.

والمعادلة (٤) تمثل هذا:

المعادلة (٤)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← Φ / [+ ميم الجمع] ـــــ [+ ضم، + حركة]

وقـــد روي عـــن حمـــزة أنه كان يقف على الياء في "شيء" في القرآن الكريم كله[٣٤]. ومن الواضح أن الوجه الأول والثالث يسقطان الهمزة. وهذا من

---

(٣٣) المرجع السابق، ص٧٩.

(٣٤) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ٣٤٧/١.

أساليب العرب في التعامل مع الهمزة، فبعض العرب يحققون الهمزة، وبعضهم يحذفهـا، وبعضهم يبدلها حركة أو نصف حركة، قال خلف: "وقريش لا تهمز، ليس الهمز من لغتها، وإنما همزت القراء بلغة غير قريش من العرب "[٣٥] وقال ابـن الجزري: واعلم أنه من كانت لغته تخفيف الهمز، فإنه لا ينطق بالهمز إلا فـي الابتداء. والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر إلا في الابتداء، والقصد أن تخفـيف الهمـز لـيس بمنكر ولا غريب، فما أحد من القراء إلا وقد ورد عنه تخفيف الهمز إما عموماً وإما خصوصاً"[٣٦].

وقـد ذهب حمزة في قراءته، إلى اختيار الوجوه التي تعامل بها العرب الهمـزة، يقـول مكـي بن أبي طالب[٣٧]: "اعلم أن الهمزة في التخفيف لحمزة، تجـري علـى ثلاثة أوجه، الأول: البدل وذلك في الساكنة، وفي المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، وفي المتحركة التي قبلها حرف مد ولين زائد غير الألف، أو غـير زائد،أو حرف لين، فهذا كله يجري على البدل. الثاني: إلقاء الحركة، وذلك إن كان قبل الهمزة ساكن،غير ألف وغير حرف مد ولين زائد، فهذا تلقى فـيه حركة الهمزة على ما قبلها، فيتحرك ما قبلها بحركتها أو تحذفها. والثالث: بين بين، وذلك في كل همزة متحركة قبلها ألف أو حرف متحرك، إلا المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، فإنها تجري على البدل"[٣٨].

---

(٣٥) محمـد بـن القاسم الأنباري. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تحقيق: محي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧١) ٣٩٢/١.

(٣٦) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ٤٢٩/١.

(٣٧) أبـو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ولد بمدينة القيروان سنة ٣٥٥هـ من شيوخه طاهر بن غليون، من كتبه: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، توفي سنة ٤٣٧هـ (إنباه الرواة: ٣١٥/٣).

(٣٨) مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجبها، تحقيق: محي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤) ١١٥/١.



وتمـــيزت قراءة حمزة بأنها عند الوقف على كلمات مهموزة فإنها تبدل الهمـــزة حركة أو نصف حركة أو أنها تسهلها "بين بين". وهذه الظاهرة من أهم الظواهر الصوتية في هذه القراءة، بل هي في نظر بعض العلماء من المشكلات التـــي يحتاج النظر فيها إلى دراية وتعمق، قال ابن الجزري: "وهو باب مشكل يحتاج إلى معرفة في تحقيق مذاهب العربية، وأحكام رسم المصاحف العثمانية، وتميـــيز الرواية، وإتقان الدراية "[٣٩]. وفي ما يأتي إبدال الهمزة عند الوقف في قراءة حمزة:

إبدال الهمزة ضمة

* قـــرأ حمزة "لن نؤمن لك"[٤٠] (٤٠) عند الوقف: "لن نومن لك"، ولكنه في حال الوصل يبقيها على حالها ولا يبدل الهمزة ضمة.
* وقرأ "يؤمرون وتؤمرون" بإبدال الهمزة فيهما عند الوقف ضمة: "يومرون وتومرون". لكنه في حال الوصل يبقي الهمزة على حالها دون إبدال. وقد قلـــنا إن الهمـــزة هـــنا أبدلـــت ضمة، لا واواً كما كان العلماء السابقون يتصـــورون، لأن حـــركة النون هي الضم في "يؤمرون" ونظيرتها. ولما أبدلت الهمزة ضمة أصبحت الضمتان واو مد. وقد كان العلماء السابقون يتصـــورون وجود ضمة مستقلة عن الواو وسابقة لها مباشرة، وهذا غير صحيح من الناحية الصوتية. هذا والمعادلة (٥) تمثل هذا التحول:

<u>المعادلة (٥)</u>

ص [+حنجري، +وقفي] ← ح / [+خلفية، +ضيقة] ح ــــ [+خلفية، +ضيقة]

(٣٩) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ١/٤٢٨.

(٤٠) الإسراء: ٩.

٢. إبدال الهمزة فتحة

قرأ حمزة: "يأمركم عند الوقف": "يامركم"، وقرأ عند الوقف أيضاً "راسه" بدلاً من "رأسه"، وقرأ عند الوقف "فلا تاس" بدلاً من "فلا تأس". وقد قلنا إن الهمزة قلبت فتحة، لأن حركة الصامت الذي قبل الهمزة هي الفتحة، وعندما تتحول الهمزة إلى فتحة تصبح الفتحتان ألفاً، هكذا:

ر َ أ س ِ ـــه ⟵ ر َ َ س ِ ـــه

رأســـــه ⟵ راسِــــه

أي أن التحول يتمثل في إبدال الهمزة فتحة بسبب وجود الفتحة التي قبلها. ولم تتحول الهمزة إلى ألف كما ظن ابن الجزري حين قال: "وإن كان قبله فتح أبدل ألفاً". والمعادلة (٦) تمثل هذا التغير الصوتي:

المعادلة (٦)

ص [+حنجري +وقفي] ⟵ ح [+ أمامية + واسعة] / ح [+ أمامية + واسعة] ـــــ

٣. إبدال الهمزة كسرة

قرأ حمزة "شئتم" عند الوقف: "شيتم"، وقرأ "بئس" عند الوقف "بيس". وقد أبدلت الهمزة هنا كسرة لكونها مسبوقة بكسرة، ثم أصبحت الكسرتان ياء مد. وهذا يعني عدم صحة القول إن الهمزة قلبت ياء مد.



وإذن، يكون التحول الصوتي هكذا:

ب ـِ ء س ⟵ ب ـِ ـِ س ⟵ بيس

وتكون المعادلة (٧) ممثلة لهذا التغير:

المعادلة (٧):

ص [+حنجري، +وقفي] ⟵ ح / [+ خلفية، + ضيقة] ح ـــ [+ أمامية، + ضيقة]

هـــذا، ويمكن أن تجمع المعادلات من ١،٧ في المعادلة (٨) وهي المعادلة الآتية:

المعادلة (٨)

ص [+ حنجري، + وقفي] ⟵ ح١ / ح١ ـــ

يشـــير الرقم ١ على يسار الحركة ح، إلى أن الحركة التي تبدل بالهمزة هي نفس الحركة التي تكون سابقاً.

٤. إبدال الهمزة واواً (نصف حركة)

قـــرأ حمـــزة (الـــرؤيا) عـــند الوقف، وحيث وردت في القرآن الكريم (الـــروْيا)، وقرأ (مؤجلاً) عند الوقف (مُوَجلا)، وقرأ (يؤيد) عند الوقف (يُوَيد)، وقـــرأ (فلـــيؤد) عـــند الوقف (فليُوَد)، أي أن الهمزة في هذه الكلمات جميعاً قد تحولت إلى نصف حركة. وبذلك تكون المعادلة (٩) هي الممثلة لهذا التغير:

المعادلة (٩)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← ½ ح [+ خلفية] / ح [+ خلفية] ـــــ

٥. إبدال الهمزة ياء (نصف حركة)

قرأ حمزة (فئة، وفئتين، ومئة، وليطمئن، ولأقتلنّك) عند الوقف على كل منها (فية، وفيتين، ومية، وليطمين، ولَيَقتلنّك)، ويكون التغيير على نحو ما هو مبين في المعادلة (١٠).

المعادلة (١٠)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← ½ح [+ أمامية] / ح [+ أمامية، + خلفية] ـــــ

٦. التسهيل (بين بين)

ذكر ابن الجزري أن حمزة قرأ كلا من (جاءوا، وشركاؤنا، والملائكة، وجاءنا) بتسهيل الهمزة عند الوقف تسهيل بين بين[٤١]. إن الذي سماه علماء القراءات، ومنهم ابن الجزري، تسهيل "بين بين"، هو في حقيقته الصوتية، إسقاط للهمزة، مع الإبقاء على حركتها. ويظهر ذلك في التمثيل الصوتي الآتي:

شركاء – نا ← شركا – نا

وتظهر حقيقة ذلك في المعادلة (١١):

---

(٤١) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ٤٣٣/١.

المعادلة (١١)

ص [+ حنجري، + وقفي] ← Φ / ح [+ أمامية، + مفتوحة، + طويلة] ـــــ [+ خلفية، + مغلقة]

ومــن هذه الصورة ما قاله صاحب الإيضاح: "وكان حمزة يسكت على قولــه: إن الذيــن كفروا سواء[٤٢] ويمد،ثم يشم الضم من غير همز، وكذلك: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ[٤٣]، من الحق شيئاً[٤٤]، لو يجدون ملجأ[٤٥]، أو نحوه فيسكت على هذا كله بغير همز"[٤٦].

ثالثاً: مماثلة الحركات

لا شــك في أن كثيراً من عمليات التحول الصوتي السابقة، تمثل صوراً مــن المماثلــة. فالهمزة في (بئس) عندما تقلب إلى كسرة، فإن ذلك لا يكون إلا لمماثلــة الكســرة التــي قــبلها. ولكننا بادرنا إلى دراستها ثمة، لا في مماثلة الحركات، لأن ذلك التغير طارئ عارض في قراءة حمزة، بمعنى أنه لا يتم إلا عــند الوقف فقط. ولهذا، فإن تغيراً كهذا وإن كان في حقيقته مماثلة، فهو ليس مستقراً.

وفي قراءة حمزة صور كثيرة من المماثلة بين الحركات ومنها:

١. إذا كانــت الهمــزة مسبوقة بكسرة ومتبوعة بواو، كما في "مستهزءون"، فمالــئون، وليطفــئوا، والمنشــئون "فحمزة يقرؤها بإسقاط الهمزة وصلا

---

(٤٢) البقرة: ٦.

(٤٣) النساء: ٩٢.

(٤٤) النجم: ٢٨.

(٤٥) التوبة: ٥٧.

(٤٦) ابن الأنباري. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ٤٠٣/١.

وفصـــلاً[٤٧] وهكـــذا جاء في كتب القراءات، وهم يريدون بذلك أن حمزة يقرؤها كما يأتي: مستهزون، وفمالون، وليطفوا، والمنشون.

ووصـــفهم هذا يحتاج إلى إعادة نظر، فإن هذه الكلمات على هذا النمط لا يمثل سقوط الهمزة منها إلا مرحلة واحدة من مراحل تغيرها. وبيان ذلك كلمـــة (مســـتهزءون) مثلاً عندما سقطت منها الهمزة بقي الزاي متبوعاً بكسر، أي أنه ظل مكسوراً، فكانت هذه هي المرحلة الأولى، وهي هذه:

مستهز ـِ ءون ⟵ مستهز ـِ ون

والمعادلة (١٢) تمثل هذا التغير:

<u>**المعادلة (١٢)**</u>

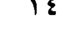
ص [+ حنجري، + وقفي] ⟵ Φ / ح ___ ح [+ أمامية، + طويلة] [+ خلفية، + ضيقة، + طويلة]

وهـــذا التغـــير هو الذي سموه "تسهيل بين بين". ولكن هذا التغير يمثل البنية قبل السطحية subsurface form.

ووجـــه المماثلـــة فـــي هـــذه المرحلة يتأتى من سقوط الهمزة من بين الحركتيـــن (الكســـرة والواو)، فتأتلف الحركتان لما بينهما من صفات مشتركة؛ فهما أولاً صائتان، وهما ثانياً حركتان ضيقتان. وثمة وجه آخر للمماثلة في هذه المـــرحلة، وهي المماثلة التي تتأتى للمقطعين من جراء سقوط الهمزة، فيصبح آخر المقطع الذي قبل موقع الهمزة مباشرة منتهياً بحركة، ويصبح المقطع الذي بعد الهمزة مبتدئاً بحركة، فيطرأ نوع من التوافق بين المقطعين.

---

(٤٧) محمد المحيسن. المهذب في القراءات العشر، ٤٩/١.



وأما المرحلة الثانية، فهي التي تم فيها الانتقال من المرحلة قبل السطحية إلى المرحلة السطحية، وذلك كما هو واضح في التمثيل الآتي:

مستهز ـِ ون ←———— مستهزون

ففي هذه المرحلة سقطت الكسرة "كسرة الزاي"، فأصبحت الكلمة مستهزون".

ويتم تمثيل هذه المرحلة بالمعادلة (١٣)، وهي الآتية:

<u>المعادلة (١٣)</u>

ص [+أمامية / +ضيقة] ← Φ / ___ ح [+ خلفية / + ضيقة / + واسعة]

وحمزة إنما يقرأ (مستهزءون) بحذف الهمزة ثم حركتها: (مستهزون) في حال الوصل فقط، ولكنه عند الوقف يقرؤها بإحدى ثلاث صور هي:-

١. مستهزون.
٢. بالتسهيل بين بين.
٣. مستهزيون، أي بإبدال الهمزة ياء خالصة، والمعادلة (١٤) تمثل هذه الحالة:

<u>المعادلة (١٤)</u>

ص [+حنجري / +وقفي] ← ح ½ [+أمامية] / ح [+أمامية / +ضيقة / +قصيرة] — [+خلفية / +ضيقة / +طويلة]

٢. تجري المماثلة بين الحركات في قراءة حمزة على الرغم من وجود صوامت تفصل بينها، وبيان ذلك في ما هو آت:



قرأ حمزة "بطون إمهاتكم[٤٨]، بكسر الهمزة، وكسر الميم المشددة[٤٩]. وقد سمى ابن جني[٥٠] هذه الظاهرة: هجوم الحركات فقال: "والضرب الثاني مما هجمت فيه الحركة على الحركة من غير قياس، وهو كبيت الكتاب:

وقال اضرب الساقين إمك هابل

وأصله: أمك هابل، إلا أن همزة (أمك) كسرت لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ: فلإمه الثلث[٥١]، فيصار: إمك هابل، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها"[٥٢].

٣. ذكر ابن مجاهد أن حمزة كان يقرأ بكسر الشين من (شيوخاً)، والجيم من (الجيوب)، والغين من (الغيوب) والباء من (البيوت)، فقال: "وكان حمزة يكسر الأول من هذه الحروف كلها"[٥٣]، ثم قال: "إنه كان يشم الجيم الضم، ثم يشير إلى الكسر، ويرفع الياء من قوله (جيوبهن)، وهوشيء لا يضبط"[٥٤]. وهنا لا بد أن نلاحظ ما يأتي:

(أ) أما أنه كان يشم الجيم الضم، فيعنى أنه كان يشرب كسرة الجيم ضماً، أي أنه كان يجعلها كالحركة المعيارية الثانوية الأولى التي تظهر في الشكل (١). والحقيقة النطقية لهذه الحركة، تتمثل في أن

---

(٤٨) النحل: ٧٨.

(٤٩) محمد المحيسن. المهذب ٨٦/٢.

(٥٠) عثمان بن جني الموصلي النحوي، من أشهر أئمة اللغة، صحب أبا علي الفارسي، من أشهر كتبه الخصائص، وسر صناعة الإعراب (إنباه الرواة: ٣٣٥/٢).

(٥١) النساء: ١١.

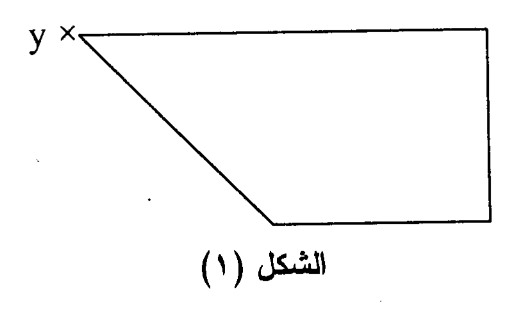
(٥٢) عثمان بن جني. الخصائص ١٤١/٣.

(٥٣) ابن مجاهد. السبعة في القراءات ، ١٧٩.

(٥٤) المرجع السابق، ص١٧٩.



اللســـان يـــتخذ الوضـــع الذي يكون عليه عند نطق الكسرة أو ياء المد،وفي نفس الوقت، يتم تدوير الشفتين[٥٥].



الشكل (١)

(ب) وأمـــا أن هـــذا شيء لا يضبط فأمر مرجوح وحكم غير دقيق. إذ يمكن ضبط ذلك عن طريق تدوير الشفتين في حالة نطق ياء المد، كما وضحنا ذلك في(أ).

(ج) وأما السبب في كسر أوائل هذه الكلمات، فهو مماثلة الكسرة للياء، فالكسرة صوت أمامي، وكذلك الياء التي هي نصف حركة. وعلى ذلـــك تكـــون المماثلة بينهما في قراءة حمزة، إذ تكسر أوائل هذه الكلمات (شيوخاً، وجيوبهن، والغيوب، والبيوت) لمماثلة الياء التي فيها. ويظهر هذا في المعادلة (١٥) وهي الآتية:

<u>المعادلة (١٥)</u>

ح [+ خلفية، + مغلقة، + مدورة] ← ح [+أمامية، +مغلقة، +مدورة] / ــــــ ١/٢ ح [+أمامية]

---

(٥٥) انظر:

J.C.Catford. Fundemental Problems in Phonetics (Bloomington, Indiana University Press, 1977) p. 178

(د) وأمـا السبب في رواية إشراب الكسرة الضم فهو المماثلة أيضاً، إذ تتحول الضمة إلى الحركة المعيارية الثانوية الأولى المحدد موضعها في الشكل (١). والحركة المعيارية الثانوية الأولى حركة أمامية كما وضحنا. أي أنه يحدث تمايل بينهما وبين الياء من حيث إن كلا منهما صائت أمامي. والمعادلة (١٦) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١٦)

ح [+ خلفية، + مغلقة، + مدورة] ← ح [+أمامية، +مغلقة، +مدورة] / ــــ ح ١/٢ [+أمامية]

٤. قـرأ حمزة "عليهم" بضم الهاء لا كسرها. ولو قرأها حمزة بالكسر، لكان ذلـك مـن إجـل إحداث التماثل بين الياء (وهي صوت أمامي) والكسرة (وهـي صوت أمامي كذلك). وقد أبقاها حمزة على الأصل. ولكن حمزة قـرأ "علـيهم الذلة"[٥٦] بضم الميم. وهذا من أجل إحداث المماثلة أيضاً، فضـمة الميم أصلها همزة الوصل في كلمة (الذلة)، وهمزة الوصل هذه فتحة، قارن:

عليهُم ـَـ لذلة ← عليهم ـُـ لذلة ← عليهمُ الذلة

هذا، والمعادلة (١٧) تمثل هذا:

المعادلة (١٧)

ح [+أمامية، +واسعة] ← ح [+خلفية، +مغلقة] / ح [+خلفية، +مغلقة] ــــ

---

(٥٦) البقرة: ٦١، وآل عمران: ١١٢.

٥. أما إذا كان قبل ميم الجمع كسرة كما في: "عن قبلتهم التي كانوا عليها"[٥٧] (٥٧)، فـإن حمـزة يقرؤها بكسر الهاء وكسر ميم الجمع هكذا: "قبلتِهمِ التي". وتكون المعادلة (١٨) هي الممثلة لهذا التغير:

المعادلة (١٨)

ح (+خلفية، +مغلقة) ← ح (+أمامية، +مغلقة) / ح (+أمامية، +مغلقة) ـــــ

رابعاً : مماثلة الصوامت

المماثلـة بين الصوامت ظاهرة ذات سيرورة واضحة في قراءة حمزة. وفي ما يأتي أهم مظاهر هذا التماثل:

١. المماثلة في الجهر والهمس: يتحول بعض الأصوات المهموسة في قراءة حمـزة إلى نظائرها المجهورة، بسبب مجاورتها أصواتاً مجهورة. ومن أمـثلة ذلـك أن الصاد في (يصدر، وفاصدع، وأصدق) تتحول إلى زاي مفخمة. ووجه المماثلة في قراءة حمزة لهذه الكلمات، أن الصاد المهموسة تـتحول إلـى نظـيرها المجهور وهو الزاي المفخمة، لمجاورتها للدال المجهورة.

٢. أما كلمة (الصراط) فلها في قراءة حمزة أربع طرق هي[٥٨]:

(أ) إشمام الصاد زايا في الفاتحة فقط (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم).

---

[٥٧] البقرة: ١٤١.

[٥٨] محمد المحيسن. المهذب ٤٥/١.

(ب) إشمام الصاد زايا في الكلمة الأولى من فاتحة، الكتاب العزيز دون الثانية.

(ج) إشمام الصاد في الكلمة المعرفة في الفاتحة وحيث وردت في كتاب الله عز وجل

(د) عدم الإشمام في الجميع.

٣. الإدغام: عرّف بعضهم الإدغام بأنه إدخال شيء في شيء، فمعنى أدغمت الحرف في الحرف: أدخلته فيه فجعلت لفظه كلفظ الثاني فصارا مثلين، والأول ساكن، فلم يكن بد من أن يلفظ بهما لفظة واحدة[٥٩].

وقد كان النحاة العرب وعلماء القراءات يفسرون الإدغام على أساس القوة والضعف، القوة في الصوت المؤثر، والضعف في الصوت المتأثر، فأقوى الصوتين يؤثر في أضعفهما، فيدغم الأضعف في الأقوى، يقول مكي بن أبي طالب: "وحجة من أدغم دال (قد) في الصاد أنهما اشتركا في المخرج من الفم،لأن لام المعرفة تدغم فيهما، ولأن الدال فيها قوة بالجهر الذي فيها، ولأن الصاد فيها قوة مكررة بالإطباق والصفير والاستعلاء اللواتي فيها، فحصل للدال بإدغامها في الصاد قوة زائدة، لأنك تبدل فيها صاداً، والصاد أقوى من الدال لما ذكرنا. وهذا مما يحسن جواز الإدغام ويقويه. والإظهار حسن، لأنه الأصل، ولأن الصاد مهموسة رخوة، وذلك ضعف متكرر فيها، فقد حصل للدال مزيتان على الصاد وهما: الجهر والشدة اللذان في الدال، فحسن الإظهار لذلك، لأنك إذا أدغمته أبدلت من الدال حرفاً مهموساً رخواً، وقد كانت مجهورة شديدة فعكستها إلى ضعف. ولولا أن الإطباق والصفير اللذين في الصاد يقويانها ما جاز الإدغام[٦٠]. وجرى مكي على هذا النسق في تفسير إدغام دال (قد) في الزاي والسين والطاء[٦١]، وإدغام ذال (إذ) في السين والتاء والصاد والدال والجيم

---

(٥٩) مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١/١٤٣.

(٦٠) المرجع السابق ١/١٤٥.

(٦١) المرجع السابق ١/١٤٤-١٤٦.



والـــزاي[٦٢]، وإدغـــام تـــاء التأنيـــث في الجيم والطاء والصاد والثاء والسين والـــزاي[٦٣]، وإدغـــام لام (هل) و (بل) في التاء والثاء والزاي والطاء والضاد والظـــاء والسين والنون[٦٤]، وإدغام الباء الساكنة في الفاء والميم، وإدغام الفاء الســـاكنة في الباء[٦٥]، وإدغام الثاء في الذال، والذال في الثاء، والراء في اللام، واللام في الراء[٦٦].

ومـــن الغريب أن مسألة إدغام صوت في صوت على أساس تميز أحد الصـــوتين بـــالقوة ظلـــت مسألة مقبولة إلى عهد غير بعيد، فقد اشتق موريس جرامونـــت، وهـــو لغوي فرنسي قانوناً سنة ١٨٤٠ سمي باسمه، وعلى أساسه زعم أن الصوت الأضعف يدغم في الصوت الأقوى[٦٧].

والأمـــر فـــي نظرنا لا يحتاج إلى تصور القوة والضعف لتفسير إدغام صـــوت فـــي صوت، وإلا لما كان باستطاعتنا أن نفسر كيف يدغم صوت قوي متمـــيز فـــي قوتـــه بصوت أضعف منه. فلام التعريف صوت مجهور واضح ســـمعياً، وشدته واضحة، وتردداته عالية، وهو صوت مجهور. ولكنه مع ذلك، يدغـــم فـــي ما هو أضعف منه، بل بما لا يقاس به وضوحاً من جهة الوضوح السمعي. ولام التعريف أوضح من الدال سمعياً، ومع ذلك فإنها تدغم في الدال. والجـــيم أوضح من الدال وأقوى، ومع ذلك فإن اللام لا تدغم في الجيم. والعين مـــن أوضح الأصوات سمعياً ومن أكثرها تردداً، ومع ذلك فإن لام التعريف لا تدغم فيها.

---

(٦٢) المرجع السابق ١/١٤٧- ١٤٩.

(٦٣) المرجع السابق ١/١٥٠- ١٥٢.

(٦٤) المرجع السابق ١/١٥٣- ١٥٤.

(٦٥) المرجع السابق ١/١٥٥- ١٥٦.

(٦٦) المرجع السابق ١/١٥٧- ٢٥٨.

(٦٧) انظر: Bertil Malmberg. Phonetics (N.Y., Dover Publications, Ltd., 1963)p.1



وعلـــى ذلـــك، فـــإن تحول صوت قوي شديد إلى ما هو أضعف منه، وإدغامـــه فـــيه أمـــر وارد كذلك. والأمر في هذا كله منوط بالاستعمال. والذي يحدث هو أن أحد الصوتين المتجاورين يفقد ملمحاً أو أكثر من ملامحه، ليتلاءم مـــع ملمـــح أو أكثر من ملامح الصوت الآخر ليس غير. ولا حاجة بنا إلى أن نتصور قوة صوت وقد هيمنت على قوة صوت آخر، أو أنها سطت عليها، كما يرى ابن جني وجرامونت.

يكثر الإدغام في قراءة حمزة، وان لم يكن بالقدر الذي نجده في قراءات سبعية[٦٨] أو عشرية[٦٩] أخرى. ويمكن حصر مجالات الإدغام في قراءة حمزة في ما هو آت:

١. **إدغام صوت وقفي في صوت وقفي:**

قرأ حمزة بإدغام الدال في الجيم وذلك كما في: "قد جئتكم"[٧٠].

وقرأ كذلك بإدغام التاء في الجيم كما في: "نضجت جلودهم"[٧١].

وقرأ بإدغام التاء في الطاء كما في "بيت طائفة"[٧٢].

٢. **إدغام صوت استمراري في صوت وقفي:**

قـــرأ حمزة بإدغام الثاء في التاء، كما في "لبثتم"[٧٣] و "لبثت"[٧٤]. وقرأ بإدغام الذال في التاء، كما في:

---

(٦٨) يكثر الإدغام بصورة متميزة في قراءة أبي عمرو بن العلاء.

(٦٩) كما في قراءة يعقوب الحضرمي.

(٧٠) آل عمران: ٤٩ والأعراف: ١٠٥ والزخرف: ٦٣.

(٧١) النساء: ٥٦.

(٧٢) النساء: ٨١ .

(٧٣) حيث وردت في القرآن الكريم.

(٧٤) حيث وردت في القرآن الكريم.



"إذ تبرأ" [٧٥].

٣. **إدغام صوت وقفي في صوت استمراري**

قرأ حمزة بإدغام التاء في السين كما في: "أنبتت سبع سنابل"[٧٦]، وكما في " وجاءت سكرة الموت"[٧٧]. وقرأ بإدغام الدال في الصاد كما في: "لقد صدق"[٧٨]، وقرأ بإدغام الدال في الضاد كما في "فقد ضل"[٧٩]. وينبغي لنا أن نلاحظ هنا أن الضاد لم تكن صوتاً وقفياً (انفجارياً) كما ننطقها في العربية الفصحى المعاصرة، فنحن الآن ننطق الضاد كما تكون الدال المفخمة. وأما الضاد العربية القديمة فقد كانت صوتاً رخواً (استمرارياً احتكاكياً). هكذا وصفها علماء العربية[٨٠] وعلماء القراءات[٨١].

ومن الأصوات الوقفية التي أدغمت في أصوات استمرارية في قراءة حمزة: الدال إذ أدغمها في الظاء،كما في "فقد ظلم"[٨٢].

٤. **إدغام صوت استمراري في صوت استمراري:**

قرأ حمزة بإدغام لام (بل) في الراء في نحو: "بل ران"[٨٣].

---

[٧٥] البقرة : ١٦٦.

[٧٦] البقرة: ٢٦١.

[٧٧] ق: ١٩.

[٧٨] الفتح: ٢٧.

[٧٩] حيث وردت في القرآن الكريم.

[٨٠] سيبويه. الكتاب، ٤/٤٣٥.

[٨١] ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ١/٢٠٢.

[٨٢] البقرة: ٢٣١ والطلاق: ١.

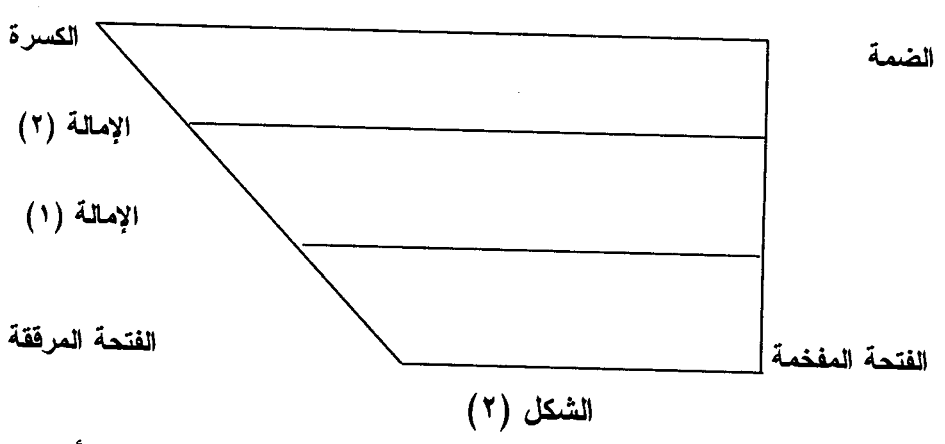
[٨٣] المطففين: ١٤.



خامساً: الإمالـــــة

الإمالة تعني إمالة الألف نحو ياء المد،وإمالة الفتحة باتجاه الكسرة. قال ابـــن يعيش[٨٤]: "الإمالة في العربية عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الـــياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة، وبين مخرج الياء. وبحسب قـــرب ذلـــك الموضـــع من الياء يكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها، والتفخيم هو الأصل والإمالة طارئة"[٨٥]. وهنا لا بد أن نلاحظ ما يأتي:

١. أمـــا أن الإمالة عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فصحيح مـــن وجهة صوتية معاصرة. ويضاف إلى ذلك إمالة الفتحة نحو الكسرة. وكذلـــك قولـــه: "وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفّتها" فإنه صحيح، وذلك كما واضح في الشكل (٢)



الشكل (٢)

وأمـــا مـــا ســـماه ابن يعيش الألف المفخمة فإنما يقصد به الألف غير الممالـــة. وقد كانوا يستعملون هذا المصطلح للألف غير الممـــالة، ولم يكونـــوا يقصـــــدون الألـــف المفخمـــة التي هي صوت خلفي، كمـــا هو موضح على

---

(٨٤) يعيش بن علي بن يعيش حلبي المولد والنشأة، له مصنفات كثيرة منها شرح المفصل، وشرح الملوكي. ولد سنة ٥٥٣هـــ، وتوفي سنة ٦٤٣هـــ (إنباه الرواة: ٤/٤٥).

(٨٥) يعيش بن علي بن يعيش. شرح المفصل ٩/٥٤.

الشكل (٢). والدليل على أنهم كانوا يريدون بهذا المصطلح الألف غير الممالة، هو استعمالهم إياه مقابلاً للألف الممالة، وذلك واضح من قول ابن يعيش: "والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة"[٨٦].

أما مواطن الإمالة عند حمزة فهي:

١. قال الداني[٨٧]: "وقد تفرد حمزة بإمالة الأفعال العشرة الآتية[٨٨]: جاء، شاء، زاد، ران، خاف، طاب، حاق، ضاق، زاغ، زاغوا"[٨٩].

وأما الأصبهاني[٩٠] فقد ذكر من هذه الأفعال ثمانية هي (زاد، وجاء، وشاء، وزاغ، وطاب، وخاب، وحاق، وضاق)[٩١] وأسقط منها: (ران، وخاف)، وذكر أن ألف (زاغت) تمال في رواية خلاد[٩٢].

وقد فسر مكي بن أبي طالب، سبب إمالة الألف في هذه الأفعال، فقال: "وعلة الإمالة في ذلك، أنه أمال ليدل على أن الحرف منها ينكسر عند الإخبار في قولك "جئت، وشئت، وزغت، وطبت، وضقت، وخبت، وخفت" فدل بالإمالة على أن الأول مكسور منها عند الإخبار، فعملت

---

(٨٦) المرجع السابق ٥٤/٩.

(٨٧) عثمان بن سعيد الداني. شيخ مشايخ المقرئين في زمانه ولد سنة ٣٧١هـ، أخذ القراءة عرضاً عن ابن غلبون والمصاحفي وغيرهما. له مصنفات كثيرة منها: التيسير، وجامع البيان وغيرها. توفي سنة ٤٤٤هـ (غاية النهاية: ٥٠٣/١).

(٨٨) هذه الأفعال أحد عشر إذا عددنا (زاغ وزاغوا) فعلين وهو الأمثل في القراءات، وهي عشرة إذا عددناهما فعلاً واحداً.

(٨٩) عثمان الداني. التيسير في القراءات السبع. ص ٥٠.

(٩٠) أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني. قرأ على ابن الأخرم وابن بويان، له كتب كثيرة منها: المبسوط في القراءات العشر، توفي سنة ٣٨١هـ (غاية النهاية: ٤٩/١).

(٩١) أحمد بن الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر. ص١١٨.

(٩٢) المرجع السابق، ص١١٩.



الكسرة فأميلت الألف لها"[٩٣]. ثم أخذ مكي يفصل القول في ترتيب علل الإمالة في هذه الأفعال من حيث الدرجة والقوة فقال "وهذه الأفعال يفضل بعضها بعضاً في قوة الإمالة فيها، فأقواها في الإمالة "جاء،وشاء، وذلك أن فيها أربع علل تقوى الإمالة بها،إحداها ان الألف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء فيهما والثانية أن الألف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء فيهما. والثالثة ان الهمزة في آخرها تشبه الألف لأنها أختها في قرب المخرج، وفي أنها تبدل الهمزة كثيراً، فصار كأن في آخرها ألفاً، فقويت الإمالة لذلك. والرابعة أن العين في المستقبل منهما مكسورة، فأميلت الألف في الماضي، لتدل على كسرة العين في المستقبل، كما أميل "خاف" لكسر الخاء في الإخبار، فهي إمالة لشيء مقدر في الكلام فيهما"[٩٤].

٢. قال ابن مجاهد: " وأما حمزة فكان لا يميل من ذلك شيئاً، إلا قوله (الأشرار، والقرار، وذات قرار، والواحد القهار، والبوار"[٩٥] (٩٥). وهو يقصد بقوله: "لا يميل من ذلك شيئاً: كل ألف تأتي بعدها راء مكسورة مثل: "أصحاب النار". والأمر بحاجة إلى إرجاع نظر في ما قاله ابن مجاهد من زاويتين:

الأولى: ان إمالة (الأشرار) و (القرار) ..... وسائر نظائرهما، هو في الحقيقة إحدى روايتين عن حمزة،وهي رواية خلف. وأما رواية خلاد فلا تميل من ذلك، إلا ما انتهى براء مكسورة، وإلا ما كانت الراء المكسورة في

---

(٩٣) مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١/١٧٥.

(٩٤) المرجع السابق، ١/١٧٥.

(٩٥) ابن مجاهد. السبعة في القراءات. ص١٤٩.



آخــره مكــررة كما في (قرار)[96]. وكان من الحق أن يذكر ابن مجاهد رحمه الله ذلك.

الثانية: أن علة الإمالة في (الأشرار، والقرار، والأبرار) ليس بسبب كون الراء الأخيرة مكسورة، بل لكون الراء مكررة كما ذكر الأصبهاني[97]. نعم، إن العلــة فــي إمالة ألف (في النار) و (بقنطار) في قراءة حمزة، هي كون الألف متبوعة براء مكسورة،ولكن العلة في هنا هي تكرار الراء[98].

٣. قــرأ حمزة بإمالة كل ألف تسبقها راء، مع كون الألف منقلبة عن ياء في الأصل نحو: (نرى، ترى، اشترى)، وما كان من هذا الباب.

٤. إمالة حمزة الفتحة التي تسبق التاء التي في آخر الأسماء المؤنثة، في حال الوقــف علــيها وذلك مثل: شجرة، وأمة، ولعنة، وقوة، ومعدودة، وجنة، وربوة، وخطيئة، والملائكة، وبقرة.

٥. أمــال حمــزة ألف (كلاهما) في قوله تعالى: أحدهما أو كلاهما"[99]. وقد أشار مكي بن أبي طالب إلى مضمون المماثلة غير المباشرة التي تتحصل مــن إمالة ألف (كلاهما)، فذكر أن هذه الألف أميلت لتماثل كسرة الكاف، وقــال: "ولم يعتد باللام لأن الحرف الواحد لا يمنع ولا يحجز. وقد أمالت العرب الألف للكسرة التي قبلها، وقد حال قبلها حرفان،ن حو قولهم: (لن تضربها، وتريد أن تنزعها)، فأمالوا المكسورة ولم يعتدوا بالهاء لخفائها، ولا بالباء ولا بالعين لأنه حرف واحد "[100].

---

(96) الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر. ص١١٢.

(97) المرجع السابق، ص١١٢.

(98) المرجع السابق، ص١١١.

(99) الإسراء: ٢٣.

(100) مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ١٧٣/١.

وقـــد استدل البصريون بإمالة ألف (كلاهما) في هذه القراءة[١٠١]، على أنها ليست للتثنية، إذ لو كانت للتثنية لما أميلت[١٠٢].

٦. ذكـــر مكي بن أبي طالب أن مما تفرد حمزة بإمالته ألف (آتيك) من قوله تعـــالى: "أنـــا آتـــيك به"[١٠٣] وقال :" أمال الألف على أنها فاعل، وأمال الهمزة لكسرة التاء"[١٠٤].

٧. وأمال حمزة كل ألف تدل إمالتها على أصلها، كأن تكون الألف مما أصله ياء، أو تكون زائدة رابعة أو أكثر، فيكون حكمها حكم ما أصله الياء، أو تكون الألف للتأنيث، وذلك مثل: "أتى، وتعالى، والهدى، والهوى، وتزكى، ويرضى، وكسالى، ويتامى، وحوايا، وشتى، وصرعى"[١٠٥].

---

(١٠١) عبدالرحمـــن الأنـــباري. الإنصـــاف في مسائل الخلاف. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٦١) ص ٤٤٨.

(١٠٢) المرجع السابق، ص٤٤٨.

(١٠٣) النمل: ٣٩.

(١٠٤) مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. ١/١٧٣.

(١٠٥) المرجع السابق ١/١٧٧-١٧٨.



الفصل السادس
في قراءة نافع

* **المطلب الأول: نافع:**
  1- حياته ودرايته.
  2- راويا قراءته.
  3- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة نافع.**



نــافـــع المــدنـــي

أبو رويم نافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩ هـ).

راويــــاه:

١. قالون: أبو موسى عيسى بن مينا الزرقي المدني (ت ٢٢٠ هـ).

٢. ورش: أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري (ت ١٩٧ هـ).

طـرقـــه:

١. طريقا قالون:

(أ) أبو نُشِيْط : محمد بن هارون الربعي (ت٢٥٨هـ).

(ب) الحلواني: أبو الحسن أحمد بن يزيد (ت ٢٥٠ هـ).

٢. طريقا ورش:

(أ) الأزرق: أبو يعقوب يوسف بن عمرو المدني (ت ٢٤٠ هـ).

(ب) الأصبهاني: أبو بكر محمد بن عبد الرحيم الأسدي (ت ٢٩٦ هـ).

المطلب الأول

نـــافـــع

١. حياته ودرايته

هو أبو رويم نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، أصله من أصـــفهان. ولـــد سنة سبعين من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد اشتغل بإقـــراء الـــناس فـــي المســـجد النبوي، حتى صار إمام قراء المدينة المنورة، وأصـــبحت قراءته دون غيرها قراءة أهل المدينة. وقد أمَّ الناس في مسجد النبي ستين سنة [١]. وقد أجمع الناس عليه بعد وفاة شيخه أبي جعفر سنة ١٢٨هـــ.

كان رحمه الله زاهداً عابداً، شديد التواضع، يلاطف الناس. وكان زكي الرائحة، طيب النَّفَس، حتى إنه كان إذا تكلم يشمّ من فيه رائحة المسك. وقد سأله بعـــض الـــناس: أتمسُّ طيباً كلما قرأت؟ قال: ما أمسُّ طيباً، ولكني رأيت النبي صـــلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقرأ في فيّ. ومن ذلك الحين أشمّ من فيّ هـــذه الـــرائحة. وكـــان رحمه الله أسود شديد السواد، صبيح الوجه، قيل له: ما أصبح وجهك! قال: كيف لا أكون كذلك، وقد صافحني رسول الله صلى الله عليه وســـلم، وعليه قرأت القرآن (أي في النوم). توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين ومائة.

---

(١) محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ٣٣٣/٢.



قــرأ نــافع علــى سبعين من التابعين، منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وعبدالرحمــن بن هرمز الأعرج[٢]، وصالح بن خوّات[٣]، ومسلم بن جندب[٤]، ويزيد بن رومان[٥] والزهري[٦]، وعبدالرحمن بن القاسم[٧]، رحمهم الله جميعاً.

توفي رحمه الله سنة تسع وستين ومائة، وقيل سبعين ومائة، وقيل غير ذلك.

---

(٢) تابعــي جلــيل؛ أخذ القراء عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس وابن عياش. توفي في الإســكندرية سنة مائة وسبع عشرةوقيل مائة وتسع عشرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٨١.

(٣) صالح بن خوّات بن النعمان الأنصاري المدني. روى القراءة عن أبي هريرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٣٢.

(٤) أبو عبدالله مسلم بن جندب الهذلي. روى عن أبي هريرة وابن عمر وحكيم بن حزام. أدّب عمــر بــن عبدالعزيز. توفي في المدينة سنة مائة وثلاثين. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٢٩٧.صالح بن خوّات بن النعمان الأنصاري المدني. روى القــراءة عــن أبي هريرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٣٢/١.

(٥) أبــو روح يــزيد بــن رومان المدني، مولى ابن الزبير، ثقة ثبت فقيه قارئ محدث. عــرض علــى ابــن عياش. روى عنه مالك بن أنس وابن إسحاق. توفي سنة مائة وعشرين. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٨١.

(٦) أبــو بكر محمد بن مسلم الزهري أعلم الحفاظ،ولد سنة خمسين وحدث عن ابن عمر وأنس وابن المسيب، توفي سنة مائة وأربع وعشرين. انظر: تذكرة الحفاظ ١؟١٠٨ .

(٧) أبــو عــبدالله عبد الرحمن بن القاسم، الفقية المالكي، صحب مالكاً عشرين سنة، وهو صــاحب "المدوّنــة" كان عالماً عابداً زاهداً، توفي سنة واحدة وتسعين ومائة. انظر: وفيات الأعيان ٣/١٢٩.



٢. راويا قراءته

قراءة نافع إحدى القراءات السبع المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول والتسليم. وقد اختارها نافع من بين قراءات أئمة القراءة في المدينة المنورة. وقد وصفها مالك، إمام دار الهجرة فقال: "قراءة أهل المدينة سنة" فقيل له: "قراءة نافع؟" قال: نعم(٨). وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن أحب القراءات إليه، فقال: "قراءة أهل المدينة"(٩).

أما وصف الإمام مالك لهذه القراءة بأنها سنّة، فالمقصود منه أنها سنّة أهل المدينة، كما أن قراءة ابن كثير سنة أهل مكة، وكما أن قراءة أبي عمرو بن العلاء سنّة أهل البصرة. وليس المقصود من ذلك أن هذه القراءة دون غيرها سنّة؛ فإن القراءات المتواترة كلها توصف بهذا الوصف لقطعية ثبوتها جيلاً عن جيل، إلى سيد المرسلين.

انتشرت قراءة نافع في كثير من الأمصار الإسلامية؛ فقد دخلت هذه القراءة بلاد الشام في القرن الثالث الهجري. وفي أواسط القرن الثالث أيضاً دخلت إلى العراق. ودخلت مصر وتونس والأندلس في القرن الثاني الهجري. وفي أيامنا هذه، يقرأ بقراءة نافع- برواية قالون- في تونس وليبيا، وبرواية ورش في الجزائر والمغرب والسودان، وبعض الدول الإفريقية الأخرى مثل: تشاد، والسنغال وغيرها.

(أ) **قالون:** هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبدالصمد، مولى بني زهرة، أصله رومي. و (قالون) لقبه الذي أطلقه عليه شيخه نافع؛ ذلك أنه كان كلما قرأ أجاد وجوّد، فكان شيخه يثني عليه بهذه الكلمة الرومية الأصل (قالون)، وتعني (جيد)؛ يقصد بذلك أن يداعبه بلغة أجداده ثناءً واستحساناً. ثم غلب هذا اللفظ عليه، فأصبح لقباً له.

---

(٨) محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٣١-٣٣٢.

(٩) المرجع السابق، ٢/٣٣٢.



وُلد قالون سنة مائة وعشرين. وقد ظل ملازماً لنافع، وقرأ عليه القرآن مرات كثيرة. كان عالماً بالعربية، حتى إنه كان يعلّمها كما كان يعلّم الناس القرآن وقراءته.

وصف أصحاب التراجم (قالون) بأنه كان أصم[١٠]. وذهب بعضهم إلى أنه لم يكن يسمع غير القرآن الكريم[١١]. ومن بدائة الأمور أن وصفه بالصمم يتعارض مع حسن تلقّية القراءة من شيوخه. وما كان لشيخه نافع، ولا لأحد غيره، أن يجيزه، وهو على الدرجة التي وصفوه بها من شدة الصمم؛ فقد قيل إنه كان إذا ضُرب الطبل لم يسمعه[١٢]. ولهذا، فالخبر في نظرنا مردود؛ لأنه يتنافى مع سلامة التّلّقي، إلا أن يكون الصّمم قد أصابه على كبر. وحتى هذه في النفس منها شيء، لأن حسن التعليم يقتضي سلامة السمع؛ بخاصة في تعليم القراءة؛ ذلك أن المقرئ يظل بحاجة إلى سلامة سمعه، من أجل أن يصحح أداء تلاميذه. وما كانت رؤية حركة الشفتين لتغني عن السمع.

والذي أذهب عليه في هذه المسألة، أنه كان لبعض السلف الصالح أحوال خاصة، لا تقاس على أحوال العامة، ولا تنقاس تلك عليها. وربما كان بعض هذه الأحوال يجري على قالون؛ فيؤخذ بكلام الله، حتى لا يسمع غيره من الكلام، لا عن علة في سمعه، بل عن تجلة فيه لكلام الله. ومن الطبيعي أن الدربة على ذلك هي التي تؤدي إلى هذا الذي قلته. هذا إذا سلمنا بصحة الخبر أنه كان أصمّ. فإذا قيل إن مثل ذلك لم يعرف عن سائر القراء، ولا روي لنا عنهم شيء منه، كما روي عن قالون، إذا قيل ذلك قلنا: إن طبائع الناس وخصوصياتهم تتفاوت من شخص إلى آخر،

---

(١٠) محمد بن محمد الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٦١٦/١.

(١١) المرجع السابق ٦١٦/١.

(١٢) المرجع السابق ٦١٦/١.



فما يجري على أحدهم قد لا يجري على سائر الناس، حتى لو كانوا جميعاً قد مرّوا بإعداد ودربة متماثلين.

مات رحمه الله سنة مائتين وعشرين من هجرة سيد المرسلين.

(ب) **ورش:** هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبدالله بن عمرو المصري. ولد سنة مائة وعشر. وكان أشقر الشعر، أزرق العينين، أبيض اللون، يشبه في بياضه الورش، وهو الأقِط المصري (اللبن المجفف). وقد سماه شيخه ورشاً؛ لأنه كان في بياضه يشبه بياض الأقط المصري الذي كان المصريون يصنعونه في زمانه. وأرجح هذا السبب في هذه التسمية، على السبب الآخر الذي ذكروه، وهو أنه كان قصره وشدة بياضه، يلبس ثوباً أبيض قصيراً؛ فيظهر مثل الورشان وهو طائر أبيض مثل الحمام. قلت: إنني أرجح القول الأول؛ لأن بياض اللبن مورد لتشبيه بياض الأشياء. وكذلك ما كان منه في بياضه كالجبن والأقط.

قدّم من مصر إلى المدينة من أجل القراءة، سنة مائة وخمس وخمسين؛ فقرأ على نافع عدّة ختمات، ثم رجع إلى مصر،حتى انتهت إليه رياسة الإقراء فيها. وكان ورش عالماً بالعربية متقناً لها.

توفي رحمه الله سنة مائة وسبع وتسعين.

٣. طرقه

طريقا قالون:

(أ) **أبو نُشَيْط:** أبو جعفر محمد بن هارون الربعي البغدادي، ويعرف بأبي نُشيط، مقرئ جليل ضابط مشهور ثقة. قال عنه ابن أبي حاتم: صدوق، سمعت منه ببغداد. توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين.

(ب) **الحلواني:** أبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني إمام عارف كبير صدوق متق. قرأ بمكة والمدينة والكوفة. توفي سنة مائتين وخمسين أو بعدها.



طريقا ورش

(أ) **الأزرق:** أبـــو شـــعيب يوســـف بن عمرو بن يسار المصري المعروف بـــالأزرق. ثقة، محقق، ضابط. وقد خلف ورشاً في القراءة والإقراء في مصر. توفي سنة أربعين ومائتين.

(ب) **الأصـــبهاني:** أبو بكر محمد بن عبدالرحيم الأسدي صاحب رواية ورش عند العراقيين. إمام، ضابط، مشهور، ثقة. نزل ببغداد، وروى عنه خلق كثيرون. توفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين.

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة نـــافـــع

اخـــترنا عدداً من الظواهر الصوتية في قراءة نافع، لمناقشتها والتعرف إلى أنماط تحققها في هذه القراء. وهذه الظواهر هي:

١. أحكام الهمزة.

٢. الإمالة والفتح.

٣. أحكام المقطع.

٤. المماثلة (اللامات،والراء،والإدغام).

٥. المدّ والقصر.

وهذه مناقشة لهذه الظواهر:-

أولاً : أحكام الهمزة

١. **الهمزة المفردة:** اتفق ورش وقالون، على ترك همز فئة من الكلمات التي فيها همزة واحدة، واتفقا على همز فئة ثالثة:

أما ما اتفقا في ترك همزه فالكلمات الآتية: (بيسٍ) من قوله تعالى: "وأخذنا الذيـــن ظلمـــوا بعـــذاب بـــيسٍ بمـــا كانوا يفسقون"[١٣]، و (الصابين) و (الصـــابون) حيـــث وردتا،و (يضاهون) من قوله تعالى: "يضاهون قول الذيـــن كفروا من قبل"[١٤]، و (الراي) و (يضاهون) من قوله تعالى: "وما نـــراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي"[١٥]، و (ياجوج وماجوج)

---

(١٣) الأعراف: ١٦٠.

(١٤) التوبة: ٣٠.

(١٥) هود: ٢٧.



حيث وردتا، و (منساته) في قوله تعالى: "ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منساته"[١٦]، و (موصدة) حيث وقعت[١٧].

ولا يجري ترك الهمز في هذه الكلمات على نمط صوتي واحد، بل هو من ثلاثة أنماط؛ فأولها ما حذف منه الهمزة والحركة التي قبلها. وهذا يشمل الكلمات الآتية: بئيس، صابئين، صابئون، يضاهئون، وذلك على نحو ما هو واضح فيما يأتي:-

بـ ـــِ ئـ يـ س ⟵ بـ يـ س (بيس)

صا بـ ـــِ ئـ و ن ⟵ صا بـ و ن(صابون)

صا بـ ـــِ ئـ يـ ن ⟵ صا بـ يـ ن (صابين)

يضا هـ ـــِ ئـ ون ⟵ يضا هـ و ن (يضاهون)

الغريب في عملية الحذف التي جرت في هذه المجموعة من الكلمات، أن المحذوف منها شيئان هما: حركة وصامت ؛ فقد حذف من الكلمة الأولى (بئيس) فتحة الباء وهمزة القطع، وحذف من الكلمات الثلاث الأخرى (صابئون، وصابئين، ويضاهئون): الكسرة وهمزة القطع.

لا يتوقع أن يكون الحذف قد تمّ دفعة واحدة، بل على دفعتين في مرحلتين متتاليتين، ويتوقع أن تكون كل واحدة منهما، قد حدثت بسبب صوتي معين. ومن المحتمل أن تكون المرحلتان قد حدثتا على النحو الآتي:

(١٦) سبأ: ١٤.

(١٧) محمد بن محمد الجزري. النشر في القراءات العشر ١/٣٩٣- ٣٩٧.



١. لمـــا كانـــت همزة القطع في هذه الكلمات، محصورة بين حركتين، كان التخفف منها بإسقاطها، ويمثل ذلك المعادلة الآتية:

همزة القطع ⟵ Φ / ح ــــ ح

٢. على الرغم من هذا التخفيف، فإن ثمة صعوبة ما زالت قائمة، وتتمثل في كون مقطعين متتاليين، ينتهي أولهما بحركة (هي الفتحة أو الكسرة)، ويبدأ ثانـــيهما بحـــركة، هـــي الياء في بعضها، والواو في بعضها الآخر. وقد صاروا إلى التخفف من هذه الصعوبة بحذف الحركة القصيرة (الفتحة أو الكســـرة)، والإبقاء على الياء في (بيس) و (صابين)، والإبقاء على الواو في (صابون) و (يضاهون). ويمثل ذلك المعادلة الآتية:-

ح [+ قصيرة] ⟵ Φ / ح [+طويلة]

وثانـــيهما، ما حذفت منه الهمزة فقط، ويتمثل ذلك في كلمة واحدة هي: (منساته)، وبيان ذلك كما يأتي:

مـــ ـِ نـ/ســـ ـَ/ئـ ـَ/تـ ـُ هـ ⟵ مــ ـِ نـ/ســـ ـَ ـَ/ت ـُ هـ

سقطت الهمزة، واجتمعت الفتحتان، فتحة السين، وفتحة الهمزة، فأصبحتا ألفاً (منساته).

وثالثها، ما انقلبت فيه الهمزة إلى حركة مشابهة للحركة التي قبلها. وهذا يشمل كلمتين من هذه المجموعة، وهما: الرأي، ومؤصدة، هكذا:

ر ـَ أ ي ⟵ ر ـَ ـَ ى (راي)

مــ ـُ ئـ صــ ـَ د ـَ هـ ⟵ مــ ـُ ـُ ص ـَ د ـَ هـ (موصدة)

وأمـــا ما اتفق ورش وقالون في همزه فمثل: (النبيء) و (الأنبئاء) وما تصـــرف منه، و (مدائن) و (خلائف) و (خزائن)، وشبه ذلك من الجمع



المتناهي الذي همزته زائدة، و (قائم) و (ضائق) و (صائمين) و (الرأس) و (شـئت) و (ادّارأتم) و (البريئة) و (رئاء الناس) و (كفؤا) و (هزؤا)، وغير ذلك.

وأما ما اختلفا في همزه، فالهمزة الساكنة الواقعة في موضع فاء الكلمة. قال ابن جزيّ عن هذه الهمزة: "فورش يبدلها ألفاً إن كان قبلها فتحة نحو: (ياكلون)، و (المستاخرين)، و (مامنه)، (فاتوهنّ) و (تاويله). ويبدلها واواً إن كـان قـبلها ضـمة نحو (يومنون) و (الموتفكة) و (يقول ايذن لي). ويبدلها ياء إن كان قبلها كسرة نحو (وللارض ايتيا)، وهمز من ذلك باب الإيواء كله نحو (المأوى) و (تؤويه)" [١٨].

هـذا الذي ذهب إليه ابن جزي، أمر مجمع عليه بين العلماء المتقدمين: قـرّاءً ونحـاة؛ فهـم جميعاً يرون أن همزة (يأكلون) قلبت إلى ألف في (يـاكلون)، وأن همزة (يؤمنون) قلبت إلى واو في (يومنون)، وأن همزة (ائتـيا) قلبـت إلـى ياء في (ايتيا). وليس الأمر كذلك بكل تأكيد. فهمزة (يـأكلون) قلبـت إلى فتحة لمجانسة الفتحة التي قبلها (وهي فتحة الياء). اجتمعـت الفتحـتان فأصـبحتا ألفـاً. وهمزة (يؤمنون) قلبت إلى ضمة، لمجانسـة ضـمة الياء التي قبلها. اجتمعت الضمتان واواً. وهمزة (ائتيا) قلبت إلى كسرة، لمجانسة همزة الوصل التي قبلها (وهي كسرة خالصة). اجتمعت الكسرتان، فأصبحتا ياءً في (ايتيا).

وممـا يتّصل بباب الهمزة المفردة في الكلمة الواحدة أن الهمزة إذا كانت مسـبوقة بصامت ساكن، أو نصف حركة ساكنة، فإنها تسقط عند ورش، وتبقى حركتها، وذلك كما في: (الأرض) و (الاخرة) و (الاحسان) و (قد

---

(١٨) محمـد بـن جزي. البارع في قراءة نافع. (نسخة من دار الكتب الوطنية بتونس برقم ٣٧٢).



افلــح) و (ابني ادم) و (ألفوا اباءهم). فإن الهمزة في هذه الكلمات تسقط وتبقى حركتها، وذلك كما هو مبين فيما يأتي:-

ال أ ـَ ر ض ⟵ ال ـَ ر ض (الَرْض)

ال ء ا خ ـــ ِ ر ـَ ة ⟵ ال ا خ ـــ ِ ر ـَ ة (الآخرة)

قـ ـَ د ء ـَ فـ ل ـَ ح ⟵ قـ ـَ د ـَ فـ ل ـَ ح (قَدَ فْلح)

ا بـ ن ـَ ي ء ا د ـَ م ⟵ ا بـ ن ـَ يـ ا د ـَ م (ابنيا دم)

٢. **الهمزتان من كلمة واحدة: وهما من ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: أن تكونا مفتوحتين، كما في (أأنذرتم) و (أألد).

أمــا ورش فقــد قالوا إنه يبدل الثانية منهما ألفاً[١٩]. وغني عن البيان أن الهمــزة الثانــية لــم تبدل ألفاً، ولكنها سقطت،وبقيت حركتها، فاجتمعت الفتحتان فأصبحتا ألفاً، هكذا:

أ ـَ أ ـَ ل ـِ د ⟵ أ ـَ ـَ ل ـِ د (آلِدُ)

وأمــا قالون فقد قالوا إنه يسهّلها، ويدخل قبلها ألفاً[٢٠]. أما أنه أدخل قبل الثانــية ألفاً، وأنه سهّلها فلا. والذي حدث أنه أطال فتحة الهمزة الأولى، فأصــبحت ألفــاً. ولم يدخل ألفاً على الكلمة. ثم إنه حذف الهمزة الثانية، وأبقى حركتها، هكذا:

أ ـَ أ ـَ ل ـِ د ⟵ أ ـَ ـَ ـَ ل ـِ د (آ ـَ لِد)

---

(١٩) محمد بن محمد الجزري. النشر في القراءات العشر ١/٣٦٣- ٣٦٤.

(٢٠) المرجع السابق ١/٣٦٤.



القســم الثاني: أن تكون الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، نحو (أ إذا) و (أئــنكم). قـــال ابن جزي: "فنافع يسهل الثانية بين الهمزة والياء، ويدخل قـــالون قبلها ألفاً، ولا يدخلها ورش "[21] (٢١). قلت : أما أن نافعاً يسهل الثانـــية فهـــذه وجهة نظر القراء. وأما الدرس الصوتي الحديث فيرى أن الهمزة لم تسهل، ولكنها حذفت، وبقيت حركتها، هكذا:

أ ــَـ / إ ــِـ / ذا ←——— أ ــَـ / ــِـ / ذا (أ ــِـ ذا)

وأما أن قالون يدخل قبل الهمزة الثانية ألفاً، فيحتاج إلى مراجعة؛ فالذي حدث هو أن فتحة الهمزة الأولى أطيلت، حتى أصبحت ألفاً،هكذا:-

أ ــَـ / إ ــِـ / ذا ←——— أ ــَـ ــَـ / ــِـ / ذا (أ ــِـ ذا)

القسم الثالث: أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة، نحو: (أؤلقي) و (أ أنزل)، قالون فيما يرى القراء يسهّل الهمزة الثانية. وقد رأينا أن هذا التســهيل إنمـــا هـــو فـــي حقيقته الصوتية حذف للهمزة الثانية، مع بقاء حركتها.

٣. **الهمزتان من كلمتين:**

وهما قسمان: متفقتان ومختلفتان، فالمتفقتان ثلاثة أقسام هي:

الأول: المفتوحـــتان نحـــو: (جاء أجلهم)، فورش يحقق الأولى، ويسهّل الثانـــية. وقد عرفنا أن هذا الذي سمّوه تسهيلاً ما هو في الدرس الصوتي الحديث، إلا حذف الهمزة الثانية، مع إبقاء فتحتها، هكذا:-

---

(٢١) محمد بن جزي. البارع في قراءة نافع (مخطوط)/ مرجع سابق.

جا / ء ــَ / أــَ/ جلهم جا /ء-/ جلهم ←جا / ء ــَ / ــَ / جلهم (جاء ـ جلهم)

وأما قالون فيسقط الأولى، ويحقق الثانية، هكذا:-

جا / ء ــَ / أ ــَ / جلهم ← جا / ــَ / أ ــَ / جلهم

الثاني: المكسورتان: نحو (من السماء إلى)، فورش يحقق الأولى ويسهّل الثانية. وقد عرفنا أن ما سموّه تسهيلاً، إنما هو حذف للهمزة، مع إبقاء حركتها. وأما قالون فإنه يسهّل الأولى ويحقق الثانية؛ أي أنه يحذف الأولى ويبقى حركتها، ويبقى الهمزة الثانية وحركتها.

الثالث: المضمومتان وهو " أولياء أولئك" من قوله تعالى: "وليس له من دونه أولياء، أولئك في ضلال مبين"[٢٢] (٢٢) فورش يحقق الأولى ويسهّل الأولى الثانية؛ أي أنه يحذف الثانية، ويبقى حركتها. وأما قالون فإنه يسهل ويحقق الثانية.

وأما الهمزتان المختلفتان من كلمتين، فقد اتفق ورش وقالون، على تحقيق الأولى منهما، وتخفيف الثانية، كما في التتابعات السياقية الآتية:

(أ) المفتوحة والمكسورة: "تفيء إلى" بتسهيل الثانية.

(ب) المفتوحة والمضمومة: "جاء أمة" بتسهيل الثانية .

(ج) المكسورة والمفتوحة: "من وعاء أخيه" بإبدال الثانية ياء.

(د) المضمومة والمفتوحة: "نشاء أصبناهم" بإبدال الثانية واواً.

(هـ) المضمومة والمكسورة: "نشاء إلى) بإبدال الثانية واواً.

---

(٢٢) الأحزاب: ٣٢.

أما بشأن ما جاء في (أ) و (ب) فالتسهيل هو حذف الهمزة الثانية، مع إبقاء حركتها. وأما جاء في (ج) و (د) و (هـ)، فالذي قالوه من أن الهمزة أبدلت ياء، أو واواً، صحيح باعتبار الحقائق الصوتية.

ثانياً: الإمالة والفتح

أمال ورش الألف في المواطن الآتية:

١. ذوات الياء من الأسماء، ومن الأفعال الماضية والمضارعة كما في: (الأخرى) و (النصارى) و (نرى) و (تتمارى) و (الهدى) و (الزنى) و (عسى) و(ينسى) و (مجريها) و (بشرى) و (ولو أريكهم) و (التوراة) و (خطاياكم) و (اتقاه) و (إناه و (استسقى).

٢. إذا وقعت الألف في الكلمة رابعة أو أزيد، سواء أكان أصلها ياء، كما في (يخشى)، أو الواو كما في (الأعلى) و (أزكى).

٣. ما كان مرسوماً بالياء كما في (بلى) و (متى) و (يا حسرتى) و (يا ويلتى) و (يا أسفى) و (أنى). ولا خلاف في فتح (إلى) و (على) و (حتى) و (ما زكى).

٤. رؤوس الآي التي على الألف في عشر سور هي: طه، والنجم، والمعارج، والقيامة، والنازعات، وعبس، والأعلى، والشمس، والليل، والضحى.

٥. كل ألف بعدها راء مكسورة، في موضع لام الكلمة، كما في (الدار) و (البوار) و (على أبصارهم). وإن كانت الراء في موضع العين من الكلمة، لم يملها، كما في (الجوار).

٦. قال علماء القراءات: إن ورشاً قد أمال من حروف الهجاء الراء في (المر) و (الر)، والهاء والياء في (كهيعص)، والحاء في (حم)، والهاء في (طـه). ومن المعلوم صوتياً أن الصوامت لا تمال، ولكن الحركات فقط هي التي تمال. والذي حدث هو أن ألف الهاء، وألف الياء في (كهيعص)



هـــي التي أميلت. وكذلك فإن ألف الحاء في (حم) هي التي أميلت، وهكذا دواليك.

ثالثاً : أحكام المقطع

تتغــير البنية المقطعية في قراءة نافع، تبعاً للأداء المتمثل في التحولات الصوتية التي تطرأ على الأمور الآتية:

١. فتح ياءات الإضافة وإسكانها

ياءات الإضافة ستة أقسام هي:

(أ) الـــياء التي بعدها همزة مفتوحة. حكم هذه الياء في قراءة نافع هو الفتح، أيـــنما وقعت ، كما في: "إنيَ أعلم ما لا تعلمون"[٢٣]. و "ولا أشرك بربيَ أحد[٢٤].

وقد سكّن منها سبعاً فقط هي:

"فاذكروني أذكركم"[٢٥].

و "قال ربّ أرني إليك"[٢٦].

و " ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا"[٢٧].

و " وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين"[٢٨].

و "فاتّبعني أهدك صراطاً سوياً"[٢٩].

و "وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه"[٣٠].

---

(٢٣) البقرة : ٣٠.

(٢٤) الكهف: ٣٨.

(٢٥) البقرة: ١٥٢.

(٢٦) الأعراف: ١٤٣.

(٢٧) التوبة: ٤٩.

(٢٨) هود: ٤٧.

(٢٩) مريم: ٤٣.

(٣٠) غافر: ٢٦.

و " قال ربكم ادعوني أستجب لكم"[٣١].

إذن، الأصل في هذه الياءات في قراءة نافع أنها تفتح. وما كان على خلاف ذلك، في المواطن السبعة المذكورة آنفاً، فإنما هو على الاختيار الذي هو أصل في القراءات القرآنية. والمقصود بكونه اختياراً أن صاحب القراءة يختار مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، روايات أخرى غير الروايات التي جعلها أصلاً لقراءته.

يتمثل التغير الصوتي الذي يطرأ على فتح ياء الإضافة، في جعل المقطع الأخير من الكلمة مقطعين قصيرين مفتوحين، بدلاً من أن يكون مقطعاً واحداً مفتوحاً. وهذه إحدى الإمكانات المقطعية التي تحظى بها العربية، وتمثلها هذه القراءة، كغيرها من القراءات، خير تمثيل.

(ب) الياء التي بعدها همزة مكسورة. حكم هذه الياء في قراءة نافع هو الفتح حيث وقعت، وذلك مثل: "ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك" (المائدة٢٨) وسكّن تسعاً منها فقط هي:

"أنظرني إلى يوم يبعثون"[٣٢].

و " قال ربّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه"[٣٣].

و "ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار"[٣٤].

و "لا جَرَمَ أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا، ولا في الآخرة"[٣٥].

و "فأرسله معي رِدْءاً يصدقني إني أخاف أن يكذّبون"[٣٦].

---

(٣١) غافر: ٢٦.

(٣٢) الأعراف: ١٤، والحجر: ٣٦، وص: ٧٩.

(٣٣) يوسف: ٣٣.

(٣٤) غافر: ٤١.

(٣٥) غافر: ٤٣.

(٣٦) القصص: ٣٤.

و "أصلح لي في ذريتي إني تبت إليك"[٣٧].

و "لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصاحين"[٣٨].

(ج) الياء التي بعدها همزة مضمومة. حكم هذه الياء في قراءة نافع الفتح حيث وردت، كما في "إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك"[٣٩]. وسكّن منها ياءين إحداهما في البقرة: "وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم"[٤٠]، والأخرى في الكهف "قال آتوني أفرغ عليه قطراً"[٤١].

(د) الياء التي بعدها ألف ولام. حكم هذه الياء في قراءة نافع الفتح، حيث وقعت، نحو: "وأيوب إذ نادى ربّه أني مسّني الضر"[٤٢].

(هـ) الياء التي بعدها ألف وصل مفردة، وحكمها في قراءة نافع الفتح، نحو:

"وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"[٤٣].

وسكّن منها ثلاثاً هي:

"إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي"[٤٤].

و"هارون أخي اشدُدْ به أزري"[٤٥].

و " يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا"[٤٦].

---

(٣٧) الأحقاف : ١٥.

(٣٨) المنافقين : ١٠.

(٣٩) المائدة: ٩.

(٤٠) البقرة: ٤٠.

(٤١) الكهف: ٩٦.

(٤٢) الأنبياء: ٨٣.

(٤٣) الفرقان: ٣٠.

(٤٤) الأعراف: ١٤٤.

(٤٥) طه: ٣٠- ٣١.

(٤٦) الفرقان: ٢٧.

(و) الـــياء التي بعدها سائر (الحروف). حكمها في قراءة نافع التسكين حيث وردت نحو:

"إن أرضي واسعة "[٤٧].

وفتح منها سبعاً هي:

"وطهّرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والركّع السجود"[٤٨].

و "طهّرْ بيتيَ للطائفين"[٤٩].

و "فقل أسلمت وجهيَ لله ومن اتّبعن"[٥٠].

و "وجّهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض"[٥١].

و "مماتيَ"[٥٢].

و "وماليَ لا أعبد الذي فطرني"[٥٣].

و "وليَ دين"[٥٤].

٢. الياءات الزوائد:

الياء الزائدة هي كل ياء متطرفة، زائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانـــية. وقد اتفق ورش وقالون، على إثبات هذه الواو تلاوة في الوصل، في ثمانية عشر موضعاً هي:

* (اتّبعـــن) فـــي قولـــه تعـــالى: "فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن"[٥٥].

---

(٤٧) العنكبوت: ٥٦.

(٤٨) البقرة : ١٢٥.

(٤٩) الحج : ٢٦.

(٥٠) آل عمران ٢٠، والأنعام ٧٩.

(٥١) الأنعام : ٧٩.

(٥٢) الأنعام : ١٦٢.

(٥٣) يس : ٢٢.

(٥٤) الكافرون : ٦.

(٥٥) آل عمران : ٢٠.

* (يأتِ) في قوله تعالى: "يوم يأتِ لا تكلّم نفس إلا بإذنه"(٥٦).

* (أخّرتـــن) في قوله تعالى: "قال أرأيتك هذا الذي كرّمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً"(٥٧).

* (المهتد) في الإسراء والكهف: " ومن يهدِ الله فهو المهتد"(٥٨).

* (يهدين) في قوله تعالى: "وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً"(٥٩).

* (يؤتين) في قوله: "فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك"(٦٠).

* (تعلّمـــن) في قولـــه: "قال له موسى هل أتّبعك على أن تعلّمن مما عُلمت رشداً(٦١).

* (نبغِ) في قوله: "قال ذلك ما كنا نبغِ"(٦٢).

* (تتّبعن) في قوله: "ألا تتّبعن أفعصيت أمري"(٦٣).

* (أتمدّونن) و (آتان) في قوله: "فلما جاء سليمان قل أتمدّونن بمال، فما آتان الله خير مما آتاكم"(٦٤).

* (الجوار) في قوله: "ومن آياته الجَوارِ في البحر كالأعلام"(٦٥).

---

(٥٦) هود : ١٠٥ .

(٥٧) الإسراء : ٦٢.

(٥٨) الإسراء: ٩٧، والكهف: ١٧.

(٥٩) الكهف: ٢٤.

(٦٠) الكهف: ٤٠.

(٦١) الكهف : ٦٦.

(٦٢) الكهف : ٦٤

(٦٣) طه : ٩٣.

(٦٤) النمل :٣٦.

(٦٥) الشورى : ٣٢.

* (المناد) في قوله: "واستمع يوم ينادي المنادِ من مكان قريب"[٦٦].
* (الداع) في قوله: "مهطعين إلى الداع"[٦٧].
* (يَسْر) في قوله: "والليل إذا يَسْرِ"[٦٨].
* (أكرمــن) في قوله: "فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن"[٦٩].
* (أهانــن) فــي قولــه: "وأمــا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن"[٧٠].

إن الــنطق بالياء في المواطن المذكورة أعلاه، هو الأصل في لغة عامة العرب. وقد جاءت قراءة نافع ممثلة لهذا الأصل في هذه المواطن. فالأصل أن يقال: ومن اتبعني، ويأتي، وأخرتني، والمهتدي، ويؤتيني، وتعلّمني، وأتمدونني، وآتانــي، والجــواري، والمنادي، والداعي، ويسري. وحذف هذه الياء من هذه المواطن، جاء ممثلاً لما كان يجري على ألسنة بعض العرب.

هــذا مــا اتفق عليه ورش وقالون. وقد تفرد كل منهما بمواطن. أما ما تفرد به ورش فتسعة وعشرون موطناً، زيدت فيها الياء، وهذه المواطن هي:

- (الداع) في قوله تعالى: "أجيب دعوة الداعِ إذا دعان"[٧١].
- (فلا تسألن) في قوله: "فلا تسألن ما ليس لك به علم"[٧٢].

---

(٦٦) ق : ٤١.

(٦٧) القمر : ٨.

(٦٨) الفجر : ٤.

(٦٩) الفجر : ١٥.

(٧٠) الفجر : ١٦.

(٧١) البقرة : ١٨٦.

(٧٢) هود : ٤٦.

- (وعيد) في قوله: "ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدِ"[٧٣].
- (دعاءِ) في قوله: "ربنا وتقبل دعاءِ"[٧٤].
- (البادِ) في قوله: "سواء العاكف فيه والبادِ"[٧٥].
- (نكير) في قوله: "فكيف كان نكيرِ"[٧٦].
- (أن يكذبون) في قوله: " إني أخاف أن يكذّبونِ"[٧٧].
- (كالجواب) في قوله: "وجفانٍ كالجوابِ"[٧٨].
- (ولا ينقذون) في قوله: "لا تغنِ عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذونِ"[٧٩].
- (لتردين) في قوله: "قال تالله إن كِدت لتردينِ"[٨٠].
- (التلاق) في قوله: "لينذر يوم التلاقِ"[٨١].
- (التناد) في قوله: " ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنادِ"[٨٢].
- (أن ترجمون) في قوله: "إني عذت بربي وربكم أن ترجمونِ"[٨٣].
- (فاعتزلون) في قوله: "وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلونِ"[٨٤].

---

(٧٣) إبراهيم : ١٤.

(٧٤) إبراهيم : ٤٠.

(٧٥) الحج : ٢٥.

(٧٦) الحج: ٤٤، وسبأ: ٤٥، وفاطر: ٢٦.

(٧٧) القصص: ٣٤.

(٧٨) سبأ : ١٣.

(٧٩) يس : ٢٣.

(٨٠) الصافات : ٥٦.

(٨١) غافر : ١٥.

(٨٢) غافر:٣٢.

(٨٣) الدخان: ٢٠.

(٨٤) الدخان: ٢١.

- (وعيد) في قوله: "كلّ كَذّب الرُسل فحقّ وعيد"[٨٥].
- وقوله: "فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد[٨٦].
- (الداعِ) في قوله: "يوم يدعو الداعِ إلى شيء نكر "[٨٧].
- (نُذُر) في ستة مواضع في سورة القمر[٨٨].
- (نذير) في قوله تعالى: "فستعلمون كيف نذير"[٨٩].
- (نكير) في قوله: "ولقد كذّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير"[٩٠].
- (بالواد) في قوله: "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد"[٩١].

أما ما انفرد به قالون فزائدتان هما:

- (إن ترنِ) في قوله تعالى: "إن ترنِ أنا أقل منك مالاً وولداً"[٩٢].
- (اتبعونِ) في قوله:" وقال الذي آمن يا قوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد"[٩٣].

إن إثبات الياء وصلاً هو الأصل في لسان أكثر العرب. وعلى هذا الأصل جاءت قراءة نافع. ولكن بعض العرب يحذفون هذه الياء حتى في الوصل. وعلى هذا تجري قراءة عاصم مثلاً.

إن المراوحة بين إثبات الياء وحذفها، في المواطن التي ذكرناها، يؤثر دون شك، في تغيير البنية المقطعية للكلمة. وهذا يدل على ما يأتي:

---

(٨٥) الدخان
(٨٦) ق ٤٥.
(٨٧) القمر: ٦ .
(٨٨) القمر: ٣،٢١،١٨،١٦،.٣٩،٣٧ .
(٨٩) تبارك: ١٧.
(٩٠) تبارك: ١٨.
(٩١) البلد: ٩.
(٩٢) الكهف: ٣٩.
(٩٣) غافر: ٣٨.

أولاً: إن تغيير البنية المقطعية للكلمة، دليل على غنى الإمكانات في بناء الكلمة العربية، تلك الإمكانات التي قد لا نجد لها نظائر في لغات أخرى.

ثانياً: إن مثل هذا التغيير يؤدي إلى إحداث صور شتى، من الارتقاء الصوتي. فإيقاع الكلمة مع وجود الياء مختلف عنه عند حذفها.

٣. ضم ميم الجمع أو إسكانها

ميم الجمع لها ثلاثة سياقات هي:

(أ) أن تكون متبوعة بساكن نحو "وضربت عليهم الذلّة أينما ثُقفوا"[٩٤].

(ب) أن تكون بعدها همزة نحو: "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني"[٩٥].

(ج) أن تكون متبوعة بغير ذلك نحو: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"[٩٦].

فنافع يسكّنها، وروي عن قالون ضمها على الإطلاق.

ومن الواضح أن البنية المقطعية لميم الجمع تتغير بضمها أو إسكانها، هكذا:

منهم أميون

منـــ / هُمْ / ← منـــ / هـــُـ / مو

إن ضم ميم الجمع من شأنه أن يُحدث مماثلة بين المقطع الثاني والثالث في منـــ / هـــُـ / مو.

٤. هاء الكناية

هاء الكناية هي ضمير الغائب المتصل، لها أربعة سياقات هي:

---

(٩٤) آل عمران: ١١٢.

(٩٥) البقرة: ٧٣.

(٩٦) الفاتحة: ٧.

(أ) أن تكون متبوعة بلام لفظ الجلالة، أو لام (ال) التعريف. وهاتان اللامان ساكنتان؛ لأن أياً منهما غير متبوعة بحركة، وذلك مثل: "ومن أوفى بما عاهد عليه الله[97]، ومثل "وإليه المصير" فالهاء في هذا السياق تكون [illegible] يمدها نافع ولا راوياه وبالإضافة إلى قصر هاء الكناية في ([illegible]) [illegible] نافعاً يقرؤها بالكسر.

(ب) أن تكون متبوعة بهمزة، فالهاء في هذا السياق لها حكم المد المنفصل. ولكن قالون يقصرها ويختلسها في سبعة مواطن فقط هي:

- (يؤده) في قوله تعالى: " ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك"[98].
- (نؤته) في قوله تعالى: "ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها"[99]. وفي قوله: "ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها"[100].
- (نولّه) و (نصله) من قوله تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين، نولّه ما تولّى، ونُصلِه جهنم، وساءت مصيراً[101].
- (أرجه) في قوله: "قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين"[102].

---

(97) الفتح : ١.

(98) آل عمران : ٧٥.

(99) آل عمران : ١٤٥.

(100) الشورى: ٢.

(101) النساء : ١١٥.

(102) الأعراف: ١١١، والشعراء: ٣٦.

- (يأته) في قوله : "ومن يأته مؤمناً قد عمل من الصالحات فأولئك لهم الدرجات العُلى"[١٠٣].
- (يتّقه) في قوله: "ومن يطع الله ورسوله ويتّقه فأولئك هم الفائزون"[١٠٤].
- (ألقه) في قوله: "اذهب بكتابي فألقه إليهم"[١٠٥].
- (يرضه) في قوله: "وإن تشكروا يرضه لكم"[١٠٦]. (١,٦)

إن قصر الكناية أو مدها، يؤثر دون شك، في نوع المقطع الذي تنتهي به الكلمة. ففي القصر يكون المقطع قصيراً مفتوحاً. وعند مدّها يكون المقطع الأخير من الكلمة طويلاً مفتوحاً. والصيغتان واردتان في العربية.

رابعاً: المماثلة

تظهر المماثلة في قراءة نافع، في مواطن متعددة، أشهرها ما يمكن تناوله في الموضوعات الآتية:

اللام تفخيماً وترقيقاً، والراء تفخيماً وترقيقاً، والإظهار والإدغام، وبيان ذلك مفصّل في ما يأتي:

١. اللام تفخيماً وترقيقاً

اللام إما ان تكون ساكنة، أو مضمومة، أو مكسورة. اللام في هذه المواطن مرققة، في قراءة نافع، بغض النظر عن الصوت الذي يسبقها، مفخّماً كان أو مرقّقاً.

---

(١٠٣) طه : ٧٥ .

(١٠٤) النور: ٥٢.

(١٠٥) النمل : ٢٣.

(١٠٦) الزمر : ٧ .



أمـــا اللام المفتوحة فإن قالون يرققها على كل حال،سواء أكانت مسبوقة بصـــوت مرقّق أم مفخّم. أي أن الموقع والسياق ليس لهما أثر في إحداث تماثل بيـــن الـــلام ومـــا يسبقها،في رواية قالون. وأما ورش فإنه يفخّم اللام إذا كانت مســـبوقة بالصـــاد، أو بالطـــاء، أو بالظاء، بشرط أن يكون كل واحد من هذه الأصوات الثلاثة ساكناً أو مفتوحاً، وذلك مثل: الصلاة، ويُصلّب. هذا ما يخص الـــلام المفـــتوحة المسبوقة بالصاد مفتوحة أو ساكنة. وأما يخص الطاء فمثل: الطلاق، ومطلَع. وأما اللام المسبوقة بالظاء فمثل: ظلموا، وأظلم.

ويفخـــم ورش الـــلام في سياقها هذا، وهو كونها مسبوقة بأحد أصوات الأطـــباق المذكورة، حتى عندما يكون بينها وبين الصوت المطبق فاصل، وذلك مثل: فِصالاً، وفِصال .

أمـــا إذا وقعـــت الـــلام فـــي رؤوس الآي، فقد جاز التفخيم والترقيق، والترقيق أحسن، كما يقول ابن جزي(١٠٧)، وذلك مثل قوله تعالى: "فلا صدّق ولا صلّى"(١٠٨).

أما لفظ الجلالة فقد أجمع القراء على تفخيم اللام فيه، إذا كان قبل اللام فتحة أو ضمة؛ وعلى ترقيقها إذا كان قبلها كسرة.

٢. الراء تفخيماً وترقيقاً

الـــراء إما أن تكون ساكنة، أو مكسورة، أو مفتوحة، أو مضمومة. أما الســـاكنة فإن ورشاً يرققها، إذا كان قبلها كسر لازم لا عارض، ولم يكن بعدها أحـــد حروف الاستعلاء الآتية: (ض غ ط ص ق ظ)، وذلك مثل: (شرعة) في قولـــه تعـــالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً"(١٠٩) . والكسر اللازم هو الذي يكون في بنية الكلمة. وأما الكسر العارض فهو الذي يكون في السياق من غير

---

(١٠٧) محمد بن جزي، المختصر البارع في قراءة نافع (مخطوط)، مرجع سابق.

(١٠٨) القيامة : ٣١

(١٠٩) المائدة : ٤٣.



بنـــية الكلمـــة، كما في كسرة النون في قوله تعالى: "فيقسمان بالله إنِ ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى"[110]. هذه الراء حقها الترقيق، لكونها مسبوقة بكســر عــارض. ومثلها الراء في (اركب) من قوله تعالى: "قال يا بنيّ اركب معنا"[111] فإن كسرة الياء في (يا بنيّ) عارضة، وليست من أصل الكلمة.

وأما الراء المكسورة فمرققة على الإطلاق، كما في: رجال، ورياء.

وأمـا الراء مفتوحة ومضمومة، فإن قالون يفخمهما بإطلاق. ويرققهما ورش في أحد المواطن الثلاثة الآتية:

١. إذا كان قبلها كسرة، كما في: خَسِر، وفراشا، ومنذر، ويسرّون.

٢. إذا كان قبلها ياء ساكنة، كما في: الخيرات، وبصير.

٣. إذا كان قبلها ساكن مسبوق بكسر، كما في: الشعر، وذكر، وبئر.

واستثنى ورش من ذلك ستة مواقع هي:

١. إذا كانت مسبوقة بكسرة عارضة، كما في: برسول، وبرب.

٢. إذا كان الاسم أعجمياً كما في: إسرائيل، وإبراهيم، وعمران، وإرم.

٣. إذا كـان بعـد الـراء ألف بعدها طاء أو ضاد، أو قاف، كما في: الصراط، وإعْراضهم، والفراق.

٤. إذا كـان الساكن الذي بعد الكسرة طاء، أو صاداً أو قافاً، كما في: فِطرة الله، مصر، وقِرْاً.

٥. إذا كـان الأسـم على وزن (فِعْلاً) مع كونه منصوباً نحو: ذِكْرا، وصهراً.

٦. إذا تكررت الراء كما في: الفرار.

---

(١١٠) المائدة : ١٠٦.

(١١١) هود : ٤٢.



٣. **الإظهار والإدغام**

يدغم نافع الصوت الساكن بنظيره، أو بما كان مماثلاً له في بعض خصائصه النطقية، في سياقات معينة هي: ذال (إذ)، ودال (قد)، ولامِ (هل)، وتاء التأنيث الساكنة.

أما ذال (إذ) فقد أدغمها في الذال[١١٢] كما في قوله تعالى: " وذا النون إذ ذّهب مغاضباً"[١١٣]، وفي الظاء كما في: "ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون"[١١٤].

وأما دال (قد) فقد أدغمها نافع في الدال كما في: "وقد دخلوا بالكفر"[١١٥]، وفي الضاد كما في: "واتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل"[١١٦]، وفي التاء كما في: "قد تبيّن الرشد من الغيّ"[١١٧]، وفي الظاء كما في: "ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه"[١١٨].

وأما اللام (هل) و (بل) فقد أدغمهما في اللام كما في: "فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا"[١١٩]، وفي الراء كما في: "بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"[١٢٠].

---

(١١٢) ما سمّوه إدغام المتماثلين، ومنه إدغام الذال في الذال، ليس في نظرنا إدغاماً. وقد ناقشنا ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(١١٣) الأنبياء : ٨٧.

(١١٤) الزخرف : ٣٩.

(١١٥) المائدة : ٦١.

(١١٦) المائدة : ٧٧.

(١١٧) البقرة : ٢٥٦.

(١١٨) الطلاق : ١.

(١١٩) الأعراف ٥٢.

(١٢٠) المطففين : ١٤.



وأمـــا تاء التأنيث فقد أدغمها نافع في التاء كما في: "كانت تأتيهم رسلهم بالبيـــنات"(١٢١)، وفـــي الطاء كما في: "وقالت طائفة من أهل الكتاب"(١٢٢)، وفي الـــدال كما في :"فلما أثقلت دَعَوا الله"(١٢٣)، وفي الظاء كما في: "وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة"(١٢٤).

خامساً: المدّ والقصر

المـــدّ هو إطالة الحركة الطويلة: الألف، والواو، والياء، وإطالة نصف الحـــركة: الـــواو والـــياء. ويكون نصف الحركة مسبوقاً بفتحة. وبغير ذلك لا يوصـــف بأنه نصف حركة،بل يكون حركة خالصة. فالواو في (مَوْعد) نصف حركة لأنها مسبوقة بالفتحة.

وللمـــدّ درجـــات أدناهـــا المـــدّ الطبيعي الذي تكون فيه الحركة بمقدار حركتين قصيرتين؛ فتكون الألف بمقدار فتحتين، وتكون الواو بمقدار ضمتين، وتكون الياء بمقدار كسرتين. وهذا هو المفهوم الذي كان ابن جني قد عبّر عنه بدقـــة حين قال "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ" ، وقال: "... وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة"(١٢٥).

وأمـــا المـــدّ الطبيعي لنصفي الحركة: الواو والياء، فكمثل المدّ الطبيعي للصوت الصامت. وما زاد على ذلك فإطالته مدّ.

---

(١٢١) غافر : ٢٢.

(١٢٢) آل عمران : ٧٢.

(١٢٣) الأعراف : ١٨٩.

(١٢٤) الأنبياء : ١١.

(١٢٥) غافر : ٢٢.



يُسَمّى المدّ الطبيعي قصراً. يقول ابن الجزري في تعريف القصر إنه: "ترك تلك الزيادة، وإبقاء المدّ الطبيعي على حاله "[١٢٦].

ولا تمدّ الحركة لكونها حركة، ولا يمدّ نصف الحركة لأنه كذلك. وإنما تمـدّ الحركة أو نصف الحركة، فوق المدّ الطبيعي، في قراءة نافع في المواطن الآتية:

أولاً: إذا كـان بعد الحركة الطويلة همزة، فورش يمدها مدّاً طويلاً، مقداره ست حـركات، بتعبير علماء القراءات. يستوي هذا الحكم أن يكون حرف المدّ مـع الهمـزة فـي كلمة واحدة، كما في: جاء، والسماء، وماء، وقروء، ويفـيء، أو فـي كلمتين كما في: "بما أنزل" في الآية الكريمة: " والذين يؤمنون بما أنزل إليك[١٢٧] و "يأيّها الناس" و "يأيها النبيّ". وكما في: "قالوا آمنّا"[١٢٨].

أمـا قـالون فيمدّ الحركة في المدّ الواجب المتّصل أربع حركات. والمدّ الواجـب المتصـل هو الذي يكون عند اجتماع الحركة والهمزة في كلمة واحـدة. أما المد المنفصل ففيه وجهان عند قالون: القصر، والتوسط أي بثلاث حركات فقط.

ثانـياً: إذا تقدمـت الهمزة على الحركة الطويلة كما في: آدم، وأوحي، وإيمان، فالمد الطبيعي عند قالون، والمتوسط عند ورش.

ومـدّ ورش يشمل الحركة الطويلة التي تكون الهمزة محذوفة قبلها، كما فـي: " من آمن" دون همز، و "الآخرة " دون همز أيضاً؛ فالألف فيهما عند ورش تمدّ مدّاً متوسطاً.

---

(١٢٦) محمد بن الجزري. النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الكتب العلمية،١/٣١٣.

(١٢٧) البقرة : ٤.

(١٢٨) (١٢٨) البقرة : ١٤.



غير أن ورشاً لا يمدّ الحركة الطويلة، إلا المدّ الطبيعي في الكلمات الآتية استثناء: القرآن، ومسؤولاً، والياء في: إسرائيل، وايذن لي.

ثالثاً: إذا كان قبل نصف الحركة (واو اللين أو ياؤه)، وبعده همزة،كما في: شيء، وسوءة، فقالون لا يمدّ من ذلك شيئاً، وورش يمدّه مدّاً متوسطاً. واستثنى من ذلك (المؤودة) في قوله تعالى: "وإذا المؤودة سئلت"(١٢٩)، و (موئلاً) في قوله تعالى: "بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً"(١٣٠).

رابعاً: إذا اجتمع الساكنان مع حركة طويلة في مقطع واحد، فمد الحركة الطويلة عند نافع، سواء أكان ذلك من تشديد كما في (الضالّين)، أم كان من نطق حروف الهجاء في بداية بعض السور، كما في (ألف لام ميم) و (نون والقلم). بعد قلب النون الثانية واواً وإدغامهما، كما في (ياسين والقرآن الحكيم)، **بعد قلب النون واواً وإدغام الواوين.**

---

(١٢٩) التكوير: ٨- ٩.

(١٣٠) الكهف: ٥٨.



الفصل السابع

في قراءة الكسائي

* المطلب الأول: الكسائي:

١- حياته ودرايته.

٢- راويا قراءته.

٣- طرقه.

* المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي.

الكســـــائـــــي

أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي (ت ١٨٩ هـ).

راويـــــاه:

١. الدوري: أبو عمر بن حفص الأزدي البغدادي (ت ٢٤٦ هـ).

٢. الليث: أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي (ت ٢٤٠ هـ).

طـــرقـــــه:

١. طريقا الدوري:

(أ) النصيبي : أبو الفضل جعفر بن محمد (ت ٣٠٧ هـ).

(ب) أبو عثمان: سعيد بن عبد الرحيم البغدادي (ت ٣١٠ هـ).

٢. طريقا الليث:

(أ) محمد بن يحيى: أبو عبدالله البغدادي (ت بعد ٢٧٠ هـ).

(ب) سلمة بن عاصم: أبو محمد البغدادي (ت بعد ٢٧٠ هـ).

المطلب الأول

الكسائي

١. حياته ودرايته*

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي، من الموالي، وهو فارسي الأصل، وأحد أئمة الكوفة. كان من أوعية العلم في النحو واللغة والقراءات. أما النحو واللغة، فقد ارتحل من أجلهما إلى البصرة، وهناك اتصل بالخليل بن أحمد[1]، إمام أئمة اللغة والنحو، وأخذ عنه، ثم ارتحل إلى الجزيرة، حيث عاش بين الأعراب، حتى صار كأنه منهم. ثم رجع إلى الكوفة، وعنده من اللسان العربي مادة كثيرة،وعلم جم وغزير، إلى جانب ما أخذه عنهم من الفصاحة. ويحسن أن نعرف أنه أحد أعلام النحو الكوفي، بل هو المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة في النحو، وإن كانت بداياتها قد أخذت تخط وجودها على يد أبي جعفر الرؤاسي[2] كما يرى مؤرخو النحو[3].

---

* نشر هذا البحث في مجلة جامعة الملك سعود سنة ١٩٩٤، ثم أشرفت على رسالة ماجستير في هذا الموضوع، في جامعة اليرموك للطالبة عبير بني مصطفى سنة ١٩٩٨.

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، من أزد عمان، ولد سنة مائة للهجرة، عاش في البصرة، وهو أستاذ سيبويه. ألف أول معجم في العربية وهو العين، وهو واضع علم العروض. توفي سنة خمس وسبعين ومائة. (إنباه الرواة على أنباء النحاة ١ / ٣٧٦).

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي الكوفي النحوي، إمام مشهور، روى القراءة عن أبي عمرو، روى عنه الكسائي والفراء. (غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/١١٦).

(٣) شوقي ضيف، المدارس النحوية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م)، ص١٥٣.



أمـــا القـــراءات، فقد أخذها عن أئمتها في الكوفة، حتى لقنها، وكان في مقدمـــة شيوخه حمزة بن حبيب الزيات[٤]، أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قـــراءاتهم بالقـــبول والتسليم. وقد انبرى الكسائي لإقراء الناس في الكوفة، بعد شـــيخه حمزة، فكان له في مسجدها حلقة، يتلو فيها القرآن من أوله إلى آخره، والناس يسمعون ويضبطون عنه[٥].

وللكســـائي آثار كثيرة منها: كتاب معاني القرآن وكتاب مختصر النحو، وكـــتاب القـــراءات، وكتاب العدد، وكتاب النوادر الكبير، والأوسط، والصغير، وكـــتاب الهجـــاء، وكـــتاب مقطوع القرآن وموصوله، وكتاب المصادر،وكتاب الحروف، وكتاب الهاءات.

والكسائي ثقة، عادل، ضابط، وعالم كبير، وقد قال فيه الشافعي[٦]: "من أراد أن يـــتجر في النحو فهو عيال على الكسائي". وقال يحيى بن معين[٧]: "ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي". غير أن الأعلام المتميزين يبتلون عـــادة ببعض من يحسدونهم،فيحوكون حولهم قصصاً ينسبونها إليهم، وذلك من أجـــل أن تهـــتز ثقـــة الناس بهم. والكسائي من العلماء الذين نسبت إليهم أقوال وأفعـــال، لا ينبغـــي أن نأخذهـــا مأخذ التسليم. من هذه القصص قصة مناظرته

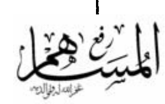
---

(٤) حمـــزة بن حبيب الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين، وأدرك بعض الصحابة بالسن. أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش، توفي سنة ١٨٥هـــ.

(٥) محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/١٧٢.

(٦) محمد بن إدريس الشافعي، أحد أئمة الإسلام، ولد سنة خمسين ومائة بغزة، أخذ القراءة عرضـــاً عـــن إســـماعيل بن عبدالله المكي، توفي سنة ٢٠٤هـــ. ابن الجزري، غاية النهاية ، ٢/٩٥.

(٧) يحيى بن معين سيد الحفاظ، ولد سنة ثمان وخمسين ومائة. سمع هشيما وابن المبارك، روى عـــنه أحمـــد والـــبخاري ومسلم وغيرهم. توفي سنة ٢٣٣هـــ. (تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٩).



لسيبويه. ومن المؤسف حقاً أن بعضهم يأخذ هذه الحكاية مأخذ التسليم، وينعى على الكسائي (فعلته) التي لم يقترفها،وهي رشوة أعرابي من أجل أن يؤيد ما ذهب إليه في المسألة الزنبارية. لقد تناول المخزومي هذه القصة على أنها حقيقة مسلمة، فقال: "وقصة مناظرته مع سيبويه، وتآمره مع جعفر بن يحيى وأخيه الفضل، على اغتاب الفوز معروفة، عرفها القدماء، وأحاطوا بجميع ظروفها وملابساتها، ثم سجلوها شعراً ونثراً. فلا أجد هنا ما يدعوني إلى إثباتها أو التعليق على موقف الكسائي وتلاميذه من سيبويه، ذلك الموقف الذي يصور الكسائي في صورة رجل، يعوزه شيء غير قليل من الأمانة العلمية "[٨].

وأما التهمة التي تقول "لولا أن الكسائي دنا من الخلفاء، فرفعوا ذكره، لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل، فما هو إلا حكايات لأعراب مطروحة، لأنه كان يلقنهم ما يريد"[٩]. فالرد عليها فيما يأتي:

١. أما أن علمه بلا حجج ولا علل، فلأن منهج الكوفيين يتأبى تعليل الظواهر، ولا يفسرها تفسيراً عقلياً موغلاً كما كان البصريون يفعلون. فهذه، إذن، حسنة وليست سيئة، أو قل: هذا منهج، وذاك منهج. لقد سئل الكسائي مرة عن شذوذ (أيّ) الموصولة عن سائر أخواتها الموصولات في الاستعمال، فقال: "أيّ كذا خلقت". يقول أمين الخولي: "إن الكسائي بإجابته هذه يذكرنا بمدرسة قومه في النحو، وما تميل إليه من التتبع اللغوي، وعدم التأويلات البعيدة، والإمعان المنطقي الذي جنحت إليه مدرسة البصرة المناظرة"[١٠].

---

(٨) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٨م)، ص١٠٢.

(٩) تنسب هذه المقولة إلى أبي الطيب اللغوي. انظر: المخزومي، مدرسة الكوفة، ص١٠١.

(١٠) المخزومي، مدرسة الكوفة، ص٢٠٢– ٢٠٣.

٢. وأما أنه كان يملي على الأعراب ما يريد؛ ليحتج بهم على مناظرته، فتلك تهمة لا دليل عليها. وقد اتهم بها علماء أجلاء. فهذا إدعاء لا تقوم به حجة علمية.

عاش الكسائي سبعين سنة، فقد ولد سنة تسع عشرة ومائة، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة.

أخذ الكسائي القراءة عرضاً وسماعاً ممن لقيهم من الأئمة، وكان حمزة بن حبيب أحد هؤلاء الأئمة. ولكن الكسائي كان له اختيارات مما تعلمه ورواه. وقد خالف بهذه الاختيارات شيوخه، وإن كان من المسلم به أن الاختيار سيكون هو مما صح نقله بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ووافق رسم أحد المصاحف العثمانية، ووافق العربية ولو بوجه. وهذا هو الذي حدث في قراءة الكسائي، فقد اختار مما صح له سنده بالتواتر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم[١١].

غير أنه ينبغي لنا أن ننتبه، إلى أن الاختيار لا يعني بالضرورة، النيل من القراءات الأخرى، أو الطعن فيها. وقد ذهب شوقي ضيف إلى أن الكسائي هو الذي بدأ تخطئة القراءات، وأنه هو ابتدع هذه البدعة، فقال: "ويظهر أن الكسائي هو الذي بدأ تخطئة القراءة"[١٢]. وقال: "وسنرى في ترجمته أنه ذكر عدة قراءات"[١٣]. وجئت إلى ترجمة الكسائي عند شوقي ضيف، فإذا هذا الذي يريد ضيف أن يرينا إياه، يرينا خلافه ونقيضه تماماً، ذلك أنه قدم لنا عدداً من الأمثلة التي تدل على حرص الكسائي حتى على القراءات التي تظهر فيها

---

(١١) هم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم.

(١٢) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص١٥٧.

(١٣) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص١٥٧.

حـــروف شاذة، يقول شوقي ضيف: "وأكبر الظن أن الذي دفع الكسائي إلى هذا الموقــف وأن يفسح في العربية للغات الشاذة النادرة، أنه كما عرفنا من القراء للذكر الحكيم، وكانت تجري في قراءته حروف تشذ على قواعد النحو البصري، فخشـــي أن يظـــن بهذه الحروف أنها غير جائزة، وأنها لا تجري على العربية السليمة، وربما خشي اندثارها، وهي جميعاً مروية عن الرسول صلى الله عليه وســـلم، غـــير أن منها ما هو متواتر، وهو القراءات السبع، ومنها ما هو غير مـــتواتر، وهو ما وراءها من قراءات، وجميعها صحيح، وينبغي أن نتوسع في قواعـــد الـــنحو والصـــرف حتى تشمله(١٤). ولا نجد في ترجمة الكسائي، عند ضـــيف، مثالاً واحداً على تخطئة الكسائي لأية قراءة. ثم إن القراءات المتواترة ليســـت سبعاً، كما يقول شوقي ضيف، بل هي عشر. وقد اتفق على ذلك علماء القراءات، وألفوا فيه كتباً.

٢. راويا قراءته

١. **الدوري:** هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الدوري الأزدي الـــبغدادي النحوي. كان ضريراً، نزل بسامراء، وأقام فيها، وكان إمـــام القـــراءة فـــي زمانـــه. وهو ثقة، ثبت، كبير. وقد رحل في طلب القـــراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثـــيراً. ولد أيام المنصور سنة خمسين ومائة في الدور (موضع ببغداد)، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين. وكان ذلك في آخر أيام المتوكل الذي قتل سنة سبع وأربعين ومائتين(١٥).

---

(١٤) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص١٧٦.

(١٥) محمـــد بـــن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م)، ٩ /٢٢٢.



٢. **الليـــث الــبغدادي:** هو أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، ثقة، حاذق، ضـــابط للقـــراءة متقـــن لهـــا. قـــال فيه الداني: "كان من جلة أصحاب الكســـائي"[١٦]. عـــرض علـــى الكسائي، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم[١٧]، وعن اليزيدي[١٨]، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً كثيرون مـــنهم: الفضـــل بن شاذان[١٩]، وسلمة بن عاصم[٢٠] وغيرهم. توفي سنة مائتين وأربعين من هجرة سيد المرسلين.

٣. طـــرقـــــه

طريقا الدوري

(أ) **جعفر النصيبي:** أبو الفضل جعفر بن محمد بن أسد الضرير، يعرف بابن الحمامي. حاذق، ضابط، شيخ نصيبين والجزيرة. وهو من جلة أصحاب الدوري. توفي سنة سبع وثلاثمائة.

(ب) **أبـــو عثمان:** أبو عثمان سعيد بن عبد الرحيم البغدادي الضرير، مقرئ، حاذق، ضابط. وهو من كبار أصحاب الدوري. توفي بعد عشر وثلاثمائة.

---

(١٦) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١ /١٧٣. .

(١٧) حمـــزة بـــن القاســـم الأزدي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن حمزة الزيات وحفص بن سليمان، وروى القراءة عنه الدوري والليث. (ابن الجزري، غاية النهاية، ١ /٢٦٤).

(١٨) أبـــو محمـــد يحيى بن المبارك البصري المعروف باليزيدي، إمام مقرئ. أخذ القراءة عرضـــاً عـــن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عن الخليل بن أحمد، توفي سنة ٢٠٢هـــ. (ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٧٥).

(١٩) أبـــو العـــباس الفضل بن شاذان عالم كبير، وثقة ضابط محرر، توفي سنة ٢٩٠هـــ. (ابن الجزري، غاية النهاية، ٢ /١٠).

(٢٠) أبو محمد سلمة بن عاصم البغدادي النحوي، صاحب الفراء، توفي بعد سنة ٢٧٠هـــ. (ابن الجزري، غاية النهاية ١ /٣١١).

طريقا الليث البغدادي

(أ) **محمـــد بـــن يحـــيى:** أبو عبدالله محمد بن يحيى البغدادي. لقب بالكسائي الصـــغير. مقرئ محقق جليل متصدر ثقة. ولد سنة تسع وثمانين ومائة، وهو أجل أصحاب الليث. توفي بعد سنة سبعين ومائتين.

(ب) **ســـلمة بن عاصم:** أبو محمد سلمة بن عاصم البغدادي، النحوي صاحب الفراء. توفي بعد سبعين ومائتين.

المطلب الأول

الظواهر الصوتية في قراءة الكسائـــي

المعـــروف عـــن قـــراءة الكســـائي أنها تجمع بين خصائص كثير من القـــراءات القرآنية. وما ذلك إلا بسبب الاختيار الذي تتميز به القراءات القرآنية كلها، وإن كانت قراءة الكسائي من أبرز هذه القراءات في عملية الاختيار. هذا، ويمكن إجمال أبرز الأطر التي تدرس عن طريقها الظواهر الصوتية، في قراءة الكسائي، في الموضوعات الآتية: المماثلة، الإمالة، وتغير البنية المقطعية. وهذا بيان ذلك:-

١. المماثلة

قـــد يتغير ملمح أو عدد من ملامح الصوت الواحد، في قراءة الكسائي، لمماثلـــة صـــوت مجاور. وقد يكتسب هذا الصوت بعض الملامح من الصوت المجاور.

ولمـــا كانـــت المماثلـــة تنقسم- بحسب الاتجاه- إلى مماثلة تقدمية، أو رجعـــية، وبحسب المجاورة إلى: مباشرة، وغير مباشرة، فإن المماثلة في قراءة الكسائي، تنتظم هذه الأنواع، وفي ما يأتي بيان ذلك:-

(أ) المماثلة التقدمية المباشرة

وفيها يؤثر صوت في صوت يتبعه، دون وجود فاصل بينهما. هذا النوع مـــن المماثلة قليل جداً في قراءة الكسائي. ومن أوضح أمثلته فيها: أن الكسائي قـــرأ (قيل)، و (غيض) بالإشمام، وحقيقة الإشمام في نظرهم: جعل الياء (وهي حـــركة أمامـــية طويلـــة) مركـــبة من حركتين: الضمة، والكسرة[٢١]. وعلماء الأصـــوات المعاصرون يذهبون إلى تفصيل أدق في هذه المسالة، إذ يرون أنه يســـتحيل الجمـــع بيـــن الضـــمة والكسرة، إذ يكون اللسان في الأمام عند نطق

[٢١] محمـــد المحيســـن،المهذب فـــي القـــراءات العشر (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م)، ١ /٤٨.



الكسرة، ويكون في الخلف عند نطق الضمة[٢٢]. والذي يحدث عند نطق الإشمام بالضـــبط، هو أن اللسان يتخذ الوضع الذي يكون عليه عند نطق الكسرة، وفي اللحظـــة نفســـها يـــتم تدوير الشفتين. وتسمى هذه الحركة في علم الأصوات: " الحركة المعيارية الثانوية الأولى"، أو بحسب أوصافها: "الحركة الأمامية الضيقة المدورة"، تمييزاً لها من الكسرة، والتي تدعى بحسب أوصافها: "الحركة الأمامية الضيقة غير المدورة".

والمماثلـــة التقدمـــية المباشـــرة في: (قيل) و (غيض)، تظهر في تأثير القـــاف، والغيـــن، فـــي الحركة التي بعد كل منهما،وهي الياء. فالقاف والغين صـــوتان خلفيان، وحجرة رنين كل واحد منهما في الجزء الأمامي من الحجرة الفمويـــة. وأمـــا الياء فهو صوت أمامي، وحجرة رنينه في الجزء الخلفي، من الحجرة الفموية. فلما كان هذا يحتاج إلى شيء من الجهد، فقد أشمت الياء ضماً، أي أنها أصبحت ما يسمى: الحركة المعيارية الثانوية الأولى. وهذه الحركة لها حجـــرتا، رنيـــن إحداهمـــا أمامـــية، والأخرى خلفية، كما هو معروف في علم الأصوات. هذا، والمعادلة (١) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١)

ح [+أمامية / +مغلقة / +غير مدورة] ← ح [+أمامية / +مغلقة / +مدورة] / ص [+خلفي] ____

---

(٢٢) انظر: J.C., Fundamental Problems in Phonetics (Bloomington, Indiana University Press, 1977),p.178.



(ب) المماثلة التقدمية غير المباشرة

وفـــيها يؤثــر صــوت في صوت لاحق بينهما فاصل. وهذا النوع من المماثلـــة أكثر من النوع السابقَ في قراءة الكسائي. ومن أمثلته أن الكسائي يقرأ مــيم الجمـــع والهاء التي قبلها بضمهما، فهو يقرأ قوله تعالى: "وضربت عليهم الذلـــة"[٢٣] بضـــم الهــاء والمــيم: "عليهُمُ الذلة"، وكذلك في: "قبلتهُمُ التي كانوا عليها"[٢٤]، "ويريهُمُ الله أعمالهم حسرات"[٢٥]،وغير ذلك مما هو من بابه.

أما ضم الهاء في هذا كله،فهو أصل القياس. وكسرها صورة فرعية من صور هذا الأصل، إذ إن الأصل هكذا: على + هم ←——— عليهم. وعلى ذلك، فلا مماثلة في جعل الهاء مضمومة في قراءة الكسائي. فهذا هو الأصل كما قلنا. ولكن المماثلة تبرز في ضم ميم الجمع في هذه القراءة، من أجل أن تماثل ضمة الهاء، مع وجود فاصل بينهما وهو الميم. ولا يكون ضم الميم مطلقاً، بل إذا كانت متبوعة بساكن. وهنا ينبغي ان نوضح عدة أمور:

١. إن الكسائي يضم ميم الجمع، إذا كانت متبوعة بهمزة وصل. وهذا هو ما كانوا يعبرون عنه بقولهم "متبوعة بساكن". والحق أن همزة الوصل ليست صوتاً صامتاً، وإنما هي حركة خالصة.
٢. إن الكســائي لا يضـــم مـــيم الجمع، إذا كانت متبوعة بصامت، كما في (أنعمت عليهم غير)، فهو يسكن ميم الجمع في "عليهم". ويسكنها كذلك إذا كانت متبوعة بالواو كما في (غير المغضوب عليهم ولا الضالين).
٣. إن الكســائي لا يضم حتى الهاء في (عليهم)، إلا إذا كانت متبوعة بهمزة وصـــل. ولذلك فهو يقرؤها في سورة الفاتحة "عليهم" بكسر الهاء. ومعنى هــذا فـــي المحصـــلة النهائية، أن المماثلة بوجود الضمتين رهن بسياق

---

(٢٣) البقرة : ٦١.

(٢٤) البقرة : ١٤٢.

(٢٥) البقرة : ١٦٧.



محدد،وهـو أن تكون الهاء مسبوقة بكسر،كما في (في قلوبِهُمُ العجل)[٢٦]، أو ياء كما في (عليهُمُ الذلة).

٤. غـير أن ضم الهاء والميم معاً، في غير هذا الموطن، ليس خاصاً بقراءة الكسـائي، فإجماع القراء منعقد على قراءة: "فزادهم الله مرضاً"[٢٧] بضم الهـاء والمـيم، فلا تنفرد قراءة الكسائي بضمهما. وكان لا بد للقراء أن يجمعـوا على ذلك. أما هاء ضمير التثنية أو الجمع الذي تنفرد به قراءة الكسائي، فهو أنها تضمهما عند اجتماع الشرطين الآتيين:

سبق الهاء بياء أو كسرة

كون الميم متبوعة بهمزة وصل.

ومن صور المماثلة التقدمية غير المباشرة في قراءة الكسائي، أنه قرأ (من بطـون إمهاتكم)[٢٨]، بكسر الهمزة في (إمهاتكم)، وفتح الميم المشددة عند الوصل فقط[٢٩]، من أجل أن تماثل كسرة النون. وقرأ كذلك "فلإمه" بكسر الهمزة[٣٠] لتماثل كسرة اللام.

(ج) المماثلة الرجعية المباشرة

هـذا الـنوع في قراءة الكسائي كثير. ومن أمثلته أن الكسائي قرأ الصاد بالجهـر فـي "أصـدق" في قوله تعالى: (ومن أصدق من الله)[٣١]، والصاد في "يصـدر" من قوله تعالى: (يومئذ يصدر آلناس أشتاتاً ليروا أعملهم)[٣٢]. وكان

---

(٢٦) البقرة : ٩٣.

(٢٧) البقرة : ١٠.

(٢٨) النحل: ٧٨؛ والزمر: ٦.

(٢٩) المحيسن : المهذب في القراءات العشر ، ٢ /٨٦.

(٣٠) المحيسن : المهذب في القراءات العشر، ١/١٥٢.

(٣١) النساء : ١٢٢.

(٣٢) الزلزلة : ٦.

علمـــاء القراءات يسمون هذه الظاهرة إشمام الصاد زاياً[٣٣]. وحقيقة هذا النوع مـــن التماثل الصوتي هو أن الصاد (وهو صوت مهموس)، يفقد ظاهرة الهمس؛ ليماثل الصوت المجهور الذي بعده وهو الدال، فيصبح المهموس مجهوراً.

وهـــذه الظاهرة معروفة حقيقتها عند اللغويين العرب، قال ابن جني[٣٤]: "ومـــنه تقريـــب الحـــرف مـــن الحرف نحو قولهم في (مصدر): مزدر، وفي (التصـــدير): التزدير، وعليه قول العرب في المثل: لم يحرم من فزد له، أصله: فصد له، ثم أسكنت العين، على قولهم في (ضرب): ضرب، فلما سكنت الصاد فضـــعفت به، وجاورت الصاد وهي مهموسة، الدال وهي مجهورة، قربت منها بأن أشمت شيئاً من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر"[٣٥].

والعملية من الناحية النطقية ليست توافقاً بين صوتين فحسب. إنها أكثر من ذلك بكثير، فهي عملية مرتبطة بميكانيكية النطق، فإن الوترين الصوتيين في حـــال نطـــق الأصوات المهموسة، والصاد منها،يبتعد أحدهما عن الآخر، حتى تكـــون المســـافة بينهما كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة، فلا يتذبذب الوتران الصوتيان. وأما سرعة الهواء فإنها تتراوح ما بين ٢٠٠- ٣٠٠ سم٣/ث غالباً. وأمـــا فـــي حـــال نطـــق الأصوات المجهورة، والدال واحد منها، فإن الوترين الصوتيين يقترب أحدهما من الآخر، حتى تكون المسافة بينهما غير كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة، فيفرقهما الهواء، ثم يقتربان، ثم يبتعدان، وتتكرر العملية حتى تتـــراوح مرات الذبذبة ما بين ١٤٠- ١٦٠ ذبذبة في الثانية عند الرجال، ومـــا بين ٢٤٠- ٢٦٠ ذبذبة عند النساء، وتكون سرعة الهواء ما بين ٢٠٠-

---

(٣٣) عثمان الداني: التيسير في القراءات السبع، ص١٨.

(٣٤) أبو الفتح عثمان بن جني صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة والنحو والأدب. صحب أبا علي الفارسي. توفي سنة ٣٧٢هـــ. (إنباه الرواة، ٢/٣٣٥).

(٣٥) عثمان بن جني، (الخصائص، ٢ / ١٤٤).

٧٠٠ سـم٣/ث تقريـــــــبا[٣٦]. ومعـــنى ذلك، أن تغير نطق الصاد ليصبح مجهـوراً عند مجاورته الدال في (يصدر وأصدق)، إنما كان بسبب السرعة في عمل الوترين الصوتيين، وبسبب ديناميكية الهواء في الوضعين المختلفين اللذين يــتخذهما الوتــران الصــوتيان جهراً وهمساً. ونطق الصاد على هذا النحو في (أصدق) و (يصدر)، صورة فرعية لنطقها الأساسي.

وقـد قمــت بقــياس الترددات لنطق كلمة (يصدر)، بهمس الصاد، ثم بجهرها أي بجعلها زاياً مفخمة، وذلك باستخدام الراسم الطيفي المحوسب، فتبين أن نطقها مجهورة يخفف من تردداتها، وهو الأمر الذي يفسر لنا اختيار الكسائي لجهر الصاد في هاتين الكلمتين. وقد كانت النتائج كما هي مبينة في ما يأتي:

١. عــند نطــق الصـــاد مهموسة في (يصدر)، أي بنطقها على الأصل دون تغيــير، بلغت ترددات الصوت في المستوى الترددي الأول ٢٢٢ هرتز. أمــا عـــنـد نطقها زاياً مفخمة، فقد بلغت تردداتها في المستوى الترددي الأول ٢,٤ هرتز، أي بفارق مقداره ١٨ هرتز. أي أن ترددات الصاد تقل في المستوى الترددي الأول عند نطقها مجهورة.
٢. بلغ أعلى تردد للصاد مهموسة في (يصدر) ٤٨٧هرتز، وبلغ أعلى تردد عــند نطقها زاياً مفخمة ٤٢٨ هرتز، أي بفارق مقداره ٥٩ هرتز. وهذا يعني أن أعلى تردد للصاد في (يصدر) يقل عند نطقها مجهورة.
٣. بلـــغ معدل الترددات عند نطق الصاد مهموسة في (يصدر): ٣٩٣هرتز، وبلـــغ معدلهـــا عند نطق الصاد زاياً مفخمة ٣٣٢ هرتز، أي بفارق ٦١ هرتـــز. وهذا يعني أن معدل الترددات يقل عند نطق الصاد في (يصدر) مجهورة.

---

(٣٦) انظر تفصيل ذلك في : Catford,p.١.

٤. بلغت نسبة الاضطراب الموجي عند نطق الصاد مهموسة ٢٨، ٥٠% وبلغت عند نطق الصاد زاياً مفخمة ٢٦,٩٥% ، أي أنها تقل بنسبة ١، ٩٧.% .

٥. تحـــدث فجـــوة صوتية بين الصاد والدال في (يصدر)، وهي فجوة يحدث فـــيها توقـــف سريع لتيار الهواء. وقد بلغت نسبة التوقف هذا عند نطق الصاد مهموسة ٢٨،٧٩%. وبلغت نسبة هذا التوقف عند نطق الصاد زاياً مفخمـــة ١،٠٧١%، أي بفارق مقداره ١٨،٠٨%. وهو فارق كبير، إذ هو أكـــبر مـــن نســـبة التوقف التي تطرأ على تيار الهواء عند نطق الصاد مجهورة (زاياً مفخمة). وهذا له أهميته ودلالته في الحسابات الأكوستيكية.

ومن هنا يتبين لنا، أن اختيار الكسائي لإشمام الصاد زاياً، (على حسب تعبـــير علمـــاء القـــراءات)، له ما يسوغه من الناحية الصوتية الأكوستيكية، إذ تـــنخفض درجـــة ترددات الصوت، في المستوى الترددي الأول، كما يقل أعلى تـــردد، ومعـــدل الترددات، وتنخفض نسبة الاضطراب الموجي، ودرجة الفجوة الهوائية كما وضحنا ذلك بالتفصيل.

ومـــع ذلـــك، فإن قراءة الكسائي لا تحول الصاد دائماً إلى زاي مفخمة، كلما كانت متبوعة بصوت مجهور. فإذا كان من شأن الصاد أن تصبح مجهورة فـــي (أصدق)، و (يصدر) في قراءة الكسائي، فليس شأن الصاد كذلك في كلمة (الصراط) مثلاً. وأما ما روى عن الكسائي ويعقوب[٣٧] من أنهما يشمّانهما زاياً في كل القرآن، فقد رده الأصبهاني[٣٨]، وقال: "وهو غلط"[٣٩].

---

(٣٧) يعقوب بن إسحاق الحضرمي، أحد القراء العشرة، ولد سنة سبع ومائة، سمع الحروف مـــن الكســـائي، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء، وسمع حمزة. مات سنة ٢٠٥هـــ . (غاية النهاية، ٣٨٩/٢).

(٣٨) أحمـــد بن الحسين الأصبهاني، ولد سنة خمس وتسعين ومائتين. قرأ على ابن الأخرم وابن بويان والنقاش وغيرهم. له تصانيف كثيرة في القراءات العشر. توفي سنة ٣٨١ هـــ. (غاية النهاية، ٤٩/١).

وقد وضح ابن الجزري[40] الطريقة الصحيحة في نطق الصاد، حين يكون متبوعاً بصوت يمكن أن يؤثر في نطق الصاد فقال: "والصاد ليحترز حال سكونها إذا أتى بعدها تاء أن تقترب من السين نحو: ولو حرصت، وحرصتم، أو طاء أن تقترب من الزاي نحو: اصطفى، ويصطفي، أو دال أن يدخلها التشريب عند من لا يجيزه. نحو: أصدق، ويصدر، تصدية"[41]. وهذا الذي ذهب إليه ابن الجزري في تحذيره من تشريب الصاد زاياً عندما يكون متبوعاً بالطاء يعني شيئاً واحداً وهو أن الطاء كان صوتاً مجهوراً، ولم يكن صوتاً مهموساً. وعلى هذا انعقد الإجماع بين النحاة والقراء، يقول سيبويه[42]: " لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها"[43]. وقد خرج كمال بشر بثلاثة احتمالات يفسر بها التقابل بين الطاء والدال في كلام سيبويه، وهذه الاحتمالات هي[44]:

الاحتمال الأول: ليس من البعيد أن يكون هؤلاء العلماء قد أخطؤوا التقدير فظنوا أن الطاء مجهورة. وقد يقبل هذا الاحتمال إذا علمنا أنهم لم يشيروا إلى العامل الأساسي في حدوث ظاهرتي الجهر والهمس. ونعني بهذا العامل وضع الأوتار الصوتية حال النطق بالأصوات، بل قل إنهم لم يشيروا إطلاقاً إلى وظيفة هذه الأوتار في عملية النطق.

---

(٣٩) أحمد بن الحسين الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ص٨٧.

(٤٠) محمد بن الجزري، أحد أئمة القراءات المشهورين، له فيها مصنفات كثيرة. ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ، وتلقى العلم على أكابر شيوخ عصره، ولي قضاء الشام، وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

(٤١) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ٢١٩/١.

(٤٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، إمام أئمة النحو، أخذ عن حماد بن سلمة والخليل بن أحمد، توفي سنة ١٨٠هـ. كتابه في النحو أعظم كتب النحو العربي قاطبة.

(٤٣) سيبويه، الكتاب ٤٣٦/٤.

(٤٤) كمال بشر، علم اللغة العام – الأصوات، ص١٠٣.

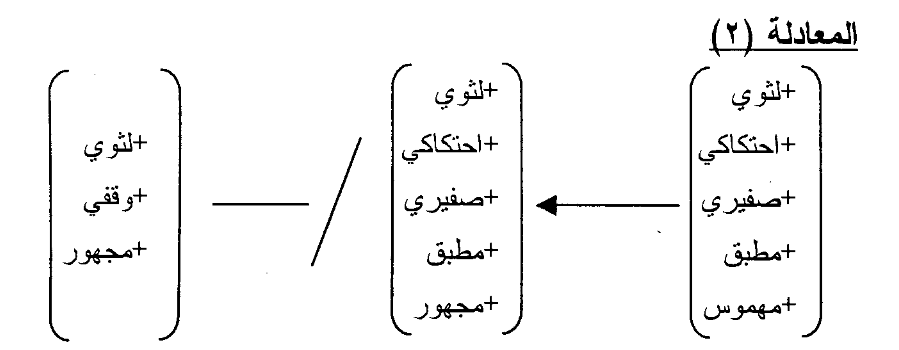
الاحتمال الثاني: لعل تطوراً قد حدث في نطق ذلك الصوت الذي يرمز إليه كتابه بالحرف (ط)، فلعلهم كانوا ينطقونه في القديم بما يشبه نطق الضاد الحالية. والضاد الحالية صوت مجهور، وهي (لا الطاء) النظير المطبق أو المفخم للذال.

الاحتمال الثالث: لعلهم كانوا يصفون صوتاً يشبه الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وفي نطق بعض السودانيين الآن، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز glottalization، أي أننا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها.

إن النص الذي نقلناه من ابن الجزري يدفع الاحتمالين الأول والثالث، ولا يبقى إلا الاحتمال الثاني، وهو أن الطاء كان ينطق كما ننطق نحن الضاد في العربية الفصيحة المعاصرة، وهي التي يقرأ بها القرآن الكريم. فلو لم يكن الطاء مجهوراً لم يكن داع إلى أن يحذر ابن الجزري من نطق الصاد مشرباً بالزاي عندما يكون متبوعاً الطاء: "والصاد ليحترز حال سكونها إذا أتى بعدها طاء أن يقترب من الزاي نحو: اصطفى، ويصطفي". وهذا يعني بوضوح أن علماء العربية وعلماء القراءات لم يخطئوا في وصف الطاء عندما عدوه مجهوراً. هذا وقد سمعت بعض سكان صنعاء والقرى المجاورة لها ينطقون الطاء ضاداً. بل سمعت بعض القراء اليمنيين ينطقون الطاء ضاداً في الإذاعة المرئية والمسموعة. وهذا يدل على أن نطق الطاء على هذا النحو، هو النطق العربي الصحيح الذي وصفه علماء العربية وعلماء القراءات.

على أي حال،يمكن الخروج بنتيجة لمسألة تحول الصاد إلى زاي مفخمة، في قراءة الكسائي، بما يمكن تمثيله بالمعادلة (٢) وهي الآتية:

المعادلة (٢)



ومن صور المماثلة الرجعية المباشرة في قراءة الكسائي، أنه قرأ السين (يبسط) و (بسطة) بالصاد. ووجه المماثلة هنا أن الطاء (وهو صوت مطبق) قد أثـر فـي السين (وهو صوت مرقق غير مطبق)، فأصبح السين صوتاً مطبقاً. والمعادلة (٣) توضح هذا التحول الصوتي:

المعادلة (٣)

+لثوي	+لثوي	+لثوي
+احتكاكي	+احتكاكي	+وقفي
+صفيري	+صفيري	+مهموس
+ مهموس	+مهموس	+مطبق
-مطبق	+مطبق	

ومن صور المماثلة الرجعية المباشرة في قراءة الكسائي، أنه كسر الباء في (بيوت)، والعين في (عيون)، والشين في (شيوخاً). وإنما كان ذلك من أجل أن الضمة في هذه الصوامت متبوعة بياء لينة (نصف حركة). والفرق بين الياء والضمة فرق هائل، من حيث إن الضمة صوت خلفي، فاللسان يرتد إلى الخلف عـند نطقها. وأما الياء فصوت أمامي، لأن اللسان يتقدم إلى الأمام عند نطقها، وموضع نطقها في وسط الحنك[٤٥]. ولذلك تتحول الضمة في (بيوت) وأضرابها

---

(٤٥) كمال بشر: علم اللغة العام، ص١٠٣ .

إلى كسرة، لتناسب الياء التي هي صوت أمامي،فتكون المماثلة كما هي مبينة في المعادلة (٤) وهي الآتية:

<u>المعادلة (٤)</u>

ح [+خلفية / +ضيقة / +مدورة] ← ح [+أمامية / +ضيقة / +غير مدورة] / ____ ح ١/٢ [+أمامية]

ومن صور المماثلة الرجعية المباشرة، في قراءة الكسائي، أنه قرأ (سيئ بهم، وسيئت)[٤٦] بالإشمام[٤٧]. وجه المماثلة هنا أن الهمزة (وهي صوت خلفي، لأن موضع نطقها في الحنجرة) قد أثرت في ياء المدّ (وهي صوت أمامي)، فأصبحت الياء مشمة بالضم، أي أنها أصبحت ذات حجرتي رنين: إحداهما خلفية،والأخرى أمامية. والفرق بين المماثلة في (سيئ وسيئت)، وتلك التي في إشمام ياء المد ضماً في (قيل وغيض)، أن المماثلة في الكلمتين الأوليين مماثلة رجعية مباشرة، لأن الصوت اللاحق وهو الهمزة، قد أثر في الصوت الذي يسبقه مباشرة وهو الياء، فجعله مشماً بالضم. وأما المماثلة التي في (قيل وغيض) فهي تقدمية مباشرة. ويمكن تمثيل التغير الذي طرأ على (سيئ وسيئت) بالمعادلة (٥)، وهي الآتية:

<u>المعادلة (٥)</u>

ح [+أمامية / +ضيقة / +مدورة] ← ح [+أمامية / +ضيقة / +مدورة] / ____ ص [+أمامية]

---

(٤٦) هود،٧٧؛ والعنكبوت، ٣٣؛ والملك، ٢٧.

(٤٧) عثمان الداني، التيسير في القراءات السبع، ص١٢٥.

غـــير أن الإدغام أهم صورة من صور المماثلة الرجعية المباشرة، في قراءة الكسائي. أما أنه صورة من صور المماثلة فحسبنا أن ابن جني[٤٨] يقول: "قــد ثبــت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت"[٤٩]، ويقــول: "والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت"[٥٠]. واستعمال ابــن جني كلمة (الصوت) في هذين النصين استعمال موافق للدراسات الصوتية المعاصــرة التي تستعمل هذه الكلمة بدلاً من كلمة (الحرف)، وهي الكلمة التي كانــت ســائدة في الدرس الصوتي والصرفي والنحوي القديم. وبذلك يكون ابن جنــي ســباقاً في استعمال ما لم يستعمله غيره من اللغويين العرب قبله وبعده. ويوضــح ابن جني حقيقة الإدغام مرة أخرى، بصورة أعمق فيقول: "فإن كان الأول مــن المثليــن مــتحركاً، ثم أسكنته وادَّغمته في الثاني، فهو أظهر أمراً، وأوضــح حكماً. ألا لتخلطه بالثاني، وتجذبه إلى مضامته ومماسَّة لفظه بلفظه، بــزوال الحــركة التــي كانت حاجزة بينه وبينه. وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمــت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه، لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير"[٥١].

وتبرز هنا قضية صوتية وهي: هل الصوتان المدغمان صوت واحد أم صــوتان؟ ولتوضيح هذا السؤال تقول: هل الدالان في (شد) صوتان أم صوت واحــد؟ وهــل الميمان في (امّحى) صوتان أم صوت واحد؟ وهل الضادان في قــراءة الكسائي بإدغام الدال بالضاد في (فقد ضل) صوت واحد أم صوتان؟ لقد كتــب الأخ الدكتور جعفــر عبابنة حول هذه المسألة بحثاً نشره في مجلة أبحاث

---

(٤٨) هــذا الــرأي ليس خاصاً بابن جني وحده، بل هو رأي علماء العربية بعامة، وأخترنا قول ابن جني لاستعماله كلمة الصوت بدلاً من الحرف.

(٤٩) ابن جني، الخصائص،٢ /١٣٩.

(٥٠) ابن جني، الخصائص، ٢ /١٤٠.

(٥١) ابن جني، الخصائص، ٢ /١٤٠.

اليرموك[٥٢]، وقد أورد فيه أقوال القدماء والمحدثين الذين يرون "أن الإدغام يجعل من الحرفين حرفاً واحداً طويلاً"[٥٣]. فقد أورد لابن جني وشارح الشافية[٥٤] نصوصاً تدل على أن الصوت المشدد حرف واحد من الناحية النطقية، ثم رد عليها، ورد على عبد الصبور شاهين، وبيستون، وأحمد مختار عمر، وتمام حسان. وملخص رأيه في المسألة، أن الصوت المشدد هو في الحقيقة صوتان لا صوت واحد، ومن أدلته على ذلك ما يأتي:

١. أن التركيب المقطعي لكلمة مثل (عدّ)، يجعل العين وما يليها من فتحة والدال الأولى الساكنة في مقطع، كما يجعل الدال الثانية وحركتها الفتحة في مقطع آخر[٥٥].

٢. تبين مصادر الإدغام يدل على أن الإدغام يتألف من حرفين لا حرف واحد، فلا إدغام بغير تضعيف أي وجود حرفين مثلين[٥٦].

٣. أن فك الإدغام يدل هو الآخر، دلالة قاطعة على وجود المثلين، فلو قلنا في (شدّ): (شددت) لبين لنا الإظهار أن ثمة حرفين مثلين لا حرفاً واحداً[٥٧].

ولا حاجة بنا إلى ذكر سائر أدلة الدكتور جعفر عبابنة في أن الصوتين المدغمين صوتان لا صوت واحد، فهي كلها تجري على هذا النسق. ولوضع المسألة في نصابها الذي نتصوره نقول: لا بد من التفريق بين مستويين من

---

(٥٢) جعفر عبابنة، "في حقيقة الإدغام"، أبحاث اليرموك، م٣، ع٢، (١٩٨٥م)،ص٤٧-٥٩.

(٥٣) عبابنة، "في حقيقة الإدغام"، ص٥٢.

(٥٤) شارح الشافية هو الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأسترابادي النحوي المتوفى سنة ٦٨٦ هـ.

(٥٥) جعفر عبابنة، "في حقيقة الإدغام"، ص٥٤.

(٥٦) جعفر عبابنة، "في حقيقة الإدغام"، ص٥٥.

(٥٧) جعفر عبابنة، "في حقيقة الإدغام"، ص٥٥-٥٦.

التحليل الصوتي: المتسوى الفوناتيكي الذي يتناول العملية النطقية للصوت ويرصدها، والمستوى الفونولوجي الذي ينظر إلى الأصوات في سياقها الكلامي. وعلى ذلك، فالإدغام من الناحية الفوناتيكية الخالصة، هو إطالة مدة الصامت وزيادة كميته، فإذا كان هذا الصامت وقفياً كالدال مثلاً، فتشديده يعني إطالة مدة حبس الهواء وزيادة ضغطه. وليس الإدغام فوناتيكياً إلا إطالة لمدة حبس الهواء وزيادة ضغطه، فيظهر الصوتان صوتاً واحداً مشدداً. وإذا كان الصوت استمرارياً كالصاد مثلاً، فتشديده يعني زيادة كميته (بضغط الهواء) وإطالة مدته،وليس الصوتان الاستمراريان المدغمان إلا صوتاً واحداً زيدت كميته وأطيلت مدته.

هذا من الناحية الفوناتيكية المحضة. ولا أحسب أن اللغويين القدامى والمحدثين كانوا يريدون خلاف ذلك وهم يصفون عملية الإدغام، وهم على حق في ذلك.

ولا شك أن الحكم على الإدغام من الناحية الفونولوجية الوظيفية مختلف عن ذلك تماماً. فإذا قلنا: إن الدال المشدد في (شد) صوتان لا صوت واحد. فهما كذلك من الناحية الفونولوجية لا من الناحية الفوناتيكية. ولا شك أن الدكتور عبابنة يشير إلى هذا الجانب، ولا يتحدث عن الجانب الفوناتيكي.

ولدى استقراء المواطن التي أدغم فيها صوت في صوت آخر، في قراءة الكسائي، تبينت الوجوه الآتية للإدغام:

١. إدغام صوت استمراري في صوت استمراري، وذلك مثل: (بل نتبع)[٥٨]، فقد قرأها الكسائي بإدغام اللام في النون[٥٩]؛ ومثل: (ومن يفعل ذلك)[٦٠]،

---

(٥٨) البقرة، ١٧٠؛ ولقمان ٢١.

(٥٩) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ١ /٨١.

(٦٠) البقرة، ٢٣١.



فقد قرأها بإدغام اللام في الذال[61]. ومثل: (ويعذب من يشاء) [62]، فقد قرأها بإدغام الباء في الميم[63].

٢. إدغام صوت وقفي في صوت استمراري، وذلك مثل: (فقد ظلم) [64]، فقد قرأها بإدغام الدال في الظاء[65]؛ ومثل (أنبتت سبع سنابل) [66]، فقد قرأها بإدغام التاء في السين[67]؛ ومثل: (ولقد صدقكم) [68] فقد قرأها بإدغام الدال في الصاد[69]؛ ومثل: (وجاءت سكرة الموت) [70]، فقد قرأها بإدغام التاء في السين[71]. قال ابن خالويه[72]: "قوله تعالى: (لقد سمع) يقرأ بإدغام الدال في السين وإظهارها، وكان الكسائي يقول: "إدغامها أكثر وأفصح وأظهر، وإظهارها لكنة ولحن"[73]. وتمثل المعادلة (٦) هذا التغير الصوتي.

---

(٦١) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ٩٣/١.

(٦٢) البقرة، ٢٨٤.

(٦٣) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ١ /١١٢.

(٦٤) البقرة، ٢٣١؛ والطلاق، ١.

(٦٥) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ٩٣/١.

(٦٦) البقرة، ٢٦١.

(٦٧) المحسين، المهذب في القراءات العشر ، ٩٣/١ .

(٦٨) آل عمران، ١٥٢.

(٦٩) المحيسن، المهذب في القراءات العشر،١ /١٣٩.

(٧٠) ق، ١٩.

(٧١) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ٢ /٣٧٣.

(٧٢) الحسن بن أحمد خالويه، من أئمة النحو والقراءات. أخذ عن ابن مجاهد وابن دريد وابن الأنباري والسيرافي وغيرهم. توفي سنة ٣٧٠هـ. (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،١ /٥٢٩).

(٧٣) الحسن بن أحمد بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠ م)، ص ١١٧.

المعادلة (٦)

ص [+وقفي] ⟵ ص [- وقفي] / —— ص [- وقفي]

٣. إدغام صوت وقفي في صوت مركب وذلك مثل: (قد جئتكم)[٧٤] فقد قرأها الكسائي بإدغام الدال في الجيم[٧٥]. والمعادلة (٧) تمثل هذا التغير الصوتي.

المعادلة (٧)

ص [+وقفي +مركب] ⟵ ص [+مركب] / —— ص [+مركب]

٤. إدغام صوت استمراري في صوت وقفي وذلك مثل: (إذ تحسونهم)[٧٦] فقد قرأها بإدغام الذال في التاء[٧٧]. وقرأ الكسائي بإدغام الذال في التاء في (لبثتم)[٧٨] و (ولبثت)[٧٩]. والمعادلة (٨) تمثل حقيقة هذا التغير الصوتي.

٥. **المعادلة (٨)**

ص [-وقفي] ⟵ ص [+ وقفي] / —— ص [+ وقفي]

---

(٧٤) آل عمران، ٤٩.

(٧٥) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ١٢٤/١.

(٧٦) آل عمران، ١٥٢.

(٧٧) المحيسن، المهذب في القراءات العشر، ١٣٩/١.

(٧٨) الكهف، ١٩.

(٧٩) الشعراء، ١٨.

٥. أمـــا إدغـــام صوت وقفي في صوت وقفي آخر، فذلك ليس خاصاً بقراءة الكسائي، بل هو مجمع عليه بين القراءات القرآنية، وذلك مثل إدغام الدال فـــي التاء كما في: (لقد تاب) [٨٠]. ويكون وجه المماثلة هنا بتغير الجهر إلـــى همـــس، إذ تحول صوت الدال المجهور إلى نظيرة المهموس وهو التاء، ثم أدغما، والمعادلة (٩) تمثل هذا التغير.

المعادلة (٩)

ص [+مجهور] ← ص [−مجهور] / ـــــ ص [− مجهور]

٦. وأمـــا إدغـــام الدال في الضاد في مثل: (فقد ضل) [٨١]، فليس من إدغام الوقفـــي فـــي الوقفـــي، وإنما هو من إدغام الوقفي في الاستمراري، لأن الضـــاد في نطقهم لم يكن صوتاً وقفياً، بل كان استمرارياً (رخواً)، هكذا عـــدّه ســـيبويه[٨٢] وغـــيره[٨٣]. وهذا يعني أن الضاد لم يكن كضادنا في الفصـــيحة المعاصـــرة، بـــل كان مختلفاً عنه تماماً، وإلى ذلك يشير ابن الجـــزري فيقول: "والضاد انفرد بالاستطالة. وليس من الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه، فمنهم من يخـــرجه ظـــاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي، وكل ذلك لا يجوز"[٨٤].

---

(٨٠) التوبة، ١١٧.

(٨١) البقرة، ١٠٨.

(٨٢) سيبويه، الكتاب، ٤/٤٣٥.

(٨٣) محمد بن سهل السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحي الفتلي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م)، ٣ /٤٠٢ .

(٨٤) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/٢١٩.

٢. الإمالـــة

هـــي في مفهومنا الصوتي المعاصر، أية حركة واقعة بين أعلى حركة وأدنـــى حركة، (سواء أكانت الحركة أمامية أم خلفية). فأعلى حركة أمامية هي الكســـرة (والكســـرة الطويلـــة وهي ياء المد). وأدنى حركة أمامية هي الفتحة المـــرققة (والفتحة الطويلة وهي الألف). وأي حركة واقعة بين الكسرة والفتحة المرققة، أو بين ياء المد والألف المرققة، هي حركة ممالة.

كذلـــك، فـــإن أية حركة واقعة بين الضمة والفتحة المفخمة (أو بين واو المـــد والألف المفخمة) هي في حقيقتها إمالة. ولكن علماء العربية والقراءات لا يقصدون بالإمالة إلا ما كان بين أعلى حركة أمامية وأدنى حركة أمامية.

وقد قسم علماء العربية والقراءات الإمالة قسمين: إمالة كبرى وصغرى "فالكـــبرى متناهية في الانحراف، والصغرى متوسطة بين اللفظين، أي بين لفظ الفـــتح ولفظ الإمالة المحضة"[٨٥]. وعلى ذلك، يكون ما سموه بالإمالة الصغرى قريـــباً ممـــا نسميه نحن الآن– في علم الأصوات– بالحركة المعيارية الأساسية الثالـــثة، ويكـــون مـــا ســـموه بالإمالة الكبرى، قريباً مما نسميه الآن بالحركة المعيارية الثانية.

والغريـــب أن ابن جني يعد الإمالة ضرباً من ضروب الإدغام الأصغر، ولذلك فهو يقول: "وأما الإدغام فهو تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه من غـــير إدغام يكون هناك، وهو ضروب فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لـــتقرب الصـــوت مـــن الصـــوت، وذلك نحو: عالم، وكتاب، وسعى، وقضى، واستقضى.

---

(٨٥) علي بن عثمان بن القاصح، سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م)، ص١٠٣.



ألا تــراك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفــتحة نحــو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى، وقضى: نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها"[86]. ومعنى هذا أن الإمالة في نظر ابن جني إنمــا هي ضرب من المماثلة، إذ إن الألف في (عالم)، و (كتاب) تمال من أجل أن تقــترب مــن كسرة اللام التي بعدها في (عالم) وكسرة الكاف التي قبلها في (كــتاب). ولهــذا ما يؤيده في عملية التحليل التقابلي،فألف (عالم)، بفتح اللام،لا تمــال، وألــف (شــارك ودافــع وصافح وأضرابها) لا تمال في فصيح اللسان العربي.

تكــثر الإمالــة في قراءة الكسائي بشكل ملحوظ، وذلك على الرغم من اخــتلاف راويــيه: الدوري، وأبي الحارث في ذلك، قال ابن مجاهد[87]: "وأما الكســائي فروى عنه أبو الحارث أنه لم يمل من ذلك شيئاً، إلا إذا تكررت الراء في موضع الخفض مثل: الأشرار، ومن قرار، والأبرار. وكان أبو عمر الدوري يروي عنه أنه كان يميل كل ألف بعدها راء مكسورة"[88].

إذا اســتقرأنا المواطــن التي تحدث فيها الإمالة في قراءة الكسائي، كان بالإمكان حصرها في ما يأتي:

١. قرأ الكسائي بإمالة كل ألف منقلبة عن ياء في الأسماء والأفعال[89].

وعلى ذلك، فالألف في الكلمات الآتية ممالة في قراءة الكسائي: استوى، فســواهن، فتلقى، تولى، أغنى، يجزاه، أعطى، فغشاها، فتعاطى، أدهى،

---

(٨٦) ابن جني، الخصائص،٢ /١٤١.

(٨٧) أبــــو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد. ولد ببغداد سنة ٢٤٥هــ. (غاية النهاية،١ /١٣٩).

(٨٨) أحمد بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص١٤٩.

(٨٩) ابن القاصح، سراج القارئ، ص١٠٣.

اشـــتراه، سعى، قضى، ترضى، وصى، اصطفى، ترضاها، نرى، اتقى، اعتدى، الهدى.

وإمالة هذه الكلمات وأضرابها من فصيح اللسان العربي، قال سيبويه: "أما مـــا كـــان مـــن بنات الياء فتمال ألفه، لأنها موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوهـــا"(٩٠). وقـــد سـمى مكي بن أبي طالب(٩١) هذا النوع بأنه"الإمالة للإمالة" نحو: رأى، ورآه، ورآك، أميلت الألف التي بعدها الهمزة لتقرب من أصلها وهو الياء، وأميلت فتحة الهمزة، ليوصل بذلك إلى إمالة الألف، وأميلت الراء لإتيان حرفين ممالين بعدها، ومثله: "ونأى بجانبه"(٩٢). هذا الذي ذهب إليه مكي بن طالب غريب، بل هو غير صحيح، فهو يتصور كمـــا كان غيره من علماء العربية يتصورون، أن الهمزة في (رأى) لها فـــتحة ذات وجود مستقل عن وجود الألف. والحق أنه لا وجود لمثل هذه الفتحة. فالموجود بعد الهمزة في (رأى) هو الألف.

٢. قرأ الكسائي بإمالة ألف التأنيث في ما كان:

(أ) على وزن (فُعلى) بضم الفاء مثل: الأنثى ، والسوءى ، والأخرى ، والبشرى، والكبرى.

(ب) علـــى وزن (فَعلـــى) بفـــتح الفاء مثل : التقوى، والنجوى، وشتى، وأسرى، وسكرى.

(ج) علـــى وزن (فِعلى) بكسر الفاء مثل: إحدى، وسيماهم، والشعرى، والذكرى.

---

(٩٠) سيبويه، الكتاب، ٤ /١١٨.

(٩١) مكي بن أبي طالب القيسي، أحد أئمة القراءات. ولد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ. قرأ على أئمـــة عصره مثل ابن غليون. له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٤٣٧هـ. (غاية النهاية، ٢ /٣٠٩).

(٩٢) مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،٩١/١.



(د) على وزن (فُعالى) بضم الفاء مثل: فرادى، وكسالى.

(هـ) على وزن (فَعالى) بفتح الفاء مثل: اليتامى، والأيامى، والنصارى[٩٣].

٣. قرأ الكسائي بإمالة ألف كل اسم استفهام مثل[٩٤] أنى، ومتى، كما في: "أنى يحيي هذه الله بعد موتها"[٩٥] و "أنى لك هذا"[٩٦]، و "أنى يكون لي غلام"[٩٧]، و "متى هو"[٩٨].

٤. قرأ الكسائي بإمالة ألف (بلى) و (عسى)، حيث وقعتا في القرآن الكريم[٩٩].

٥. قرأ بإمالة كل ألف متطرفة، مما ليس أصله ياء، كما في: (ضحى، ولا تضحى)، أو إن كانت متطرفة زائدة كما في: "يا حسرتا"، و "يا ويلتا"[١٠٠] و "الرؤيا"، و "رؤياي"[١٠١].

٦. وقرأ بإمالة كل ألف هو لام الكلمة، منقلباً عن واو في الفعل والاسم زائدتين على ثلاثة أحرف فصار رباعياً أو أكثر كما في: "قد أفلح من زكاها"[١٠٢]، و "فلما أنجاهم"[١٠٣]، و " إذ أنجاكم"[١٠٤]، و "فأنجاه الله من

---

(٩٣) ابن القاصح، سراج القارئ، ص١٠٤.

(٩٤) ابن القاصح، سراج القارئ،ص١٠٥.

(٩٥) البقرة، ٢٥٩.

(٩٦) آل عمران، ٣٧.

(٩٧) مريم:٨، والآية ٢٠؛ وآل عمران: ٤٠.

(٩٨) الإسراء ،٥١.

(٩٩) ابن القاصح، سراج القارئ، ص ١٠٤.

(١٠٠) ابن القاصح، سراج القارئ، ص١٠٥.

(١٠١) ابن القاصح، سراج القارئ، ص١٠٧.

(١٠٢) الشمس، ٩.

(١٠٣) يونس، ٢٣.

النار"[١٠٥]. وأمثلة ذلك من المضارع: "يتلى ويدعى"، ومن الاسم: "الأدنى، والأعلـى، وأزكـى"[١٠٦]. وقد ذكر سيبويه إمالة هذا النوع من الكلمات، فقال: "فإذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة، لأنها قد خرجت إلى الياء"[١٠٧].

٧. انفرد الكسائي بإمالة الألف في (مرضات، ومرضاتي) والألف الأخيرة في (خطايـا، وخطاياكم، وخطاياهم)[١٠٨]. وقد عد سيبويه الإمالة ممتنعة إذا كانت الألف مسبوقة بصاد، أو ضاد، أو طاء، أو غين، أو قاف، أو خاء. وقد فسر سيبويه ذلك المنع فقال: "وإنما منعت هذه الحروف الإمالة؛ لأنها حـروف مسـتعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها اسـتعلت إلى الحنك الأعلى. فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في: (مساجد) ونحوها. فلما كانت الحروف مسـتعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف، كان العمل من وجه واحد أخف عليهم"[١٠٩].

إن ما ذكره سيبويه ليس صحيحاً من الناحية الصوتية العلمية المعاصرة، فإن الألف ليس صوتاً مستعلياً، ولا معنى لقوله: "والألف إذا خرجت من موضـعها استعملت إلى الحنك الأعلى". فاللسان عند نطق الفتحة ومدها (وهو الألف) ينزل إلى أقصى درجة ينزل إليها عند نطق حركة. وعكس مـا ذكره سيبويه هو الصحيح، فإنه يكون أسهل على اللسان أن ينتقل من

---

(١٠٤) إبراهيم، ٦.

(١٠٥) العنكبوت، ٢٤ .

(١٠٦) ابن القاصح، سراج القارئ، ص١٠٦.

(١٠٧) سيبويه، الكتاب، ٤ /١٢٠. (١٩٨) ابن القاصح، سراج القارئ، ص ١٠٧.

(١٠٨) ابن القاصح، سراج القارئ، ص ١٠٦

(١٠٩) سيبويه، الكتاب، ٤/١٢٩.



وضع الاستعلاء، عند نطق الصـــاد والضاد والطاء والظاء، إلى الوضع الذي يؤول إليه، عند نطق الحركة المعيارية الأساسية الثانية، وهي الإمالة الكبرى في عرف القراء.

٨. إذا كانـــت إحدى الكلمات التي يميلها الكسائي متبوعة بساكن، فإنه يميلها عـــند الوقـــف عليها فقط. ونأخذ مثلاً لذلك الفعل (نرى). فالكسائي يميل الألف فيه عندما لا يكون متبوعاً بساكن كما في الآية: "أو نرى ربنا"[١١٠]. فـــإذا كانـــت متبوعة بساكن كما في: "نرى الله جهرة"[١١١]، فإن الكسائي يميل ألف (نرى) عند الوقف عليها فقط،ولا يميلها عند الوصل. ومن أمثلة ذلـــك أيضـــاً الكلمات الآتية: موسى، عيسى، أذى، وذلك في مثل الآيات الآتية: "ولقد آتينا موسى الكتب"[١١٢]، فعند الوصل لا تمال ألف (موسى)، ولكـــنها عند الوقف عليها تمال. ومثل ذلك أيضاً: "عيسى ابن مريم"[١١٣]، فـــإن ألف (عيسى) لا تمال وصلاً، وتمال عندما يوقف عليها فقط. ومثل ذلك أيضاً: "وما تهوى الأنفس"[١١٤]، و "هدى الله"[١١٥]، وهلم جرا.

٩. إذا كـــان الاســـم منتهياً بتاء التأنيث، فإن الفتحة تمال عند الوقف عليها، وذلـــك مـــثل: خليفة، والمسكنة، والقوة، ومعدودة، وجنة. هذا إذا لم يكن الصوت الذي قبل التاء واحداً مما يأتي : الحاء، والقاف، والضاد، والغين، والطـــاء، والعين، والصاد، والخاء، والظاء. وعلى ذلك، فإن الكسائي لا يمـــيل فـــتحة الضـــاد في (قبضة) عند الوقف عليها،ولا فتحة الغين في

---

(١١٠) الفرقان،٢١ .

(١١١) البقرة،٥٥ .

(١١٢) المؤمنون،٤٩ .

(١١٣) المائدة،١١٤ .

(١١٤) النجم،٣٣ .

(١١٥) البقرة،١٢٠.

(بالغـــة)، ولا فتحة الطاء في (بسطة)، ولا فتحة العين في (القارعة)، ولا فتحة الصاد في (خاصة)، ولا فتحة الخاء في (الصاخة)، ولا فتحة الظاء في (موعظة)، فتمنع الإمالة في ذلك كله[116]. ولكن محمد المحيسن ذهب إلى خلاف ذلك فقال: "إن الكسائي يميل فتحة الصاد في (خالصة) في حال الوقـــف"[117]. وذكـــر أن الكسائي يميل فتحة الغين في (صبغة) في حال الوقف أيضاً[118]. وذكر المحيسن أيضاً أن الكسائي كان يميل فتحة الضاد في (فريضة) [119].

أمـــا إذا لـــم تكن التاء مسبوقة بواحد من هذه الأصوات، فالمروي عن الكسائي أنه كان يميل الفتحة،قال خلف[120]: "سمعت الكسائي يسكت على قولــه: (وبالآخرة)، وعلى: نعمة، ومعصية، ومرية، والقيامة، ونحو ذلك بكسر الراء في: الآخرة، والميم في: نعمة، والياء في معصية، وكذلك بقية مـــا يشبهها"[121]. وقال: "كان الكسائي أمال هذه الحروف في الوقف، لأن الهـــاء أخت الياء والواو والألف، وإن كانت متحركة، فإذا جاءت حركتها رجع إلى فتح ما قبلها"[122].

---

(١١٦) ابن القاصح سراج القارئ،ص١١٨ .

(١١٧) المحيسن،المهذب في القراءات العشر،٦٨/١ .

(١١٨) المحيسن،المهذب في القراءات العشر،٧٤/١ .

(١١٩) المحيسن،المهذب في القراءات العشر،١٥٧/١ .

(١٢٠) خلـــف بـــن هشام البزار، أحد القراء العشرة. ولد سنة ١٥٠هـــ. روى عن سليم عن حمزة وعن إسحاق المسيبي، وسمع الحروف من الكسائي. كان ثقة زاهداً عابداً. توفي سنة ٢٢٩هـــ. (غاية النهاية،٢٧٢/١).

(١٢١) محمد بن القاسم الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ج٤٠٠/١-٤٠١.

(١٢٢) الأنباري، إيضاح الوقف، ١ /٤٠١ .



١. انفرد الكسائي بإمالة كلمة (خاف) في قوله: "فمن خاف من موص جنفا"[١٢٣]. وقد قالوا في تفسير هذه الإمالة إن أصل الفعل هو (خوف) بفتح فكسر. وليس هذا هو السبب الصحيح فيما نرى. ولكننا نرى أنها أميلت على سبيل المخالفة. فالخاء صوت خلفي، إذ موضع تطقه في منطقه الطبق حين يكون مرققاً، وهو لهوي حين يكون مفخماً. وهو أي الخاء في كلمة (خاف) لهوي لأنه صوت مفخم، وعلى ذلك فالألف خلفية لأنها مفخمة. وعندما تمال ألف (خاف)، فإنها تصبح أمامية، وبذلك تخالف الخاء.

. تغير البنية المقطعية

ثمة أمور كثيرة تعمل على تغيير البنية المقطعية في قراءة الكسائي. من الأمور ما تشترك به هذه القراءة مع سائر القراءات، ومنها ما يميزها من غيرها من القراءات. وأبرز ما يغير البنية المقطعية في قراءة الكسائي، مما تمتاز به من قراءات أخرى ما يأتي:

. تحذف ضمة الهاء في ضمير الغائب المفرد (هو)، وكسرة الهاء في الغائبة المفردة (هي)، إذا كان أي واحد من هذين الضميرين مسبوقاً بواو العطف (وهو: وهْو ؛ فهُو فهْو ؛ وهِيّ : فهْي)، أو كان مسبوقاً باللام الداخلة على جواب القسم كما في: "ولئن صبرتم لهْو خير للصابرين"[١٢٤].

وبذلك يتغير عدد المقاطع في الكلمة، فيصبح مقطعين بدلاً من ثلاثة مقاطع، كما هو واضح في ما يأتي:

فـَ / هـُ / وَ ⟵ فـَ هـ / وَ

فـَ / هـِ / يَ ⟵ فـَ هـ / يَ

---

[١٢٣] البقرة، ١٨٢.

[١٢٤] النحل، ١٢٦.



يضاف إلى هذا، أن تغيراً قد طرأ على طبيعة المقطع الأول الذي كان قصيراً مفتوحاً، فأصبح قصيراً مغلقاً.

٢. ليس لياء المتكلم حال واحدة في قراءة الكسائي، فهو يسكنها في مثل: "طهرا بيتي للطائفين"[١٢٥]، ويحركها في مثل: (لا ينال عهدي الظالمين)[١٢٦]. وهذا يؤكد أن عملية الاختيار من أهم أسس قراءة الكسائي بخاصة، والقراءات القرآنية بعامة.

وتختلف البنية المقطعية للكلمة المضافة إلى ياء المتكلم، بحسب فتح الياء أو تسكينها، كما هو واضح من المقابلة الآتية:-

بـ ـَ يـ / تي ←——— بـ ـَ يـ / تـ ـِ / يـ ـَ

٣. قرأ الكسائي بتحريك عين بعض الكلمات في مثل (الرعب)، و (السحت)، و (فسحقاً، و (بالبخل) بفتح الباء والخاء. ويكون التغير في البنية المقطعية على النحو الآتي:-

أ ـَ ر / ر ـُ عـ / بـ ـِ ←—— أ ـَ ر / ر ـُ / عـ ـُ / ب ـِ

سـ ـُ حـ / قـ ـَ ن ←—— سـ ـُ / حـ ـُ / قـ ـَ ن

ومع ذلك، فقد قرأ الكسائي بتسكين الشين في (خشب) من قوله تعالى (كأنهم خشب مسندة)[١٢٧].

---

(١٢٥) البقرة، ١٢٥.

(١٢٦) البقرة، ١٢٤.

(١٢٧) المنافقون، ٤.

٤. قرأ الكسائي "لم يتسنّ"[١٢٨]، بحذف الهاء وصلاً. أما عند الوقف فإنه كان يبقـيها ولا يحذفها. ومعنى ذلك أنه في حال الوصل يبقي المقطع الأخير فـي هذه الكلمة مقطعاً قصيراً مفتوحاً. ونسب بعض العلماء إلى الكسائي أنه كان في حال الوصل يحذف الهاء من (اقتده) في قوله تعالى: "فبهداهم اقـتده"[١٢٩]، وأمـا عند الوقف فإنه يبقيها[١٣٠]. والذي يمكن استنتاجه من ذلـك، أن الكسـائي كـان يغلق المقطع الأخير، من هاتين الكلمتين عند الوقـوف عليهما. وهو بذلك يأخذ بما كان العرب يميلون إليه، من إغلاق للمقطـع الأخير عندما يقفون عليه، بل إن ذلك كثير في اللسان العربي، فحـركة الإعـراب مثلاً تسقط عند الوقف. ثم إن أغلب استعمالات هاء السـكت إنمـا تكـون عند الفصل لا الوصل، والهاء التي في (يتسنه) و (اقتده) هي من هذا القبيل.

٥. قـرأ الكسـائي "لرؤوف رحيم" من غير واو (فَعول)، حيث ورد ذلك في كتاب الله عز وجل. أي أنه كان يقرؤها (رؤف) بزنة (فَعُل).

٦. قـرأ الكائي "سلاسلاً وأغلالا وسعيراً"[١٣١]، و "قواريرا قواريـرا"[١٣٢]. يؤثر بذلك الإيقاع والانسجام الصوتي، على المنع من الصرف. وهذا كله مما جرى به اللسان العربي.

---

(١٢٨) البقرة، ٢٥٩.

(١٢٩) الأنعام، ٩٠.

(١٣٠) الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ٣٠٥/١.

(١٣١) الإنسان، ٤.

(١٣٢) الإنسان، الآيتان ١٥، ١٦.

الفصل الثامن

في قـــراءة أبي جعفـــر المدنـــي

* المطلب الأول: أبو جعفر المدنـــي:
  ١- حياته ودرايته.
  ٢- راويا قراءته.
  ٣- طرقه.

* المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة أبي جعفر.

أبـــــو جـــعـــفـــــر

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي (ت ١٢٨ هـ).

راويـــــاه:

١. بن وردان: أبو الحارث عيسى بن وردان المدني (ت ٢٦٠ هـ).

٢. ابن جماز: أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز (ت ١٧٠ هـ).

طــرقـــه:

١. طريقا ابن وردان:

(أ) ابن شاذان: أبو العباس الفضل بن شاذان الرازي (ت ٢٩٠هـ).

(ب) هبة الله: أبو القاسم هبة الله بن جعفر البغدادي (ت ٣٥٠هـ).

٢. طريقا ابن جماز:

(أ) أبو أيوب: أبو أيوب سليمان بن داود الهاشمي (ت٢١٩هـ).

(ب) الدوري: أبو عمر حفص بن عبد العزيز الدوري (ت ٢٤٦هـ).

المطلب الأول

أبـــو جعفـــــر المـــدنــــــي

١. حياته ودرايته

هــو أبــو جعفر يزيد بن القعقاع المخزمي المدني، تابعي مشهور كبير القــدر. عرض القرآن على ابن عباس، وأبي هريرة، وعبدالله بن عياش. وقيل إنـــه قرأ على زيد بن ثابت. وروي أنه أتي به إلى أم سلمة وهو صغير، فدعت لـــه بالــبركة، وصلى بابن عمر. قال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القــراءة، فكان يدعي (الإمام)، وكان ثقة قليل الحديث. ولم يكن أحد أقرأ للسّنّة منه. وقال عنه الإمام مالك: كان أبو جعفر رجلاً صالحاً.

أمـــا قــراءته فهي من القراءات المتواترة. قال ابن الجزري: "والعجب ممّــن يطعــن فــي هذه القراءة، أو يجعلها من الشواذ، وهي لم يكن بينها وبين غيرها من السبع فرق"[١].

مات أبو جعفر سنة ثمان وعشرين ومائة.

٢. راويـــا قراءتـــه

يروي عن أبي جعفر راويان جليلان هما:

(أ) **ابــن وردان:** هــو أبــو الحارث عيسى بن وردان المدني، إمام مقرئ حاذق، وراو محقق ضابط. عرض على أبي جعفر، ثم عرض على نافع، وهو من قدماء أصحابه. مات سنة مائتين وستين.

(ب) **ابــن جمـــاز:** هــو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني. مقرئ، ضابط، جليل. قرأ بحرف نافع وأبي جعفر، وأقرأ بهما. توفي سنة سبعين و مائة أو بعدها.

---

(١) محمد بن الجزري. غاية النهاية ٣٨٣/٢.

٣. طــرقـــــه

لكل رواية طريقان كما هو معروف. وهذه هي الطرق الأربع للروايتين:

طريقا ابن وردان

(أ) ابــن شاذان: هو أبو العباس الفضل بن شاذان الرازي، أحد أوعية العلم، وأكـــثر العلمـــاء فـــي زمانـــه اطلاعاً. وله باع طويلة في العلوم اللغوية والشرعية. وكان ذا حجة قوية، وقد قال عنه الإمام العسكري: إني أغبط أهل الرّيّ لوجود الفضل فيهم. توفي سنة تسعين ومائتين.

(ب) هبة الله: هو أبو القاسم هبة الله بن جعفر البغدادي، مقرئ حاذق مشهور. أخذ عنه عدد كبير من القراء. توفي سنة خمسين وثلاثمائة.

طريقا ابن جماز

(أ) أبو أيوب: هو أبو أيوب سليمان بن داود الهاشمي البغدادي، مقرئ ضابط مشهور ثقة. روى القراءة عن إسماعيل بن جعفر. توفي سنة تسع عشرة ومائتين.

(ب) الــدوري: أبــو عمــر حفــص بــن عــبدالعزيز الدوري (ت٢٤٦هــ) (تقدمت ترجمته).

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة أبي جعفر

الظواهر الصوتية التي تمتاز بها قراءة أبي جعفر، عن سائر القراءات قليلة جداً. وهذا لا يعني أنه لا يوجد فيها من الظواهر الصوتية ما يستحق الدراسة. وإنما يعني أن أكثر هذه الظواهر موجود في القراءات الأخرى. وسنتناول ثلاث ظواهر فقط، وهي تجاور الحركات، وخصوصيات أبي جعفر في الغنة، وميم الجمع، وهذا بيان ذلك:

أولاً: تجاور الحركات

يتخذ تجاور الحركات في قراءة أبي جعفر نمطين، أولهما الأخذ به والإبقاء عليه، باعتباره ظاهرة صوتية موجودة في لغة أهل الحجار. ويقع هذا التجاور عند اجتماع همزتين في كلمة واحدة، أو في كلمتين، ثم التخلص من الهمزة الثانية، مع الإبقاء على حركتعا فقط حركتها فقط، فتجتمع حركتان أولاهما حركة نهاية مقطع، وثانيتهما بداية المقطع الذي يليه، وذلك واضح في قراءة أبي جعفر لقوله تعالى: "هؤلاء إن كنتم صادقين "[٢]، فقد قرأها على النحو الآتي:

هؤلاء ــِ ــِ نْ كنتم صادقين

فتكون الكسرة الأولى نهاية مقطع، وتكون الثانية بداية المقطع الذي يليه.

ومن الواضح أن اجتماع هاتين الحركتين المتماثلتين لم يجعلهما حركة واحدة؛ فلم ينطقها ياء مدّ، كما هو الحال في إحدى روايات ورش؛ فقد قرأها هذا الأخير هكذا:

هؤلائينْ كنتم صادقين

---

(٢) البقرة ٣١.



ثانـيهما: الـتخلص منه بإسقاط إحدى الحركتين. وذلك كما في قراءته لقوله تعالى: "للملائكةِ اسجدوا"[٣]، والأصل لغةً هو أن الحركتين قد اجتمعتا على النحو الآتي:

ت ـِ ـُ سْجدوا

ولكـن قراءة أبي جعفر، على النقيض من ذلك تماماً؛ فهي تتخلص من الكسـرة وتـبقى علـى الضـمة؛ فقد قرأ أبو جعفر: ت ـُ سْجدوا: "للملائكةُ اسـجدوا". وهـي قراءة فصيحة لا غبار عليها. ولكن الضمة هنا ليست علامة إعراب، وإنما هي همزة الوصل. أما حركة الإعراب وهي الكسرة فقد سقطت.

ولأبي جعفر طريقة أخرى في التخلص من تجاور الحركات، وذلك في قـراءته بتسكين الهاء في (وَهْوَ) و (وهْيَ). وبيان ذلك أن الأصل في الضمير الغائـب المذكر (هو) بتسكين الواو، كما هو في الكتابة الصوتية (huu). وإنما يأتـي التحريك في الوصل. وكذلك شأن ضمير الغائبة (هي) الذي يكتب صوتياً هكذا (hii).

عـندما يُسبق هذان الضميران بولو العطف، يمكن تقدير بنيتهما العميقة علـى النحو الآتي: wahuu و wahii. وعندما يتحركان في الوصل يصبحان هكذا:

wahuua و wahiia. ويكـون من نتيجة اجتماع الضمتين والفتحة في wahuua، واجـتماع الكسرتين والفتحة في wahiia، أن تتحول الحركة الثانية إلى نصف حركة، هكذا:

wahuua ⟵ wahuwa وَهُوَ

wahiia ⟵ wahiya وَهِيَ

وهـذا هـو الـذي أخذ به أكثر القراء. أما أبو جعفر فقد زاد على ذلك خطـوة أخـرى؛ بأن سكّن الهاء، وذلك بحذف حركتها، فأصبحت قراءته لهما هكذا:

---

(٣) البقرة ٣٤.



(وهْو ، وهْيَ). والكتابة الصوتية توضح هذا التغير:

wahuwa ⟵ wahwa وَهْوَ

wahiya ⟵ wahya وَهْيَ

ولأبي جعفر طريقة أخرى، للتخلص من تجاور الحركات. وهذا ظاهر من قراءته لقوله تعالى "أنبئوني"[٤]. فمذهبه المعروف هو في إسقاط الهمزة، وإبقاء حركتها. فينجم عن ذلك اجتماع الكسرة مع واو المدّ. قلت هذا هو مذهبه، ولكنه لم يعمل به في قراءته للفعل "أنبئوني"، بل قرأه بتحقيق الهمز تارة، وقرأه (أنبوني) تارة أخرى. وهما روايتان عنه. ويعنينا قراءته (أنبوني).

ويمكن توضيح ما حدث بالكتابة الصوتية:

’ anbi’uunii ’ anbiuunii ⟵ ’anbuunii ⟵ (أنبوني)

ففي الخطوة الأولى حذفت الهمزة، وبقيت حركتها هكذا anbiuunii’ وفي الخطوة الثانية حذفت الكسرة، فصار النطق هكذا anbuunii’ (أنبوني).

ثانياً: الغنة

اتفق القراء ما عدا أبا جعفر، على إظهار النون والتنوين، عندما يكونان متبوعين بالغين والخاء. أما أبو جعفر فقد أخفاهما مع غنة، وذلك كما في: من غل" و "من خوف". وبذلك تكون أصوات الإخفاء مع الغنة عند أبي جعفر، سبعة عشر صوتا، هي الخمسة عشر المعروفة (ص ، ذ ، ث ، ك ، ج ، ش ، ق ، س ، د ، ط ، ز ، ف ، ت ، ظ)، يضاف إليها الغين والخاء.

وهذا يعني أنه عند نطق الخاء والغين، المسبوقين بالنون، يخرج تيار الهواء من الفم والأنف معاً.

---

(٤) البقرة ٣١.

ثالثاً: ميم الجمع

يحــرك أبــو جعفر ميم الجمع بالضم بالوصل مطلقاً. فإذا وقف عليها ســكنها، ولم يتبعها ضماً. وتكون الضمة مشبعة؛ أي أنه ينطقه واواً، إذا لم تكن متبوعة بسكون، كما في: "صراط الذين أنعمت عليهم " فقد قرأها "عليهمو".

فإذا كانت متبوعة بسكون أتبعها بضمة غير مشبعة، كما في: "لكمُ الملك اليوم"[٥] و "ذلكمُ الله ربكم"[٦].

---

(٥) غافر ٢٩.

(٦) فاطر ١٣.

الفصل التاسع

فـــي قـــراءة يعقوب

* **المطلب الأول: يعقوب:**

١- حياته ودرايته.

٢- راويا قراءته.

٣- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة يعقوب.**

يعقوب الحضرمي

أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت٢٠٥هـ)

راوياه :

١. رُوَيس : أبو عبدالله محمد بن المتوكل اللؤلؤي (ت٢٣٨هـ) .
٢. رَوْح: أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري (ت٢٣٤هـ أو ٢٣٥هـ)

طرقه :

١. طريقا رُوَيس:-
(أ) النخاس : أبو القاسم عبدالله بن الحسن البغدادي (ت٣٦٨هـ)
(ب) أبو الطيب : محمد بن أحمد بن يوسف البغدادي (ت بعد ٣٥٠هـ).

٢. طريقا رَوْح :-
(أ) ابن وهب : أبو بكر محمد بن وهب الثقفي (ت بعد ٢٧٠هـ).
(ب) الزبيري : أبو عبدالله الزبير بن أحمد الأسدي (ت بعد ٣٠٠هـ)

المطلب الأول

يعقوب الحضرمي

١. حياته ودرايته

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، أحد القراء، وإمام أهل البصرة في القراءة، بعد شيخها وإمامها أبي عمرو ابن العلاء[١] ولد يعقوب سنة سبع عشرة ومائة،ونشأ في بيت علم وصلاح، فكان أبوه من رجال النحو والقراءة واللغة، وكان جده وأبو جده كذلك وأبو جده هو عبدالله اللغوي النحوي الناقد الذي كان معاصراً للفرزدق[٢]، وكان له مع الفرزدق مواقف، يتتبع فيها ما يراه من سقطات في شعره، وكان الفرزدق يأخذ برأيه أحياناً، ويحتدّ أحياناً أخرى.

تلقى يعقوب العلم على يدي أبيه وجده، وأخذ القراءة عرضاً أو سماعاً عن بعض أئمة القراءة، ومنهم بعض القراء السبعة، فقد سمع الحروف من الكسائي[٣]،وروي أنه قرأ على أبي عمرو بن العلاء، وسمع من

---

* نشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٩٤.

(١) أبو عمرو زبان بن العلاء أحد القراء السبعة، وأحد أئمة اللغة والأدب. ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة، قرأ على حسن البصري، وسمع أنس بن مالك توفي سنة ١٥٥هـ. (غاية النهاية: ٢٨٨/١).

(٢) همام بن غالب التميمي الملقب بالفرزدق،أحد شعراء النقائض في عصر بني أمية،توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ (وفيات الأعيان : ٨٦/٦-١٠٠).

(٣) علي بن حمزة الكسائي،أحد القراء السبعة،وإمام القراءة في الكوفة بعد حمزة شيخه. أخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش والمفضل الضبي،توفي سنة ١٨٩هـ(غاية النهاية: ٥٣٥/١-٥٤٠) .



حـــمزة[٤] حروفاً،وسمع الحروف أيضاً من محمد بن زريق الكوفي[٥] عن عاصم[٦] . وقد كان يعقوب ثقة، عدلاً ،ضبطاً،صدوقاً . سئل عنه أحمد بن حنبل [٧] فقال :"صدوق". وقد وصفه بعض أئمة الحديث بأنه :"من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية،وكلام العرب،والرواية الكثيرة،والحروف،والفقه،وكان أقرأ القراء،وكان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف،والاختلاف في القرآن،وتعليله،ومذاهب أهل النحو في القرآن،وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء"[٨].

مات – رحمه الله – سنة خمس ومائتين،وله ثمان وثمانون سنة .

قراءة يعقوب من القراءات العشر المتواترة . وقد أخطأ من جعل قراءة يعقوب من القراءات الشاذة،قال ابن الجزري[٩] : "قلت : ومن أعجب،بل من أكبر الخطأ،جعل قراءة يعقوب من الشواذ الذي لا تجوز القراءة به ولا

---

(٤) حمزة بن حبيب الزيات،أحد القراء السبعة،ولد سنة ٨٠هـ . أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش،وإليه صارت الإمامة بعد عاصم . توفي سنة ١٥٦هـ (غاية النهاية :١ /٢٦١).

(٥) محمد بن زريق الكوفي،روى الحروف عن عاصم وعن الكسائي،وروى عنه الحروف يعقوب (غاية النهاية : ٢/١٤١).

(٦) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود،إمام الكوفة وأحد القراء السبعة . انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي . جمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد. توفي سنة ١٢٧ هـ . (غاية النهاية : ١/٣٤٦) .

(٧) أبو عبدالله أحمد بن حنبل،أحد أعلام الإسلام والفقهاء المجتهدين . ولد سنة ١٦٤هـ . روى عنه البخاري ومسلم،وله كتاب المسند . تعرض للفتنة أيام المأمون فما ضعف ولا استكان،توفي سنة ٢٤١هـ (تذكرة الحفاظ :١/٤٣١).

(٨) محمد بن الجزري . غاية النهاية في طبقات القراء . تحقيق ج برجستراسر (بيروت : دار الكتب العلمية،١٩٨٠.)،٢/٣٨٩ .

(٩) محمـــد بـــن الجزري،أحد أئمة القراءات المشهورين،له فيها مصنفات كثيرة . ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ وتلقى العلم على أكابر شيوخ عصره،ولي قضاء الشام،وتوفي سنة ٨٣٣هـ.



الصلاة،وهذا شيء لا نعرفه قبل،إلا في هذا الزمان،ممن لا يعول على قوله،ولا يلتفت إلى اختياره ... فليعلم أنه لا فرق بين قراءة يعقوب،وقراءة غيره من السبعة عند أئمة الدين المحققين"[١٠].

٢. راويـا قراءتـه

١. **رُوَيْس** : وهو أبو عبدالله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري،أحد حذاق المقرئين البصريين،ومن أئمتها الأعلام المتميزين . وقد وصف بأنه أحذق أصحاب يعقوب الحضرمي[١١] . توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

٢. **رَوْح** : هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي من نحاة البصرة وقرائها الحذاق . روى عنه البخاري[١٢] في صحيحه،عرض على يعقوب الحضرمي . وهو من أجل أصحابه . توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين،أو خمس وثلاثين ومائتين.

٣ . طرقـــه :

طريقا رُوَيْس

(أ) النخاس : أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن سليمان البغدادي المعروف بالنخاس . مقرئ مشهور،ثقة،ماهر،متصدر . وروى عنه شيخه ابن مجاهد . قال أبو الحسن بن الفرات الحافظ : ما رأيت في الشيوخ مثله . ولد سنة تسعين ومائتين،وتوفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

---

[١٠] ابن الجزري . غاية النهاية : ٣٨٨/٢ .

[١١] المرجع السابق : ٢٣٤/٢ .

[١٢] شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح والتاريخ الكبير والتصانيف الأخرى الكثيرة . ولد سنة ١٩٤هـ،وتوفي سنة ٢٥٦هـ (تذكرة الحفاظ ٥٥٦/٢).



(ب) أبو الطيب : محمد بن أحمد بن يوسف بن جعفر البغدادي،غلام ابن شنّبوذ. مقرئ عارف مشهور. ارتحل في طلب العلم والقراءة . روى عنه أبو نعيم الحافظ. توفي بعد سنة خمسين وثلاثمائة .

طريقا رَوْح :

(أ) **ابن وهب** : أبو بكر محمد بن وهب بن سليمان الفزاري كان ثقة،ضابطاً،صالحاً،توفي سنة سبعين ومائتين .

(ب) **الزبيري** : أبو عبدالله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبدالله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام . فقيه شافعي مشهور . له كتاب الكافي في الفقه. إمام ثقة،كان ضريراً . توفي بعد سنة ثلاثمائة .

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة يعقوب

تمتاز قراءة يعقوب بظهور تغيرات سياقية في الأصوات،بمعنى أن الصوت يتخذ صوراً أدائية متباينة بتباين السياقات التي يرد فيها هذا الصوت . وقد يتخذ صوت ما صورة معينة ينفرد بها أداؤه في قراءة يعقوب من بين سائر القراءات . ولما كانت هذه الصور والأداءات متعددة،فإننا سنجمعها في الأطر الآتية،وسيكون لكل إطار قواعده :

١. المماثلة بين الصوائت.

٢. المماثلة بين الصوامت.

٣. تغيرات البنية المقطعية.

وفي ما يأتي بيان لهذه الظواهر في قراءة يعقوب :

أولاً : المماثلة بين الصوائت

يمكن استنباط القواعد الآتية التي تدل على مماثلة الصوائت في قراءة يعقوب

القاعدة الأولى

تتغــير حركة هاء ضمير التثنية والجمع : (هما،وهم ، وهنّ) في سياق التماثل ، وعدم تغيرها هو الأصل.

التوضيح : في قراءة يعقوب مسلك تتميز به عن سائر القراءات العشر،ذلك أن ضمير الغيبة المثنى،وضمير غيبة الجمع "مذكراً ومؤنثاً" يعاملان على النحو الآتي :

١. إذا كان هذان الضميران مسبوقين بياء مدّ،كما في : يزكّي،ويمنّي،ويهدي ،ويري،وفي،وأيدي،فان هاء الضمير تبقى مضمومة ولا تكسر ؛ ولذلك فقد قرأ



يعقوب بضم الهاء في : "يزكيهُم" و "يمنّيهُم" و "يهديهُم " و "يريهُم" و "فيهُم" و "أيديهُم"[١٣].

وهذا الذي نجده في هذه الظاهرة ، ليس قائماً على أساس المخالفة بين ياء المدّ وضم الهاء،وإنما هو الأصل الذي تم على أساس التحاق الكلمة بالضمير دون تغيير،وهكذا :

يزكي + هُم ⟵ يزكيهُم

وفي قراءات أخرى،تكسر الهاءِ بدلاً من الضم الذي هو الأصل،أي أن التغيير يتم على أساس المماثلة بين ياء المد وكسرة الهاء . وهذه المماثلة هي التي اختارتها معظم القراءات،واختارت خلافها قراءة يعقوب،وذلك بالإبقاء على الأصل .

والإبقاء على الأصل قائم على أساس التمازج والتماثل والتداخل بين حجرة الرنين التي لياء المد،وتلك التي للضمة . أما حجرة الرنين التي للياء فهي خلفية .وأما حجرة الرنين التي للضمة فهي مكونة من حجرة حلقية ضيقة،وفموية أمامية واسعة .

أمـــا تحويــل ضمة الهاء إلى كسرة،من أجل إحداث مماثلة بينها وبين الياء،فيعني أن حجرة الرنين أصبحت في الخلف لهما جميعاً.

٢. إذا كان هذان الضميران مسبوقين بالياء التي هي نصف حركة،ظلت هاء الضمير مضمومة أيضاً،ولا تتحول إلى كسرة،وذلك كما هو في قراءة يعقوب للآيات الآتية :

---

(١٣) محمد المحيسن . المهذب في القراءات العشر . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية،١٩٧٨) ص ١٧،١٢٨،.١٩١،١٨٩،وانظر كذلك : طاهر بن غلبون . التذكرة في القراءات . تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم . (القاهرة : دار الزهراء للإعلام العربي،١٩٩٠.) ص ٨٦،٨٧ .



يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهُمْ رأيَ العيْنِ[١٤]
وَضُرِبَتْ عَلَيْهُمُ الذلَّةُ [١٥]
فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهُمُ القِتَالُ[١٦]

٣. إذا كانت الهاء في ضمير الغائبين مسبوقة بكسرة،وكان بعد الميم صوت ساكن (همزة وصل)،فإن قراءة يعقوب تجري أحكام المماثلة أولاً : على ضمة الهاء،فتقلبها إلى كسرة،لتماثل كسرة الصامت الذي قبلها،وثانياً : تكسر ميم الجمع[١٧]،وذلك كما في : "وأُشْرِبُوا في قُلوبِهِمِ العجْلَ"[١٨]،و "بِهِمِ الأرْضُ"[١٩]، و "أخذهِمِ الرّبا"[٢٠] و "قولهِمِ الإثمَ،وأكلهِمِ السحتَ".[٢١] فالمماثلة في هذا السياق تجري بتحويل الضمة إلى كسرة أولاً :

بِهُم ← بـ ـِ هـ ـِ م ← بِهِم

ثم بتحويل همزة الوصل (وهي فتحة لأنها حركة خالصة من وجهة صوتية) إلى كسرة، لتماثل الكسرة السابقة،هكذا :

ب ـِ هـ ـُ م ـَ ل ← بـِ هـ ـِ م ـَ ل ← ب ـِ هـ ـِ م ـِ ل
بِهُمْ اَلارض بِهِمْ اَلأرض بِهِمِ الأرض

---

[١٤] آل عمران : ١٣ .
[١٥] البقرة : ٦١ .
[١٦] البقرة ٢٤٦ .
[١٧] محمد المحيسن . المهذب ،ج١ ،ص٦٦ .
[١٨] البقرة : ٩٣ .
[١٩] النساء : ٤٢ .
[٢٠] النساء : ١٦١ .
[٢١] المائدة : ٦٣ .

القاعدة الثانية

عند اجتماع همزتين حركة أولاهما خلفية،وحركة ثانيتهما أمامية،تبدل الهمزة الثانية صوتاً انزلاقياً خلفياً .

التوضيح : كان العلماء يعبرون عن الظاهرة التي تحكمها هذه القاعدة بما ملخصه : "إذا اجتمعت الهمزتان في كلمتين،وكانت الأولى مضمومة،والثانية مفتوحة مثل (السفهاءُ ألا)،أو كانت الأولى مضمومة والثانية مكسورة كما في : "يا أيها الملأُ إِني" أبدلت الهمزة الثانية واواً محضة عند رويس"[٢٢].

والذي يحدث في هذا النوع من المماثلة ، أن الهمزة الثانية تصبح صوتاً انزلاقياً (واواً كالتي في : مولد) لتماثل الضمة الأولى التي قبلها . والامثلة على اجتماع الهمزتين على هذا النحو كثيرة،ومن جملتها "، والسفهاءُ أَلا" . فرواية رويس تقلب الهمزة الثانية واواً . المعادلة (١) توضح هذا النوع من المماثلة.

المعادلة (١)

ص (+حنجري / + وقفي) ← (+انزلاقي / +خلفي) / ح (+خلفية / +ضيقة) — ح (+أمامية / +واسعة)

"تحولت الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) إلى صوت انزلاقي خلفي،في موقع كانت فيه مسبوقة بالضمة (الحركة الخلفية الضيقة) متبوعة بالفتحة (الحركة الأمامية الواسعة).

---

(٢٢) محمد بن الجزري . النشر في القــراءات العــشر (بيروت : دار الكتب العلمية،د.ت) ١/ ٣٨٦ – ٣٨٨ .

ولا شك في أن رواية رويس في قلب الهمزة الثانية واواً ، منحى عربي سليم قال سيبويه :"وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة،وأردت أن تخفف،أبدلت مكانها واواً،وذلك قولك ... غلامُ وَبيك،اذا أردت : غلام أبيك"(٢٣).

القاعدة الثالثة

عند اجتماع همزتين،أولاهما أمامية ضيقة ، وثانيتهما أمامية واسعة،تبدل الثانية صوتاً انزلاقياً أمامياً .

التوضيح : تفسر هذه القاعدة تحول الهمزة الثانية،عند اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين،إلى ياء كتلك التي في (ميسرة)،وذلك كما في : "هؤلاءِ أهدي" إذ تصبح هؤلاءِ يَهْدى"في رواية رويس. والمعادلة (٢) الآتية تمثل ذلك :

المعادلة (٢)

ص (+حنجري ، + وقفي) ← (+انزلاقي ، +خلفي) / ح (+خلفية ، +ضيقة) — ح (+أمامية ، +واسعة)

وهذا المنحى عربي سليم،قال سيبويه : واعلم أن كل همزة مفتوحة ، وكان قبلها حرف مكسور ، فأنت تبدل مكانها ياء في التخفيف ... ومن ذلك قولك : من غلام يَبيك،إذا أردت : من غلامِ أَبيك"(٢٤).

---

(٢٣) سيبويه . الكتاب . تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣) ٥٤٣/٣ .

(٢٤) المرجع السابق، ص ٥٤٣ .



القاعدة الرابعة

عند اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين ، حركتاهما أماميتان،فإن الهمزة الثانية منهما تحذف تخفيفاً .

التوضيح : في حال اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين،مع كون حركتيهما أماميتين بأن تكون أولاهما فتحة،وثانيتهما كسرة،فإن الهمزة الثانية تسقط . وقد كان علماء القراءات وعلماء اللغة العرب يسمون الهمزة في هذا السياق تسهيل "بين بين"[٢٥]. والحق أن الهمزة قد سقطت من هنا،ولم تسهل . وأما قول ابن الجزري :"وتسهيلها عندهم أن تجعل بين بين" وقوله : "وذهب بعضهم إلى أنها تجعل "بين بين" أي بين الهمزة والياء،وهو مذهب أئمة النحو كالخليل وسيبويه ومذهب جمهور القراء حديثاً[٢٦]، فيدل على أن ما سموه همزة "بين بين"، هو في الحقيقة،حركة الهمزة التي تبقى بعد حذف الهمزة . فالهمزة هي التي تحذف في هذا السياق،وتبقى حركتها . والمعادلة (٣) تمثل ما يجري في هذا النوع من المماثلة :

المعادلة (٣)

ص (+حنجري، + وقفي) ← Φ / ح (+خلفية، +ضيقة) — ح (+أمامية، +واسعة)

القاعدة الخامسة

عند اجتماع همزتين حركتاهما أماميتان،فالحذف لإحداهما.

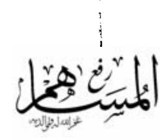
التوضيح : ذكر ابن الجزري أنه عند اجتماع همزتين مكسورتين كما في : هؤلاءِ إن"،فإن رويساً يقرأ بتحقيق الهمزة الأولى،وتسهيل الثانية[٢٧] . ويرى

---

(٢٥) ابن الجزري : النشر ج١، ص٣٨٨ .

(٢٦) ابن الجزري، النشر ، ٣٨٨/١ .

(٢٧) المرجع السابق، ٣٨٤/١ .



بعض علماء القراءات أن لرويس وجْهين ، الأول : إسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر،والثاني : تسهيل الهمزة الثانية[٢٨] . وسنأخذ في هذا البحث بالقول الذي يسند إلى رويس هذين الوجهين وهما :

(أ) إسقاط الهمزة الأولى . (ب) تسهيل الهمزة الثانية.

أما إسقاط الهمزة الأولى،فهو من الناحية الصوتية،أيسر الموقفين وأسلهلهما نطقاً. ولكننا لا بد أن نبين هنا أن الذي حذف هو الهمزة الأولى وكسرتها معاً،لا الهمزة وحدها . وإنما لم يذكرها العلماء لأن الحركات في نظرهم تابعة للصوامت،وهو توجه غير صحيح من الناحية الصوتية . ونرى أن الهدف من مدّ كسرة الهمزة الثانية،بعد حذف الهمزة الأولى وكسرتها،هو إثبات حقيقة الهمزة الثانية . أما القصر فيعني الاستغناء عن هذا الإثبات . ورواية المدّ والقصر تعني جواز الأخذ بأي واحد منهما،في رواية رويس .

وأما تسهيل الهمزة الثانية،فيمكن أن يظهر في الكتابة الصوتية :

haa’ ulaa’ i ‘in ⟶ haa’ ulaa’ i in

ومعنى ذلك أن الهمزة الثانية قد حذفت،بسبب كونها محصورة بين كسرتين، فهي مسبوقة بكسرة، ومتبوعة بكسرة،وهذا متمثل في المعادلة (٤) الآتية :

المعادلة (٤)

ص [+حنجري، + وقفي] ⟵ Φ / ح [+خلفية، +ضيقة] — ح [+أمامية، +واسعة]

---

(٢٨) محمد المحيسن،المهذب ١ /٥٢ . وانظر كذلك : أحمد بن الحسن الأصبهاني . المبسوط في القراءات العشر . تحقيق سبيع حمزة حاكمي (دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨.) ص١٢٥ .



٢. إذا كانت الهمزتان مفتوحتين،فقد قرأ رويس بإسقاط الهمزة الأولى [٢٩]، ويكون ذلك على النحو الآتي :

جاء أجلهم ← جا أجلهم

تلقاء أصحاب النار ← تلقا أصحاب النار

شاء أن يتخذ ← شا أن يتخذ

قال المبرد :"واعلم أنه ليس من كلامهم أن تلتقي الهمزتان فتحققا،إذ كانوا يحققون الواحدة . فهذا قول جميع النحويين إلا عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي،فإنه كان يرى الجمع بين الهمزتين"[٣٠] . وهذا القول ترديد لقول سيبويه :"فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا"[٣١]. أما أنه ليس من كلام العرب فحسبنا في الرد عليه،وبيان عدم صحته قول سيبويه نفسه ، وهو يتحدث عن اجتماع الهمزتين : "وأما الذين لا يخففون الهمزة فيحققونهما جميعاً"[٣٢] . وعلى كل حال،فإن إسقاط الهمزة الأولى من هذا السياق،في رواية رويس،فيه توجه إلى التخفف من إحدى الهمزتين. لكن هذا لا يعني أن إبقاءهما معاً ليس من اللسان العربي،كما هو واضح من كلام سيبويه والمبرد.

ثانياً : المماثلة بين الصوامت

تكثر ظاهرة المماثلة في قراءة يعقوب . وأهم مظاهرها ما يأتي :

١. المماثلة في الجهر والهمس.

---

(٢٩) محمد المحيسن،المرجع السابق،ص٥٩ .

(٣٠) محمد بن يزيد المبرد . المقتضب . تحقيق عبدالخالق عضيمة (بيروت،عالم الكتب، ١٩٦٣)،١٥٨/١ .

(٣١) سيبويه . الكتاب . تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)٥٤٩/٣ .

(٣٢) المرجع السابق،٥٥١/٣ .

٢. المماثلة في الإطباق

٣. الإدغام.

وهذه مناقشة لهذه المسائل :

١. المماثلة في الجهر والهمس

أوضح مسألة في التماثل بين الأصوات المهموسة والمجهورة ، في قراءة يعقوب ، تحول الصوت المهموس إلى مجهور،كما هو واضح في القاعدة الآتية :

"قد يتحول الصوت المهموس إلى مجهور،لمجاورته صوتاً مجهوراً ".

وتتضح هذه القاعدة ، إذا عرفنا أن رويساً يُشِمّ الصاد زاياً في "أصدق، ويصدر،و فاصدع"،أي أنه ينطقها زاياً مفخمة . ويمكن تمثيل هذا التغير الصوتي بالمعادلة (٥)،وهي الآتية :

المعادلة (٥)

+صفيري	←	+صفيري	/ ــــــ	+مجهور
+مفخم		+مفخم		+وقفي
+مهموس		+مهموس		

٢. المماثلة في الأطباق

روي عن رَوْح أنه قرأ السين في (يبسط) بالصاد[٣٣]، وذلك على سبيل المماثلة الرجعية غير المباشرة،لوجود فاصل بينهما (الضمة). ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة (٦) الآتية :

---

(٣٣) عبد الفتاح القاضي . البدور الزاهرة (بيروت : دار الكتاب العربي،١٩٨١) ص٥٢ .



المعادلة (٦)

[-مطبق] ← [+مطبق] / ـــــ [+مطبق]

٣. الإدغـــــام

يكثر الإدغام في قراءات البصريين جميعاً،سواء أكانت من القراءات السبع أم من العشر ، أم من الأربع عشْرة . وقد عرّف القراء واللغويون الإدغام بأنه دمج صوت في صوت آخر مماثل أو مقارب له. أما دمج صوت في صوت مماثل،فمنه : (فيه هدى،يشفع عنده،قال له،شهر رمضان،الكتاب بالحق،جاوره هو،ثالث ثلاثة).

وكل الذي حدث من الناحية الصوتية،هو أن الحركة قد حذفت من بين الصامتين المتماثلين،وبقي مع ذلك لكل واحد ، من هذين الصوتين ، كينونة منطوقة . وهذا النوع من غلإدغام يتم تمثيله بالمعادلة (٧) الآتية :

المعادلة (٧)

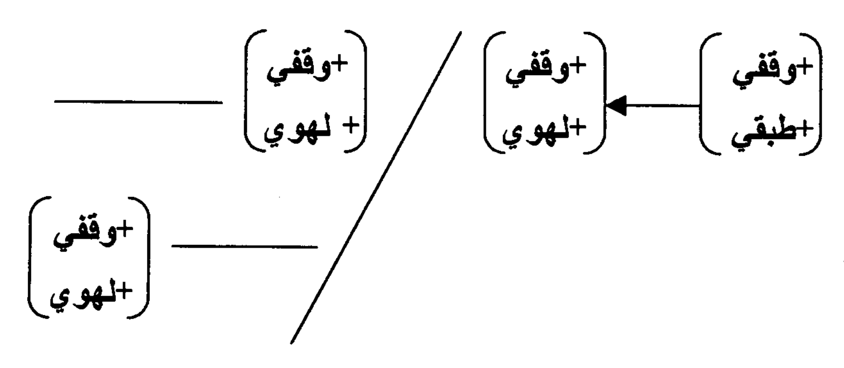
ح ← Φ / # ص١ ـــــ ص١ #

وقد يكون الإدغام في قراءة يعقوب بين صوتين متقاربين في المخرج،مع كونهما مختلفين في ملمح أو أكثر،وذلك مثل (خلقكم) ،ومثل "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً"[٣٤] فالكاف تدغم في القاف في هذين الموطنين،أي عندما تكون الكاف سابقة للقاف أو لاحقة لها . وهذا يتم تمثيله بالمعادلة (٨) الآتية :

---

[٣٤] البقرة :١٤٤ .

المعادلة (٨)



وهذا الإدغام مما لا خلاف على فصاحته،قال المبرد : "تدغم القاف في الكاف،والقاف أدنى حروف الفم إلى الحلق،والكاف تليها،وذلك قولك : الحكّلدة،تريد : الحق كلدة،فتدغم لقرب المخرجين،والإدغام أحسن،لأن الكاف أدنى إلى سائر حروف الفم من القاف،وهي مهموسة،والبيان حسن. وتدغم الكاف فيها،والبيان أحسن،لأن القاف أدنى إلى حروف الحلق،وهو قولك "انهقّطنا،تريد : انهك قطنا . والإدغام حسن"[٣٥].

وأدغم يعقوب اللام في الراء[٣٦]، كما في : "أَرْسَلَ رَسُولَهُ"[٣٧] و "بَلْ رَان عَلَى قُلُوبِهِم"[٣٨]،وأدغم النون في الراء كما في :"خَزَائِنُ رَبِّكَ"[٣٩]،والمعادلة (٩) تمثل ذلك :

---

(٣٥) المبرد،المقتضب. ٢,٩/١ .

(٣٦) محمد المحيسن . المهذب،ج١ ،ص٢٧٦ ؛ ج٢، ص٤٥،.٣٣ .

(٣٧) التوبة : ٣٣

(٣٨) المطففين : ١٤ .

(٣٩) الطور : ٣٧ .



المعادلة (٩)

{ن / ل} ← ر / —— # ر

وفي قراءة يعقوب تدغم الراء في اللام[٤٠]،كما في : "من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا"[٤١]. ومن العجيب أن بعض النحاة لا يجيزون إدغام الراء في اللام،قال المبرد : " وتدغم اللام والنون في الراء،ولا تدغم الراء في واحدة منهما،لأن فيها تكراراً فيذهب التكرير"[٤٢]. والحق أن إذهاب التكرير في ذاته ليس مسوغاً لرفض إدغام الراء في اللام والنون . فإذا كان صوت مدغم يخسر كثيراً من خصائصه وملامحه،بل قد يخسرها كلها،فما هذا التكرير الذي يتأبى على الإدغام ؟ يقول ابن عصفور : "روي عن الفراء أنه قال : "كان أبو عمرو بن العلاء يروي عن العرب إدغام الراء في اللام،وقد أجازه الكسائي أيضاً،وله وُجَيْهٌ من القياس،وهـــــو أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً،ولفظ اللام أسهل من الراء ، لعدم التكرار فيها،وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل،لأن الراء فيها تكرار،فكأنها راءان واللام قريبة من الراء،فتصير كأنك قد أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد"[٤٣].

---

(٤٠) محمد المحيسن ، المهذب، ١٠٧/١ .

(٤١) البقرة : ٢٦٦ .

(٤٢) المبرد،المقتضب، ٢١٢/١ .

(٤٣) ابن عصفور . الممتع في التصريف . تحقيق د. فخر الدين قباوة (حلب : المكتبة العربية،١٩٧٠).

وفي قراءة يعقوب تدغم الدال في كل من : التاء ، والجيم ، والظاء ، والذال ، والصاد[٤٤]. ، وذلك كما في : (المساجد تلك،داود جالوت،يريد ظلماً،ومن بعد ظلمه،والسجود ذلك،ومقعد صدق) والمعادلة (١٠) تمثل ذلك :

<u>المعادلة (١٠)</u>

د ← { ت ، ج ، ظ ، ض } / ___ # { ت ، ج ، ظ ، ض }

وتدغم التاء في السين كما في "الصالحات سندخلهم" والثاء كما في : "والذاريات ذروا"[٤٥]، والمعادلة (١١) تمثل ذلك :

<u>المعادلة (١١)</u>

ت ← { س ، ث ، ج ، د } / ___ # { س ، ث ، ج ، د }

وأدغم يعقوب الثاء كما في : "والحرث ذلك" وفي السين،كما في : "حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُم"[٤٦] و " مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً"[٤٧] . والمعادلة (١٢) تمثل ذلك:

---

(٤٤) محمد المحيسن . المهذب،ج١،ص٨٥ ،٩٩ –١٠٠١،ج٢ : ٣٢٢ .

(٤٥) الذاريات / ١ .

(٤٦) الطلاق : ٦ .



المعادلة (١٢)

$$ث \longrightarrow \left\{\begin{matrix} ذ \\ س \end{matrix}\right\} / ____ \# \left\{\begin{matrix} ذ \\ س \end{matrix}\right\}$$

وقرأ يعقوب بإدغام الياء في : " من قبل أن يأتي يوم[٤٨]"،أي أنه أدغم الياء نصف الحركة في الكلمة الأولى،بالياء نصف الحركة أيضاً في الكلمة الثانية . ومع أن هذه القراءة كان يمكن أن تكون مصدراً لقاعدة في الإدغام في كتب النحو،فقد ذهب ابن عصفور إلى خلاف ذلك،فقال :" فإن كانا معتلين فلا يخلو من أن يكون الأول منهما ساكناً أو متحركاً. فإن كان ساكناً فلا يخلو من أن يكون حرف لين أو حرف مدّ ولين،فإن كان حرف لين أدغمت،إذ لا مانع من الإدغام نحو : اخشي ياسراً،واخشوا واقداً . وإن كان حرف مدّ ولين لم تدغم نحو : يغزو واقد،واضربي ياسراً، لئلا يذهب المد بالإدغام مع ضعف الإدغام في الكلمتين [٤٩].

هذا،وقد أدغم يعقوب الحاء في العين ، إذا تعاقبا في موطن الإدغام،وذلك مثل: "زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ"[٥٠]،فقد قرأها بإدغام الحاء في العين [٥١] . ولكنه لم يدغم الحاء في العين في قوله تعالى : "فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَاَ"[٥٢] . ومن الغريب أن ابن عصفور يقول : " وأما العين إذا اجتمعت مع الحاء،فلا يخلو أن

---

(٤٧) المعارج : ٤٣ .

(٤٨) البقرة : ٢٥٤ .

(٤٩) ابن عصفور،الممتع في التصريف،١/٦٥٢ – ٦٥٣ .

(٥٠) آل عمران : ١٨٥ .

(٥١) محمد المحيسن،المهذب ١/ ١٤٧

(٥٢) النساء : ١٢٨ .



تتقدم أو تتقدم الحاء،فإن تقدمت كنت في الخيار،إن شئت أدغمت فقلبت العين حاء،وإن شئت لم تدغم نحو "اقطع حبلاً". وحسّن الإدغام هنا كونهما من مخرج واحد . وإن تقدمت الحاء بيّنت ولم تدغمها في العين،لأن العين أدخل في الحلق،ولا يقلب الأخراج إلى الأدخل لما تقدم . وأيضاً فإن اجتماع العينين ثقيل كما تقدم،فإن اردت الإدغام قلبت العين حاء،وأدغمت الخاء في الحاء،لأنه قد تقدم أن الثاني قد يقلب إذا تعذر قلب الأول"(٥٣).

ثالثاً : تغيرات البنية المقطعية

سنبين هنا الأثر الذي يحدثه الوقف في البنية المقطعية في قراءة يعقوب،والأثر الذي يحدثه تحريك عين الكلمة في تغيير البنية المقطعية كذلك،وبعض المظاهر التي تؤدي إلى تغيير بنية المقاطع.

١. الوصل والوقف : تتغير البنية المقطعية في قراءة يعقوب بصورة واضحة وصلاً أو وقفاً . ومن ذلك أن الياء في (عهدي) من قوله تعالى : "لاَ يَنَالُ عَهْدِيَ الْظَّالمِينَ"(٥٤)،تكون مفتوحة في الوصل،ولكنها عند الوقف تسقط الفتحة عنها،وينجم عن هذا التغير الآتي في البنية المقطعية :

في الوصل	في الوقف
عهديَ الظالمين	عهدي
عَهْــــ / دِ / يـَ (ظ)	عهــــ / دِ ظ

والفرق بين البنية المقطعية للكلمة في الحالة الأولى،وبنيتها في الحالة الثانية،فرق واضح . فالمقطع الأخير في حال الوصل متصلة بنيته في مطلع الكلمة التي بعد كلمة (عهدي) . والمقطع الأخير في الكلمة الثانية منفصل عما

(٥٣) ابن عصفور،الممتع ٢/٦٨٢ – ٦٨٣ .

(٥٤) البقرة : ١٢٤ .



بعده،وهو مقطع طويل مفتوح . والتغيير الذي يجريه الوقف على المقطع الأخير،هو أنه يسقط الفتحة التي لا تسقط عن الياء في حال الوصل .

وهذا الذي يجري على ياء (عهدي) في "لا ينال عهدي الظالمين " لا يجري على ياء (بيتي) في الآية : "وَطَهِّر بَيْتِي لِلطَّائفينَ"[٥٥]،فقد قرأها يعقوب بتسكين الياء. وهذا دليل على الاختيار الذي هو أصل من أصول القراءات جميعاً .

٢. حركة عين الكلمة : تختلف حركة عين بعض الكلمات في قراءة يعقوب عن حركتها في قراءات أخرى،فكلمة "السّحت" في الآية " وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ"[٥٦] مضمومة الحاء في قراءة يعقوب . وكذلك الشأن في كلمة (الرعب) فإن يعقوب يقرؤها بضم العين .

ولا شك في أن (الرعُب) و (السحُت) استعمالان فصيحان،من الاستعمالات اللغوية التي كانت موجودة في بعض اللهجات العربية الفصيحة . وزيادة الضمة في هذا الموطن،هي من قبيل المماثلة بين الصوامت والصوائت . فالحاء والعين صوتان حلقيان،أي أنهما صوتان خلفيان،وزيادة الضمة بعدهما (وهي صوت خلفي) يؤدي إلى وجود تماثل بين هذين الصوتين والضمة . والمعادلة (١٣) التالية تمثل ذلك :

المعادلة (١٣) :

Φ ⟵ ح [+خلفية] ص/ [+خلفي] ———

ولكن هذه القراءة التي تزيد الضمة للصوت الخلفي ، عندما يكون عيناً للكلمة،تحذف ضمة عين بعض الكلمات،إذا كانت العين صوتاً أمامياً،وذلك كما

(٥٥) الحج : ٢٦ .

(٥٦) المائدة : ٦٢ .



في (كفؤاً)،فقد قرئت بإسكان الفاء لا ضمها . وهنا يحسن أن نتنبه إلى أن قراءة يعقوب متناسقة تماماً مع القوانين الصوتية . وهذا واضح من زيادة الضمة لعين الكلمة،إذا كانت عينها صوتاً خلفياً،ومن حذف ضمة عين الكلمة،إذا كانت عينها صوتاً أمامياً . ويمكن تمثيل حذف حركة عين الكلمة ، إذا كانت العين أمامية بالمعادلة (١٤) التالية :

المعادلة (١٤) :

ح [+خلفية] ———◄ Φ / ص [+أمامي] ———

٣. يقرأ يعقوب بضم الواو في "أوُ انقصُ مِنْهُ"[٥٧] ونون (أن) في "اعْبُدُنِي"[٥٨] وما كان من بابهما . وهذا يتم أداؤه بالكسر في قراءات أخرى،وقد سمى علماء العربية هذا الكسر "كسر التقاء الساكنين" . وهنا لا بد أن نلاحظ ما يأتي

(أ) الأصل هو الضم في هاتين الآيتين،فالضمة هي في الحقيقة همزة الوصل التي في أول الكلمة اللاحقة : "أنقص" و "أعبدوني".

(ب) أصبحت هذه الضمة حركة للنون وصلاً،أي بوصل (انقص) بـ (أو)،وبوصل (اعبدوني) بـ (ان) ، هكذا :

أنْ أُعبدوني ———◄ أنُ عْبدوني

(ج) ينجم عن هذا تغيير في موقع النبر في البنية المقطعية للكلام،هكذا:

أنْ / أُعْــــ / بُـــــ / دو / ني ———◄ أ / نُعْــ /بُـــــ / دو / ني

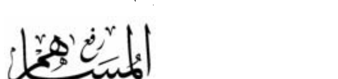
فالاختلاف في البنية المقطعية واضح بين المقطعين الأول والثاني في الصيغتين الأصلية،وصيغة الوصل .

(د) ولكن الضم هذا ليس أصلاً دائماً،فقد تكون همزة الوصل مكسورة،كما في "أنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ"[٥٩]،فالكسرة هذه هي في الحقيقة همزة الوصل التي تلحق

---

[٥٧] المزمل : ٣ .

[٥٨] يس : ٦١



بالفعل (اِصنع) . فهذا يشبه قولك :"أنِ اسمع،وأنِ اعمل،وأنِ اذهب .. وهلم جرا".

(هـ) لكن الكسرة محولة من الضمة في قراءة من قرأ : "أوِ انقص " بكسر الواو،و "أنِ لعبدوني" بكسر النون.

(و) وعلى ذلك يتبين أن الكسر ليس واحداً في هذه الحالات جميعاً،فقد يكون أصلاً،وقد يكون محولاً من الضم .

(ز) وفي كل الحالات،فإن الكسر أو الضم ، لم يقحما إقحاماً ، كما يظن الكثيرون،فلا الكسر لالتقاء الساكنين،ولا الضم كذلك،وإنما هما همزتا الوصل .

٤. تقليل عدد المقاطع : قرأ يعقوب بتسكين الراء في :

"وأرنا" من الآية :"وأرْنا مَنَاسِكَنا"[٦٠]. أما بكسر الراء فالمقاطع الثلاثة هي أ / رِ / نا، وبتسكينها فالمقاطع اثنان : ارْ / نا، ويظهر تقليل عدد المقاطع في اختيار يعقوب قراءة"الرؤف" بدلا من"رؤوف"،اي بصيغة (فعل) بدلا من (فعول) [٦١] .

ويظهر تقليل عدد المقاطع في حذف الفتحة بين تاءي (تتمارى) من قوله تعالى : "فَبِأي آلاء ربِّكَ تَتَمَارَى"[٦٢] لتصبح الكلمة هكذا : "تّمارى" . وقرأ يعقوب – برواية رُوَيْسَ– : ثمّ تّفَكَّرُوا"[٦٣] بحذف الفتحة التي بين التاءين وإدغامهما بعد ذلك[٦٤] .

---

(٥٩) المؤمنون : ٢٧ .

(٦٠) البقرة : ١٢٨ .

(٦١) محمد المحيسن. المهذب ٧٥/١ .

(٦٢) النجم: ٥٥ .

(٦٣) سبأ : ٤٦.

(٦٤) الأصبهاني . المبسوط في القراءات العشر، ص ١٠٠ .

٥ . الوقف على تاء التأنيث : قرأ يعقوب بتحويل تاء التأنيث في (لعنة) إلى هاء،في حال الوقف عليها . وهذه لهجة عربية،والوقوف عليها بالتاء لهجة عربية أخرى،فقد ذكر السيوطي أن من اللهجات العربية ما يقف على تاء التأنيث بالتاء،ومنها ما يقف عليها بالهاء،أي بتحويلها إلى هاء،وذلك مثل : أمه،وأمت[٦٥]. في الواقع لم تختلف طبيعة المقطع في الكلمتين،ولكن اختلفت طبيعة مكوناته،فالمقطع الذي ينتهي بالهاء هو مقطع ينتهي بصوت استمراري،والذي ينتهي بالتاء ينتهي بصوت وقفي .

٦. الإشباع والاختلاس : قرأ يعقوب باختلاس الكسرة في "توله ونصله"[٦٦] وهذا أحد أساليب العربية في التعامل مع المقطع الأخير من الكلمة،فقد يكون المقطع طويلاً،وهذه هي حالة الإشباع،وقد يكون قصيراً وهذه هي حالة الاختلاس في "توله ونصله"[٦٧] .

٧. اطراد المقطع وصلاً وفصلاً : على الرغم من أن يعقوب كان يميز بين حالي الوصل والفصل في بعض الحروف،فقد كان في حروف أخرى،يحفظ للمقطع الأخير من الكلمة هيئة واحدة وصلاً وفصلاً،وذلك أنه كان عند الوقف على (اتبعوني،وأطيعوني،من اتبعني،المنادي،فارهبوني،فاتقوني،الداعي،إذا دعاني،فما تغني، ونذري ...) يبقي على الياء فلا يحذفها،شأنه في ذلك شأن إثباته لها في حال الوصل .

٨. إغلاق المقطع القصير في الموقع الأخير من الكلمة : في العربية وسائل كثيرة لإغلاق المقطع الأخير من الكلمة،بخاصة إذا كان هذا المقطع قصيراً

---

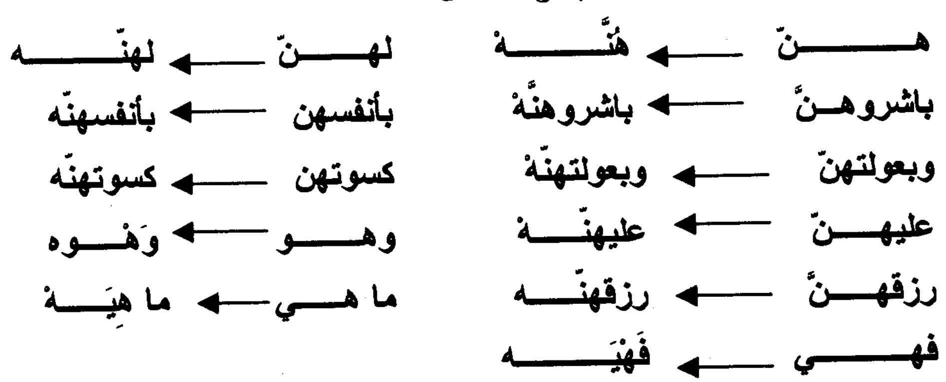
(٦٥) عبدالرحمن السيوطي . المزهر . تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : البابي الحلبي،د.ت) ٢٥٦/١ .

(٦٦) محمد المحيسن . المهذب،١٧٠/١ .

(٦٧) السيوطي : المزهر، ٢٥٦/١ .

مفتوحاً،من هذه الوسائل: التنوين، وإسقاط الحركة الإعرابية عند الوقف،والإدغام، وهاء السكت .

وقراءة يعقوب تفردت بأنها تغلق المقطع القصير الأخير من الكلمة ، بهاء السكت باطراد،عند الوقف عليه،وذلك مثل :



لكن يعقوب يحذف هاء السكت في الكلمات الآتية عند وصولها :

حسابيه – كتابيه – ماليه – سلطانيه،فقد كان يسقط الهاء من هذه الكلمات عند وصلها،وذلك بعكس من قرأ بإثباتها وقفاً ووصلاً .

وبذلك تكون قراءة يعقوب متناسقة تماماً في التعامل مع المسألة الواحدة ؛ فهي تقف على المجموعتين المذكورتين من الكلمات بهاء السكت،وتسقط الهاء من المجموعتين في حال الوصل .

هذا في المقطع القصير في الموقع الأخير من هذه الكلمات . وقد أغلقت قراءة يعقوب المقطعِ الطويل في الموقع الأخير في مثل : يا ويلتي،فقد قرأها : يا ويلتاه .

الفصل العاشر

فــي قــراءة خلف

* **المطلب الأول: خلف:**

١- حياته ودرايته.

٢- راويا قراءته.

٣- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة خلف.**

خلف البزار

أبو محمد خلف بن هشام البزار الأسدي (ت٢٢٩هـ)

<u>راوياه :</u>

١. إسحاق : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم البغـــــدادي (ت٢٨٦هـ)

٢. إدريس : أبو الحسن إدريس بن عبدالكريم البغدادي (ت ٢٩٢هـ)

<u>طرقه :</u>

١. طريقا إسحاق:

(أ) السوسنجردي : أبو الحسن أحمد بن عبدالله البغدادي (ت٢,٤هـ)

(ب) البرساطي : أبو علي الحسن بن عثمان النجاد (ت بعد ٣٦.هـ)

٢. طريقا إدريس:

(أ) الشطي : أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين البغدادي (ت٣٧.هـ)

(ب) المطوعي : أبو العباس الحسن بن سعيد البغدادي (ت٣٧١هـ)

المطلب الأول

خلف البزار

١. حياته ودرايته

هو الإمام أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن هيثم البزار البغدادي الأسدي،عاشر القراء العشرة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالقبول والتسليم . ولذلك يدعى هذا الإمام بخلف العاشر . وقراءته على سمت القراءات العشر الموثقة من تواتر السند،وموافقة العربية،ورسم المصاحف العثمانية أو أحدها . وهذه هي الشروط الثلاثة التي لا بد من أن تتوافر في أية قراءة،حتى تنال من القبول ما يجعلها في عداد القراءات المعتبرة.

ولد خلف سنة خمسين ومائة،وحفظ القرآن وهو ابن عشر،وابتدأ الطلب وهو في سن الثالثة عشرة[١]. أخذ القراءة عن سليم بن عيسى[٢] عرضا ،وأخذ عن الكسائي[٣] سماعاً لا عرضاً،وأخذ الحروف عنه،وسمعها منه[٤]، وكان يأخذ بمذهب حمزة في القراءة،وهو أحد راوييه،قال خلف : "قرأت القرآن على حمزة عشر مرات[٥]،غير أنه خالف أستاذه في مائة وعشرين حرفاً،اختارها على خلاف ما تمضي به قراءة حمزة . ومن أجل هذه المخالفة، وذلك الاختيار،اعتدّ خلف إماماً مقرئاً ، كما اعتدّ غيره من القراء العشرة.

---

(١) محمد بن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء ٢٧٣/١ .

(٢) سليم بن عيسى الحنفي الكوفي،حاذق،ضابط،متقن . ولد سنة ١٣٠هـ وهو من أجلّ أصحاب حمزة،وقد خلفه في القيام بالقراءة،توفي سنة ١٨٨هـ (غاية النهاية : ٣١٨/١).

(٣) انظر ترجمته في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٤) ابن الجزري،غاية النهاية ٢٧٣/١ .

(٥) أحمد بن الحسين الأصبهاني . المبسوط في القراءات العشر . ص ٦٥ .



كان خلف ثقة زاهداً عالماً كبيراً،كما كان عادلاً ضبطاً متقناً . وقد وثّقه أحمد بن حنبل[٦] فوصفه قائلاً :" هو والله عندنا الثقة الأميـــن"[٧] وذلك على الرغم مما نقل إلى الامام عنه ، أنه كان يشرب النقع إذا انتبذ ، عملاً بمذهب الكوفيين. وأما يحيى بن معين[٨]،فقد وصفه بأنه لم تكن له معرفة بالحديث ، وأنه كان يبيع البزر[٩] . أما المعرفة بالقراءة فلا شك أنه كان فيها علماً،وأما وصف ابن معين له في هذا السياق ، بأنه كان يبيع البزر ففيه إشارة إلى أن هذه المهنة لم تكن مكانتها الاجتماعية مميزة،ولذلك يروى عن خلف أنه كان يقول : "لا تدعوني البزار بل المقرئ"[١٠] .

٢. راويا قراءته

يروي عن خلف القارئان :

(أ) **إسحاق** : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان المروزي البغدادي . قرأ على خلف اختياره وقام به بعده . كان إماماً ثقة،توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

(ب) **إدريس** : أبو الحسن إدريس بن عبدالكريم الحداد البغدادي . إمام ضابط متقن ثقة . قرأ على خلف روايته واختياره . روى عنه سماعاً ابن مجاهد. سئل

---

[٦] أبو عبدالله أحمد بن حنبل أحد أئمة الاسلام المجتهدين،ولد سنة ١٦٤هـ،روى عنه البخاري ومسلم،له المسند،كان يحفظ ألف ألف حديث،توفي سنة ٢٤١هـ (تذكرة الحفاظ : ٢/ ٤٣١ – ٤٣٣).

[٧] أحمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت)،٨/ ٣٢٦ .

[٨] أبو زكريا يحيى بن معين سيد الحفاظ،ولد سنة ١٥٨هـ،كان ميسور الحال،روى عنه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم،توفي سنة ٢٣٣هـ (تذكرة الحفاظ : ٢/٤٢٩ – ٤٣٠).

[٩] الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ٨/٣٢٦ .

[١٠] ابن الجزري . غاية النهاية : ١/٢٧٣ .



عنه الدارقطني فقال : ثقة وفوق الثقة درجة . توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

٣. طرقـــــــــه

طريقا إسحاق

(أ) **السوسنجردي** : أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن الخضر السوسنجردي ثم البغدادي،ضابط ثقة،مشهور،كبير . ولد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة . توفي سنة اثنتين وأربعمائة .

(ب) **البرساطي** : أبو علي الحسن بن عثمان المؤدب النجار،يقال له : البرساطي بالسين والصاد والزاي . مقرئ ضابط عدل . توفي بعد سنة ستين وثلاثمائة .

طريقا إدريس

(أ) **الشطي** : أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن عبدالله النساج البغدادي المعروف بالشطي . مقرئ ثقة . أخذ القراءة عرضاً عن إدريس الحداد . توفي سنة سبعين وثلاثمائة .

(ب) **المطوعي** : أبو العباس الحسن بن سعيد بن جعفر بن الفضل بن شاذان المطوعي البصري العمري،مؤلف كتاب معرفة اللامات وتفسيرها . إمام عارف،ثقة في القراءة . ارتحل في طلب العلم والقراءة . أخذ عنه القراءة خلق كثيرون،وتوفي سنة واحدة وسبعين وثلاثمائة .

كان خلف حميد الاعتزاز بالنفس، فقد روي عنه أنه قدم الكوفة،فصار إلى سليم بن عيسى [١١] فسأله : ما أقدمك ؟ قال : أقرأ القرآن على أبي بكر بن

---

[١١] سليم بن عيسى الكوفي،ضابط،محرر،حاذق،ولد سنة ١٣٠هـ،عرض على حمزة،وعرض عليه حفص،توفي سنة ١٨٨هـ (غاية النهاية : ٣١٨/١) .



عياش[١٢] بحرف عاصم[١٣] فقال له سليم : ألا تزيد ؟ قال : بلى،فدعا سليم ابنه وكتب معه رقعة إلى ابن عياش،فاستأذن له على. سليم بن عيسى فدخل عليه فأعطاه الرقعة،وكان لخلف سبع عشرة سنة قال : فلما قرأها قال : أدخل الرجل،فدخل خلف عليه فسلّم،فأخذ ابن عياش يصعّد فيه النظر،ثم سأله : أنت خلف ؟ قال : نعم،قال ابن عياش : أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك ؟ قال خلف : فسكتّ،فقال لي : اقعد،هات اقرأ،قلت : عليك ؟ قال : نعم،قلت : لا إله إلا الله،لا أقرأ على رجل يستصغر رجُلاً من حملة القرآن،وتركته وخرجت،فوجّه إلى سليم فسأله أن يردني إليه فلم أرجع"[١٤].

توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين ومائتين.

[١٢]شعبة بن عياش،راوي عاصم،كان إماماً كبيراً،وزاهداً ورعاً توفي سنة ١٩٣هـ (غاية النهاية : ٣٢٥/١).

[١٣]عاصم بن بهدلة ابي النجود،أحد القراء السبعة،انتهت إليه رياسة الاقراء بعد أبي عبدالرحمن السلمي. روى عنه حفص وشعبة. توفي سنة ١٢٧هـ (غاية النهاية : ٣٤٦/١).

[١٤]أحمد بن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء الزمان. ٢٤٢/٢ والخطيب البغدادي،مرجع سابق : ٣٢٤/٨



المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة خلف

يمكن تلخيص الظواهر الصوتية في قراءة خلف في الأطر الآتية :

١. المماثلة بين الصوامت
٢. المماثلة بين الصوائت
٣. النبر
٤. حركة عين الكلمة
٥. الإمالة

أولاً : المماثلة بين الصوامت

قد تكون درجة التماثل جزئية،وذلك بأن يكون التغيير على سمة واحدة ، أو ملمح واحد . وقد يكون التغيير شاملاً لجميع ملامح الصوت المتغير،بحيث يصبح وكأنه لم يكن مختلفاً عن صورة الصوت الذي ماثله . ويمكن أن يسمى هذا النوع بالمماثلة الكلية . وفي ما يأتي تفصيل لهذين النوعين من المماثلة في قراءة خلف :

١. المماثلة الجزئية : وهذه تظهر في تحول صامت مهموس إلى مجهور،بسبب مجاورته لصامت مجهور . ومن أمثلة هذا النوع من المماثلة أن خلفاً قرأ باشمام الصاد زاياً في (الصراط)،وقرأ كذلك باشمام الصاد زاياً في "يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم"[١٥] . ووجه المماثلة هنا أن الصوت الصفيري المهموس المطبق،وهو الصاد،قد اكتسب صفة الجهر،لمجاورته للزاي الذي هو صوت مجهور،في عرف القدماء والمحدثين،وإن كان بعض القدماء قد ذهب إلى خلاف ذلك،فقد خالف بعضهم "فجعل الضاد والصاد والذال والزاي والعين

---

[١٥] الزلزلة : ٦ .



والغين والياء من (الأصوات) المهموسة،والكاف والتاء من المجهورة"[١٦] وهذه مخالفة لا يمكن الاعتذار لها بعذر علمي،فهي مخالفة لصريح الحقائق العلمية وجليّها . ولا شك في أن تحويل الصاد إلى صوت مجهـور في هذا السياق عربي فصيح،به جرى الاستعمال على ألسنة الفصحاء من العرب،ذلك أنه "إذا جاورت الصاد الدال،والصاد متقدمة،فاذا سُكّنت الصاد ضعفت فيحولونها في بعض اللغات زاياً . فاذا تحركت ردوها إلى لفظها مثل قولهم : فلان يَزْدق في كلامه،فاذا قالوا : صدق،قالوها بالصاد لتحركها،وقد قرئ : حتى يُزْدِر الرعّاء، بالزاي"[١٧].

هذا الذي أشار إليه السيوطي صحيح ، من وجهة نظر علم الأصوات ، وعلم النظم الصوتية . وهو هنا يشير إلى عدد من المعطيات الصوتية التي نعدّها أساساً في التغيرات الصوتية،فهو يشير أولاً إلى المجاورة الرجعية،ويحددها تحديداً دقيقاً إذ يقول : "إذا جاورت الصاد الدال،والصاد متقدمة". وهو يشير ثانياً إلى المجاورة المباشرة إذ يقول : "فاذا تحركت ردوها إلى لفظها"،لأن الحركة هي الفاصل الذي يفصل بين أي صوتين صامتين متجاورين،فلا يعود تجاورهما مباشراً. ويؤكد هذا ما قاله ابن عصفور [١٨] : "وأما الزاي فأبدلت من الصاد إذا كان بعدها قاف أو دال،فقالوا في : مُصْدَق ومصدوقة : مُزْدق ومزدوقة،وإنما تفعل ذلك كلب،قال الشاعر :

---

[١٦] محمد بن الحسن الاستراباذي . شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق : محمد نور الحسن،ومحمد الزفزاف،ومحمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت : دار الكتب العلمية،١٩٧٥) ٣/٢٥٧-٢٥٨ .

[١٧] عبدالرحمن السيوطي . المزهر . تحقيق : محمد أحمد جاد المولى،وعلي محمد البجاوي،ومحمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة : عيسى البابي الحلبي،د.ت) ١/١٩٦-١٩٧).

[١٨] ابو الحسن علي بن مؤمن الاشبيلي،ولد في اشبيلية سنة ٥٩٧هـ،من أساتذته : الشلوبين،وله كتب كثيرة،توفي سنة ٦٦٩هـ (بغية الوعاة : ٢/٢١.).



يزيد زاد الله في خيراته حامي نزار عن مزدوقاته

وقال الآخر :

وَدَعْ ذا الهوى قبل القِلى،تَرْكُ ذي الهوى

متين القوى خير من الصرم مزدرا"[١٩]

ولا بد من وقفة قصيرة عند قول ابن عصفور : "إذا كان بعدها –أي الصاد– قاف أو دال"،إذ هو يقصد أن الصاد تتحول إلى صوت مجهور إذا كانت مجاورة للقاف أو الدال،وهما في عرف علماء العربية القدماء صوتان مجهوران . أما الدال فلا خلاف عليه بيننا وبينهم،فهو مجهور في نظرهم،مجهور في الدراسات الصوتية المعاصرة . وأما القاف كما ينطقه المجيدون من قراء القرآن الكريم في أيامنا هذه،فهو صوت مهموس . وأما أسلافنا من علماء العربية،وعلماء القراءات،فهم على اجماع بأنه صوت مجهور. والاحتمال الذي نميل إليه هو أنهم ربما كانوا ينطقون القاف مجهوراً ، كما ينطقه بعض أبناء البلاد العربية حتى اليوم . نأخذ بهذا الاحتمال ونميل إليه،وقد أخذ به بعض اللغويين المعاصرين[٢٠].

هذا،والمعادلة (١) توضح التغير المتمثل في تحويل الصاد إلى صوت مجهور .

المعادلة (١)

[- مجهور] ⟵ [+مجهور] / —— [+مجهور]

---

[١٩] ابن عصفور . الممتع في التصريف . تحقيق : د. فخر الدين قباوة (حلب المكتبة العربية،١٩٧٠.) : ٤١٢/١ .

[٢٠] كمال بشر . علم اللغة العام – الأصوات (القاهرة : دار المعارف،١٩٨٠.) ص ١١٠ .

٢. المماثلة الكلية : وأبرز صورها في قراءة خلف : "الإدغام". وقد عرفه بعضهم بأنه "رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة،ووضعك إياه بهما موضعاً واحداً،وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين"[٢١] . ونود أن نبين هنا أننا نقسم الإدغام على نحو آخر،غير الذي جرى عليه تقسيمه عند النحاة،فنحن نقسمه إلى أربعة أقسام هي :

(أ) الإدغام الصغير،وهو الذي يكون بحذف حركة بين صوتين متطابقين داخل كلمة واحدة،وذلك كما في : مدّ،وشدّ،وعدّ،وفرّ،وعضّ،وقلّ، وغير ذلك مما هو من بابه . فالأصل في هذه الكلمات : مَدَدَ،وشدَدَ،وعدد،وهكذا .

(ب) الإدغام الكبير : وهو الذي يكون بين صوتين متقاربين في المخرج، أو في بعض الملامح الصوتية،وذلك كما في : (لبثت) و (لبثتم) و (اتخذتم)،فقد قرأ خلف بادغام الثاء والذال من هذه الكلمة بالتاء التي على عقبها مباشرة . المعادلة (٢) تبين هذا التغير :

المعادلة (٢)

$$\left\{ \begin{matrix} ث \\ ذ \end{matrix} \right\} \longrightarrow ت \;/\; \text{———} \; ت$$

(ج) الإدغام الأكبر : وهو الذي يكون بين صوتين متماثلين أو متقاربين وليس بينهما فاصل في كلمتين متعاقبتين،وذلك مثل إدغام خلف الدال في الصاد من قوله تعالى : "لقد صدّق الله رسوله الرؤيا بالحق"[٢٢]،ومثل الدال في الظاء في الآية : " فقد ظلّم نفسه"[٢٣]،وإدغامه الذال في التاء في : "اذ تّبرأ الذين

---

[٢١] ابن عصفور . الممتع في التصريف ٢/٦٣١ .

[٢٢] الفتح : ٢٧.

[٢٣] البقرة : ٢٣١



اتبعوا"[٢٤]،وإدغامه التاء في السين في "أنبتت سّبع سنابل"[٢٥]، وإدغامه الدال في الجيم في : "أني قد جّئتكم بآية من ربكم"[٢٦]، وإدغامه الدال في السين في " ما قدسّلف"[٢٧]، والتاء في الجيم في : " نضجت جّلودهم"[٢٨]، وإدغامه الذال في "إذ دّخلوا عليه فقالوا سلاما "[٢٩]، وإدغامه اللام في الراء في : "بل رّان على قلوبهم"[٣٠] .

ويمكن تلخيص محاور الادغام الأكبر في قراءة خلف في ما هو آت :

* إدغام صامت وقفي في صامت وقفي مثله،كما في :" قد جّئتكم".
* إدغام صامت وقفي في صامت استمراري كما في : "ما قد سّلف".
* إدغام صامت استمراري في صامت وقفي كما في : "اذ دّخلوا".
* إدغام صامت استمراري في صامت استمراري كما في : "بل رّان".

وقد أدرك بعض العلماء العرب حقيقة هذا النوع من الإدغام، فقال السيوطي : "ومما يدلك على أنهم لا يؤلفون الحروف المتقاربة المخارج أنه ربما ألزمهم ذلك من كلمتين أو من حرف زائد،فيحولون أحد الحرفين حتى يصيّروا الأقوى منهما مبتدأ على الكره منهم . وربما فعلوا ذلك في البناء الأصلي . فأما ما فعلوه من بناءين فمثل قوله تعالى : بل رّان،لا يبيّنون اللام ويبدلونها

---

[٢٤] البقرة : ٢٦٦

[٢٥] البقرة : ٢٦١

[٢٦] آل عمران : ٤٩

[٢٧] النساء : ٢٢

[٢٨] النساء : ٥٦

[٢٩] الحجر : ٥٢

[٣٠] المطففين : ١٤

راء،لأنه ليس في كلامهم (لر)،فلما كان كذلك أبدلوا اللام فصارت مثل الراء،ومثله : الرحمن الرحيم،لا تستبين اللام عند الراء "[٣١].

والحق أن عبارات السيوطي هذه ، تتضمن جملة من الحقائق الصوتية، منها أولاً المبدأ الصوتي الذي ينطبق على إدغام صوتين في كلمة واحدة، هو المبدأ الصوتي نفسه الذي ينطبق على إدغام صوتين في كلمتين متجاورتين. ولذلك،فهو يوجد لنا المسوغ الصوتي الذي على أساسه أدغمت اللام في الراء في: "بل ران". إنه المسوغ الصوتي نفسه الذي ندغم على أساسه اللام في: (الرحمن) و (الرحيم). وثانياً: أن المسوغ الذي يجعل إدغام اللام في الراء وارداً لوجوده في كلام العرب،هو المسوغ الذي يجعل السكت على اللام في قراءة حفص[٣٢] وارداً،لأنه ليس في كلامهم (لر). فلا بد من سكتة لطيفة على اللام للفصل بينها وبين الراء،إذ إنهما لا تجتمعان في كلام العرب . ولما كان الأمر كذلك،كان لا بد من السكت كما في رواية حفص،أو الإدغام كما في قراءة خلف.

٤. الإدغام الكُبار: وهو الذي يكون بين صامتين في كلمتين متجاورتين بينهما الحركة فاصلا،فتحذف الحركة ثم يدغم الصوتان، وذلك مثل :

(أ) إدغام النون في اللام،كما في : "حتى يتبيّن لّهم"[٣٣].

(ب) إدغام الكاف في القاف،كما في : "كذلك قّال ربك"[٣٤].

(ج) إدغام الباء في الميم،كما في : "ويعذب مّن يشاء"[٣٥].

---

(٣١) السيوطي : المزهر ١/١٩٥ –١٩٦ .

(٣٢) أبو عمر حفص بن سليمان الأسدي الكوفي،راوي عاصم وابن زوجته . ولد سنة ٩٠هـ . توفي سنة ١٨٠هـ (غاية النهاية : ١/٢٥٤).

(٣٣) فصلت : ٥٣ .

(٣٤) مريم : ٩ .

(٣٥) البقرة : ٢٨٤ .



المماثلة بين الصوائت

تظهر المماثلة بين الصوائت في قراءة خلف في عدة صور أدائية أهمها :

١. الوصل بالضم : الأصل في ضمير الغائبين (هم) أن تكون هاؤه مضمومة بغض النظر عن طبيعة الصوت الذي يكون قبله . فاذا كان قبله ياء مد،فالأصل أن يكون اتصال الضمير بما قبله هكذا : فيهُم،فيهُما . وساعتئذ لا يكون تغيير صوتي قد طرأ على هذا التركيب،فهيئته هذه هي الأصل . وهذا هو الذي تجري به قراءة خلف،فقد قرأ :"يريهُم الله أعمالهم"[٣٦] بضم الهاء لا كسرها . وضمها لا أثر للمماثلة فيه كما هو واضح . ولكن المماثلة متأتية من جهة أخرى،وهي ضمة الميم . وأصل هذه الضمة من الناحية الصوتية،همزة الوصل التي في أول لفظ الجلالة (الله)،وهي في الأصل فتحة،ولكنها تغيرت إلى ضمة الهاء في ضمير الغائبين،هكذا :

يريهمْ / ـَ ل / لا / هـ ⟵ يريهمْ / ـُ ل / لا / هـ ⟵ يريهُمُ الله

وإذا كان ضمير الغائبين مسبوقاً بالياء التي هي نصف حركة،فالأصل هو ضم الهاء،وهذا الأصل هو الذي تجري عليه قراءة خلف،فقد قرأ : "عليْهُمُ الذلة"[٣٧] و"عليْهُمُ القتال"[٣٨] . والمماثلة الصوتية آتية من ضم ميم الجمع،لإحداث مماثلة بينها وبين ضمة الهاء،تماماً كما حدث في الصورة التي سبقت،والتي تمثلها قراءته لقوله تعالى : "يريهُمُ الله أعمالَهم حسرات عليهم".

ولا شك أن ثمة اختلافاً واضحاً بين قراءة خلف،وقراءة حفص في أداء هاتين الصورتين جميعاً،فحفص يقرأ الأولى :"يريهمُ الله" بكسر الهاء،وضم ميم الجمع، ويقرأ الثانية على نسق قراءته للأولى هكذا : "عليهِمُ القتال"،وانما تكسر

---

[٣٦] البقرة : ٦٧ .

[٣٧] البقرة : ٦١ .

[٣٨] البقرة : ٢٤٦ .



الهاء في هذين الحرفين في قراءة حفص، لاحداث مماثلة بين الياء (نصف الحركة) وهي صوت انزلاقي، وكسرة الهاء، وذلك من حيث أن الياء والكسرة صوتان صائتان متوتران. ثم إن حفصا يضم ميم الجمع، بعد أن كان قد أجرى مماثلة بين الياء والكسرة، أي أن الأمر يجري في قراءة حفص على هذه الشاكلة :

مماثلة + مخالفة

ولكن قراءة خلف تجري على شاكلة أخرى هي هذه : الأصل + مماثلة . والمذهبان عربيان فصيحان،واختيار أي واحد منهما دليل على ما تنطوي عليه القراءات القرآنية من استيعاب لكثير من الظواهر الصوتية في اللسان العربي.

وإذا كان ضمير الغائبين مسبوقاً بكسرة، فالأصل فيه أن تكون الهاء مضمومة،وهذا الأصل هو الذي يجري به الأداء في قراءة خلف،فقد قرأ : "في قلوبِهُمُ العجل[٣٩] و "قبلتِهُمُ التي كانوا عليها[٤٠]،وهذا ليس فيه شيء من المماثلة ، إذ هو الأصل. وانما تكون المماثلة باحداث تغيير لتوافق الأصوات،وتكون المخالفة باحداث هذا التغيير من أجل المخالفة بين الأصوات . غير أن المماثلة في هذا السياق متأتية من أن همزة الوصل التي تبتدئ بها الكلمة الثانية، وهي لفظ الجلالة،قد تحولت من فتحة إلى ضمة،لتناسب ضمة الهاء. وتكون قراءة خلف قد جرت بذلك على: أصل + مماثلة في هذا السياق . ولكن قراءة حفص تكون قد جرت على : مماثلة + مخالفة . وهما مذهبان عربيان خالصان .

٢. المماثلة بين حركة ونصف حركة : ظاهرة التماثل بين حركة ونصف حركة،ظاهرة سيارة في العربية،وقد رأينا منها في الفصول السابقة صوراً

---

(٣٩) البقرة : ٩٣

(٤٠) البقرة : ١٤٢ .



متعددة،وأشكالاً كثيرة،ومن صورها في قراءة خلف أنه قرأ بكسر الباء في (بِيوت) لتناسب الياء،فتحدث المماثلة بينها وبين الكسرة . وجهة التماثل بينهما أن الكسرة والياء صوتان أماميان،وأن حجرة رنين كل منهما حجرة خلفية،لأن الصوت الذي يكون انتاجه أو موضع نطقه في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية،تكون حجرة رنينه في الجزء الخلفي (٤١) .

٣. النبر

النبر من الظواهر الصوتية المعقدة التي أشكل فهمها حتى على كثير من دارسي علم الأصوات،فقد خلط بعضهم بين النبر الذي يقع على مقطع في كلمة مـــا، والتنغيم الذي محله الجمــلة لا الكلمـــة كـــما صـــرح بذلك كرتتدن Cruttenden (٤٢).

وبما أن المقاطع اللغوية لا تكون عند النطق على درجة واحدة من الشدة،فان أعلاها يكون منبوراً،أو محلا للنبر،وأخفضها،أو أقلها شدة لا يكون محلا للنبر (٤٣).

والنبر في العربية من أعقد المشكلات التي تواجه الدارسين في علم الأصوات،وذلك للأسباب الآتية :

١. ان العربية ليست من اللغات التي إذا تغيرت مواقع النبر في كلماتها،تغيرت دلالات الكلمات تبعاً لذلك . وهذا لا يعني أنه لا يوجد نبر في العربية،ولكن اختلاف مواقع النبر لا يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة .

---

(٤١) انظر : Roman Jakobson ; C. Fant ; & M. Preliminaries to Speech Analysis (The MIT Press , 1965) p.27.

(٤٢) انظر : Alan Cruttenden. Intonation (Cambridge University Press, 1986) p. 16-17.

(٤٣) المرجع السابق،ص ٢ .



وإذ لم تكن العربية لغة نبرية بهذا المعنى،فمن باب أولى ألا تكون لغة نغمية،إذ إن تنغيم الكلمة الواحدة بأنماط مختلفة من التنغيم ، لا يؤدي إلى اختلاف الدلالة المعجمية للكلمة العربية،كما هو الحال في اللغة الصينية مثلاً . وهذا لا يعني أنه لا يوجد تنغيم في العربية،ولكن التنغيم فيها تنغيم سياقي،فالجملة الاستفهامية لها أنماط معينة من التنغيم (بحسب الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام) . والجملة الاخبارية لها أنماط أخرى . وهذا التنغيم السياقي موجود في اللغات كافة،سواء أكانت لغات نغمية كالصينية،أم غير نغمية كالعربية .

ومع ذلك ففي العربية كلمتان فقط نغميتان هما (نعم و لا) . فبالتنغيم تخرجان من كونهما أداتي جواب إلى دلالات أخرى،فكلمة (نعم) يمكن أن تعني (ماذا) إذا كانت نغمتها : "مستوية – صاعدة". أما إذا كانت نغمتها مستوية فهي ساعتئذ اداة جوابٍ ليس إلا . وقد تكون بمعنى "أوافق" إذا كانت نغمتها :"مستوية – هابطة"،ويحدث هذا عندما يخاطبك أحد الناس مخبراً لا مستفهماً،فتكثر من قولك له،في أثناء حديثه : "نعم" . وقد يخرجها التنغيم إلى أن تكون أداة استنكار لخبر تسمعه،وتكون نغمتها حينذاك :

" صاعدة – هابطة – مرتفعة "

٢. وبناء على ما سبق بيانه من أن العربية ليست لغة نبرية،فاننا نجد اختلافاً على مستوى النبر في أشكال العربية الفصيحة المعاصرة في البلاد العربية،حتى أننا قد نجد للكلمة الواحدة ثلاثة أشكال من النبر[٤٤] .

٣. لم يهتم النحاة العرب بدراسة النبر،وان كان بعضهم قد أشار اليه بصورة عابرة . ولكن تلك الاشارات لا ترقى إلى أن تكون تقريرات علمية معتمدة. وقد

---

[٤٤] محمد حسن بكلا . النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية (بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٧٩) ص٢.



نجم عن عدم دراستهم للنبر،أن بقي الأمر محل اجتهاد بعض المعاصرين،على قلة من درس النبر في العربية من بينهم .

وعلى الرغم من ذلك كله،نستطيع أن نحدد بعض معالم النبر في قراءة خلف،فالنبر فيها يتغير نتيجة لبعض التغيرات الصوتية التي تطرأ على الكلمة أو الكلمتين المتجاورتين،وبيان ذلك في التغيرات الصوتية الآتية :

أولاً : الوصـــل بالضم : المقصـــود بهذا المصطلح أن يكون آخرَ الكلمة صـــامت ،تتبعه كلمة مستهلة بهمزة وصل،هي في حقيقتها ضمة،وذلك مثل : "أن اعبدوا"[٤٥]، فقد قرأها خلف بضم النون بدلاً من كسرها . وهنا يجب أن نلاحظ ما يأتي :

١. ان هذا الضم في حقيقته هو مطلع فعل الأمر " اعبدوا".

٢. لقد تم تشكيل مقطع من النون والضمة والعين . وهذا يظهر من ملاحظة ما كان عليه التركيب المقطعي للكلمتين،وما آل إليه :

أ ــَ نْ / ــُ عــ / بـــ ـــُ / دو ←── أ ـــَ / ن ــُ عــ / بـــ ـــُ /دو

٣. لقد أصبح المقطع الجديد منبوراً .

٤. عند مقارنة النبر في قراءة خلفٍ ضمّ النون،بقراءة من كَسَرها في الآية (أن اعبدوني)،نجد ان النبر في قراءة خلف ، أعلى منه في قراءة من كسرها . وقد قمت بفحص ذلك على أحد الأجهزة الصوتية المتطورة،وهو راسم النغمة،فتحصلت على النتائج الآتية :

١. بلغ معدل الترددات عند كسر النون من " أنِ اعبدوا":٢ر٢٩١ هرتز في الثانية . وبلغ معدل الترددات عند ضم النون من "أن اعبدوا" ٤ر٣٦٤ هرتز في الثانية . وبذلك يكون الفرق بينهما ١ر٣٧ في الثانية .

---

[٤٥] النحل : ٣٦ .

٢. بلغت درجة التوتر في حال كسر النون من " أن اعبدوا" ٨٦ر١٨ %،وفي حال ضمها ٥١ر٢١%،ليكون الفرق بينهما ٦٥٦ر٢% .

٣. بلغت درجة الانحراف المعياري للشدة ، في حال كسر النون من "أن اعبدوا" ٦ر٨١ هرتز،وفي حال ضمها ٧ر١١٧ هرتز،ليكـــــــون الفرق بينهما ١ر٦٣ هرتز .

٤. بلغـــــت درجة التردد السطحي عند كسر النون ٣ر٢,٧ هرتز،وبلغت ٩ر٣٨٣ هرتز عند ضمها .

وهذه كلها أدلة رقمية قاطعة الدلالة، في أن ضم النون في "أن اعبدوا" وما كان من بابها،تجعل المقطع الذي يبرز جديداً أعلى وأشد نبراً .

ثانياً : النبر عند ضم الهاء في ضمير الغائبين : وضحنا كيف أن ضم الهاء في ضمير الغائبين في قراءة خلف،انما هو إبقاء للضمير على حال أصله . ونزيد هنا ، أن هذا الأداء من شأنه أن يجعل المقطع الذي فيه هاء الضمير منبوراً ، أكثر من غيره،بل إن هذا المقطع سيكون أعلى من نظيره،في قراءة من قرأ بكسر الهاء . وهذه هي النتنج التي حصلت عليها من راسم النغمة :

١. بلغ معدل الترددات في حال كسر الهاء من ضمير الغائبين ٧ر٤١٢ هرتز في الثانية،وبلغ معدل الترددات في حال ضمها ١ر٤٢. هرتز،ليكون الفرق بينهما ٤ر٧ هرتز .

٢. بلغت درجة التوتر عند كسر الهاء ١٤ر٢.،وبلغت درجة التوتر عند ضمها ٣٨ر٢. هرتز،ليكون الفرق بينهما ٢٤١ر. هرتز . وهو فرق وان كان يسيراً،فهو فرق على أي حال .

٣. بلغت درجة التردد السطحي عند كسر الهاء ٥ر٢,٣ هرتز، وعند ضمها ٤ر٣٨٥ هرتز،ليكون الفرق بينهما ٩ر١٨١ هرتز،وهو فارق لا شك كبير .



ثالثاً : النبر في الإدغام : قمت بقياس درجة النبر في إدغام الدال في الجيم في : "قد جئتكم" بحسب قراءة خلف،وبعدم الإدغام بحسب قراءة من قرأ بلا ادغام،فتحصلت على النتائج الآتية :

١. بلغ معدل الترددات في حال عدم الإدغام ٣ر٢٧٣ هرتز،وبلغ معدل هذه الترددات في حال الادغام ٩ر٤٤٥هرتز،ليكون الفرق بينهما ٦ر١٧٢ هرتز، وهو فرق كبير .

٢. بلغت درجة التوتر في حال عدم الإدغام ١٤ر١٤%،وبلغت في حال الإدغام ٩٢ر١٧%،ليكون الفرق بينهما ٧٨٢ر٣% .

٣. بلغت درجة التردد السطحي ٣ر١٩٠ هرتز في حال عدم الإدغام،وبلغت عند الإدغام ٣ر٤٠٧ هرتز،ليكون الفرق بينهما ٢١٧ هرتز،وهو فرق كبير .

وهكذا يتبين لنا أن الإدغام في هذه القراءة،كما هو الحال في غيرها، يؤدي إلى اختلاف موقع النبر وكميته.

رابعاً : حركة عين الكلمة: تجري على عين الكلمة في قراءة خلف،أوضاع تتفق فيها مع سائر القراءات القرآنية،كما تجري عليها أوضاع تختلف فيها بعض القراءات . وفي ما يأتي بيان ذلك :

١. قرأ خلف بتسكين الظاء في (خُطْوات) حيث وردت في كتاب الله عز وجل[٤٦]. والقراءات العشر تختلف في حركة الطاء،فبعض القراءات تضمها،وقراءة خلف تسكنها . أما تسكين الطاء فهو على الأصل،إذ المفرد : "خُطْوه" بضم فسكون، ويكون الجمع على (خطوات) – بضم فسكون – جارياً على الأصل في المفرد . وأما ضم الطاء فهو في المعايير الصوتية نوع من المجانسة بين المقطعين الأول والثاني : "خــ ـُـــ / طــ ـُـــ / " أو هو بتعبير اللغويين "حمل على الجوار".

---

[٤٦] محمد المحيسن . المهذب في القراءات العشر ٨٨/١ .



٢. قرأ خلف (بالبَخَل)،بفتح الباء والخاء،وهما لغتان[٤٧] . جاء في اللسان : "البخل والبخل لغتان وقرئ بهما"[٤٨] .

والأمثل في التصور ، أن يكون فتح الخاء جارياً على أساس اتباع المقطع الثاني للمقطع الأول .

٣. قرأ خلف (كُفْؤا) و (هُزْؤا) بضم فسكون[٤٩] . ومسوغ إسكان عين الكلمة الثلاثية – عندما تكون لامها همزة – مسوغ صوتي ولا شك،وملخصه أن الضمة والهمزة صوتان خلفيان،فالتناسب بينهما آت من هذا القبيل .

٤. قرأ خلف (رَؤُف) بدلا من (رؤوف) [٥٠]، و (رؤف) على وزن (فَعُل)، وهو مما استعملته العرب في مقام (رؤوف). والمسوغ هنا مسوغ صوتي أيضاً،اذ إن المقطعين الأول والثاني قد أصبحا قصيرين .

خامساً : الإمـــالـــة

عرفنا أن الإمالة هي الوضع الذي يكون عليه اللسان بين أعلى حركة أمامية (الكسرة،أو ياء المد)، وأسفل حركة أمامية (الفتحة،أو الألف). وعلى ذلك، فالامالة درجات، ميّز علماء اللغة والقراءات منها درجتين بارزتين هما: الاضجاع والبطح. أما الإضجاع فهو ارتفاع اللسان إلى درجة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة. وأما البطح فهو الوضع الذي يتخذه اللسان بعد أن يكون قد باين وضعه الأصلي الذي يتخذه عند نطق الفتحة، فيتجه نحو الكسرة،لكنه يظل أقرب إلى الفتحة منه إلى الكسرة .

والإمالة من الظواهر الصوتية السياقية في قراءة خلف . وسنذكر في ما يأتي أهم خصائص الإمالة في هذه القراءة :

---

[٤٧] المرجع السابق، ١٥٨/١ .

[٤٨] لسان العرب : باب اللام،فصل الباء والخاء .

[٤٩] محمد المحيسن . المهذب ٥٩/١ و ٣٤٤/٢ .

[٥٠] المرجع السابق،ص ٧٥/١ .

١. لم يُمِل خلف الفتحة،أي أن الفتحة عنده لا تمال عند الوقف،كما هو الحال عند بعض القراء[٥١] . وعلى ذلك،فهو لا ينحو بالفتحة نحو الكسرة في حرف من حروف قراءته .

٢. أمال خلف الألف فقط . ولكنه لم يتوسّع فيها ، كما هو شأن كثير من القراء العشرة [٥٢]، ويوشك أن يتفق خلف مع مجمل قواعد الإمالة التي نص عليها النحاة واللغويون . وهذه هي مواطن الإمالة في قراءته.

(أ) قرأ خلف بامالة كل ألف أصلها ياء،إذا كانت في فعل ثلاثي عينه مفتوحة، أو في اسم ثلاثي عينه مفتوحة كذلك، وذلك مثل: أبى، وهدى، وجاء، وأتى، وشاء. وهذا جارٍ على سمت القاعدة النحوية التي ذكر معالمها سيبويه؛ اذ يقول :"ومما يميل ألفه كل شيء من بنات الياء والواو،كانت عينه مفتوحة [٥٣] .

(ب) قرأ خلف بامالة الألف الزائدة للتأنيث في آخر الأسماء،وذلك مثل : بشرى،والهدى،وأنثى،وموتى،وأخرى .

" ومما يميلون ألفه كل أسم كانت في آخره ألف زائدة للتأنيث،أو لغير ذلك،لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء "[٥٤] .

(ج) قرأ خلف بامالة الألف في آخر الأسماء ، إذا بلغت أربعة أحرف أو جاوزتها،وذلك مثل : موسى،التوارة،عيسى،أسارى . وهاتان الكلمتان الأخيرتان يجتمع فيهما سببان من أسباب الامالة . أما (عيسى) فلكونها اسماً رباعياً منتهياً

---

[٥١] يميل حمزة والكسائي الفتحة التي قبل التاء المربوطة في كل من : بقرة،والقيامة،وأمة،وما كان من بابها .

[٥٢] تكثر الإمالة عند حمزة والكسائي، وفي رواية ورش عن نافع .

[٥٣] سيبويه . الكتاب ١١٨/٤ .

[٥٤] المرجع السابق،١٢٠/٤ .



بألف،ولكونها مسبوقة بالياء . وأما (أسارى) فلكونها اسماً مؤلفاً من خمسة أحرف،ولكونها منتهية بألف تلحقها بالمؤنث .

وامالة خلف الألف إذا كانت في آخر اسم مؤلف من أربعة أحرف فما فوق،متّسق مع القاعدة التي تقول : "فإذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بناء الواو،فالامالة مستتبّة(٥٥). وأكثر ما ينطبق عليه هذا القول إمالة خلف الألف في آخر (أدنى).

(د) قرأ خلف بامالة الألف في آخر كل فعل اذا كان أصلها ياء،وذلك مثل : استسقى،استوى،فسواهّن،فتلقى،تهوى،اشتراه،ترضى،اتقى،اعتدى،فناداه،تولّى،أعطى،يُجزاه،أغنى،فغشّاها،وما أدراك .

(هـ) وقرأ أيضاً بامالة الألف التي في آخر الأسماء إذا كانت مسبوقة بياء، وذلك مثل : يحيى،وعيسى . وهاتان الكلمتان تندرجان تحت قاعدتين مختلفتين ذكرهما سيبويه رحمه الله،فهو يقول :

" ومما تمال ألفه قولهم : كيّال،وبيّاع . وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول : كيّال،كما ترى،فيميل"(٥٦) . وهذا يعني أن الياء الانزلاقية (نصف الحركة) تكـــــــون سبباً في امالة الألف التي بعدها . وهذا ينطبق على كلمة (يحيى)،فألفها تمال في قراءة خلف لكونها مسبوقة بالصوت الانزلاقي (الياء) .

وأما (عيسى) فانها تمال بحسب قاعدة أخرى ، ذكرها سيبويه فقال : " وإذا كان بين أول حرف من الكلمة،وبين الألف حرف متحرك والأول مكسور،نحو : عماد،أملت الألف،لأنه لا يتفاوت ما بينهما بحرف،ألا تراهم قالوا : صَبَقْتُ،فجعلوها صاداً لمكان القاف،كما قالوا : صُقْت"(٥٧) . وهذا يعني أن الألف في (عيسى) تمال لمماثلة الياء . وقد ربط سيبويه بين هذا النوع من الامالة

---

(٥٥) المرجع السابق ١٢٠/٤ .

(٥٦) المرجع السابق،٤ /١٢١ .

(٥٧) المرجع السابق،١١٧/٤ .



والمماثلة،ووضح ذلك بالمماثلة التي تجري بين السين والقاف،فتفخم السين حتى تصبح صاداً لمماثلة القاف .

الفصل الحادي عشر
فــــي قراءة الحسن البصري

* **المطلب الأول: الحسن البصري:**

١- حياته ودرايته.

٢- قراءة الحسن البصري.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة الحسن البصري.**



الحسن البصري

أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (ت ١١٠هـ)

راوياه :

١ . حفص الدوري : أبو عمر حفص بن عمر الدوري البغـــــدادي (ت ٢٤٦هـ) .

٢ . عيسى بن عمر : أبو عمر عيسى بن عمر الثقفي البصري (ت١٤٩ هـ) .

طرقه :

١ . طريقا الدوري:

(أ) شجاع : أبو نعيم بن أبي نصر البلخي (ت١٩٠هـ)

(ب) الحلواني : أبو الحسن أحمد بن يزيد (ت بعد ٢٥٠هـ).

٢ . طريقا عيسى بن عمر:

(أ) شجاع : ذكر في إحدى طريقي الدوري .

(ب) اللؤلؤي : أبو عبدالله أحمد بن موسى اللؤلؤي (ت هـ).

المطلب الأول

الحسن البصري

١. حياته ودرايته

هو شيخ الاسلام أبو سعيد الحسن بن يسار،إمام زمانه،وشيخ وقته علما وعملا ، كان من سادات التابعين،وكبرائهم المقدّمين . أبوه مولى زيد بن ثابت،وأمه مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . ولد في مدينة رسول الله لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . حفظ كتاب الله عز وجل وهو صغير،وشاهد عدداً كبيراً من الصحابة،وروى عنهم الحديث،وكان من بين من روى عنهم : عبدالله بن عمر،وعبدالله بن عباس،والمغيرة بن شعبة،وعبد الرحمن بن سمرة،وسمرة بن جندب،وغيرهم[١] .

كان الحسن أحد الشجعان الموصوفين بالإقدام. وقد انصرف إلى الجهاد،حتى كان فيه من أعلامه،وإلى العلم حتى أصبح فيه من أبرز رجاله،وإلى العمل وكثرة العبادة والزهد،حتى أصبح مثلاً يحتذى. كان – رحمه الله– فصيحاً لا يجارى في فصاحة، ولا يبارى في بيان. قال له أحدهم : أنا أفصح منك وأزهد،فقال له: أما أفصح فلا. وقد شهد له بالفصاحة رجالها وساداتها،فقال الشافعي : "لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته "[٢]. وقال أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري "[٣]. وكان إلى ذلك كله، فطناً ذكياً، حاضر البديهة، ذا موعظة مؤثرة،وكان جميلاً وسيم المحيّا، بهيّ الطلعة . قال فيه الحافظ الذهبي : "حافظ،علامة،من بحور العلم،فقيه

---

[١] محمد الذهبي . تذكرة الحفاظ، ٧١/١ .

[٢] محمد بن الجزري . غاية النهاية في طبقات القراء ١ /٢٣٥ .

[٣] أحمد بن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،٢/ ٧٠ .



النفس،كبير الشأن ، عديم النظير، مليح التذكير، بليغ الموعظة ،رأس في أنواع الخير"[٤] .

توفي الحسن في البصرة سنة عشر ومائة،وكانت جنازته مشهودة،إذ لم يبق في البصرة أحد الا اشترك في تشييع جنازته،فاشتغل الناس بدفنه،فلم تقم صلاة العصر بالجامع،لأن الناس جميعاً تبعوا الجنازة،ولم يقع ذلك من قبل[٥] .

٢. قراءة الحسن البصري

يرى جمهور العلماء أن القراءة المقبولة هي التي تتوافر فيها ثلاثة الشروط الآتية :-

١ موافقة القراءة للعربية ولو بوجه.

٢ موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية .

٣ ثبوتها بالتواتر،أي بنقل جماعة من الموثقين ممن يؤمن تواطؤهم على الكذب،أو توافقهم على الخطأ . وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الشرط الثالث أهم هذه الشروط جميعاً[٦]، لأنه يعني أن القراءة المتواترة لا بد أن تكون موافقة للعربية،وموافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية . فالتواتر أساس هذه الشروط،لأنه يتضمنها ويحتويها .

والتواتر – فيما يرى العلماء – ليس متحققاً إلا في القراءات العشر . وقد عدت القراءات التي بعد العشر غير متواترة،ولذلك ردوها،فمنعوا القراءة بها في الصلاة وخارجها،ولكنهم أجازوا تعلمها وتعليمها،وتدوينها في الكتب،وبيان وجهها من حيث اللغة والاعراب والمعنى[٧].

---

[٤] محمد الذهبي . تذكرة الحفاظ . ص٧١ .

[٥] ابن خلكان،مرجع سابق، ٧٢/٢ .

[٦] عبد الفتاح القاضي . القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب (بيروت : دار الكتاب العربي،١٩٨١)، ص٧ .

[٧] المرجع السابق،ص ١٠ .



وقراءة الحسن من القراءات الأربع التي بعد العشر،وهي لذلك من القراءات غير المتواترة . وإذا كان العلماء قد ذهبوا إلى وصف كل قراءة غير متواترة بالشذوذ،فأننا هنا نفرق بين الشذوذ وعدم التواتر،وهو تفريق أخذناه مما ذهب إليه مكي بن أبي طالب في هذه المسألة، فهو يرى أن الشاذ هو ما خالف الرسم أو العربية،ولو كان منقولاً عن الثقات،أو ما وافق الرسم والعربية ونقله غير الثقة[٨] .

وقراءة الحسن البصري قراءة طريفة، لما فيها من الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية التي تستحق أن تدرس في بحوث تجلو طبيعة كل ظاهرة في هذه القراءة، سواء أكانت صرفية أم نحوية، أم غير ذلك . لقد تفرد الحسن باختيار وجوه من اللسان العربي،وكلها وجوه فصيحة مقبولة .

لقد جاء اختيار الحسن لحروفه،مما قرأ على شيوخه،فقد قرأ على حطان ابن عبدالله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري،وعلى أبي العالية بن أبيّ بن كعب،وزيد بن ثابت،وعمر بن الخطاب[٩] رضي الله عنهم جميعاً . اختار الحسن مما قرأ على شيوخه، فكانت اختياراته هي هذه القراءة التي تنسب إليه .

---

[٨] المرجع السابق،ص ١٠ .

[٩] ابن الجزري،غاية النهاية،ج١،ص٢٣٥ .

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة الحسن

تكثر الظواهر الصوتية الفريدة في قراءة الحسن بصورة تدعو إلى التأمل،بل انني أزعم أنها تدعو إلى اعادة النظر في كثير من القواعد التي قعّدها علماء العربية ،وفي كثير من الأحكام التي أجروها على بعض القراءات القرآنية،وأرسلوا أعنّة أحكامهم عليها . من الظواهر الصوتية التي سيتناولها هذا البحث: الاتباع الصوتي. الادغام وفكه، الحذف والزيادة والمغايرة الصوتية، وسندرس هذه الظواهر في ثلاثة مطالب،وفي ما يأتي بيان ذلك :

أولاً : الاتباع الصوتي : الاتباع الصوتي تغيير صوتي يطرأ على كلمة لا حداث تناسب بينها وبين كلمة أخرى، وهو تغيير يطرأ على صوامت الكلمة طروءه على صوائتها. والاتباع الصوتي بهذا المعنى،يتخذ أشكالاً وصوراً متعددة في العربية، منها أنهم كانوا يستعملون كلمتين معاً، ويغلب أن يكون الفرق بين الكلمتين في صوت واحد،لتأكيد معنى الكلمة الأولى . وتسمى هذه الظاهرة في علم النظم الصوتية بالثنائية الصغرى minimal pairs ، وذلك مثل قولهم : إنه لكثير،بثير، بذير،بجير . قال أبو الطيب اللغوي : وهذا كله اتباع،والبثير من قولهم : ماء بثر : أي كثير،الا أنه لا يقال : شيء بثير الا على سبيل الاتباع[١٠] . هذا على وجه اتباع صامت بصامت . واما اتباع حركة بحركة،فهو في العربية كثير أيضاً . وربما كان أبرز شاهد يرد في هذا السياق،الحديث الشريف : "لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه"،فالأصل أن يكون الحديث الشريف على ايقاع : "لو دخلوا جحر ضب خربا" باتباع كلمة "

---

[١٠] عبد الواحد بن علي الحلبي . كتاب الاتباع . تحقيق : عز الدين التنوخي (دمشق : مجمع اللغة العربية،١٩٦١)، ص١٣ .



خربا " لكلمة"جحر" اتباعاً اعرابياً، ولكن الجوار غلب على الاعراب،فكلمة "خرب" أصبحت مجرورة على الاتباع،وهو تأثير صوتي محض،غلب على التأثير الاعرابي.

والاتباع بصورته الثانية – أي اتباع حركة لحركة – كثير الورود،ذو سيرورة ملحوظة في قراءة الحسن البصري . وفي ما يأتي بعض معالم هذه الظاهرة في هذه القراءة :

١. اتباع حركة الاعراب لحركة البناء

في (الحمد لله) ثلاث قراءات اعتدت شاذة،وهذه القراءات هي :

القراءة الأولى : قراءة الحسن البصري،فقد قرأ بكسر الدال (دال الحمد) في فاتحة الكتاب العزيز،وحيث وردت أيضاً[١١]. وقد نسبت هذه القراءة إلى بني تميم [١٢]، وإلى بعض بني غطفان [١٣] . وحمل عليها السيوطي – رحمه الله – وهو ينسبها فقال : " وتميم تقول : الحمدِ لِله،بكسر الدال،ولا خير فيها"[١٤].

القراءة الثانية : بنصب الحمد،وقد نسب القرطبي هذه القراءة إلى سفيان ابن عيينة، ورؤبة بن العجاج [١٥]، وزاد أبو حيان : هارون العتكي[١٦]، قال القرطبي : " ويقال : الحمدُ لِله،بالرفع،مبتدأ وخبر،وسبيل الخبر

---

[١١] عبد الفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٢٤،والحسين بن خالويه : مختصر في شواذ القرآن،ص١ .

[١٢] أحمد النحاس . اعراب القرآن،تحقيق د. زهير زاهد (القاهرة : عالم الكتب،١٩٨٥)١٧/١

[١٣] عبد الفتاح القاضي،مرجع سابق ص ٢٤ .

[١٤] عبدالرحمن السيوطي . المزهر في علوم اللغة وأنواعها . تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ،وعلي البجاوي،و محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة : دار احياء الكتب العربية) ١/ ٢٢٥ .

[١٥] محمد القرطبي . الجامع لأحكام القرآن (القاهرة : دار الكتاب العربي،١٩٦٧) ١٣٥/١ .

[١٦] أبو حيان،محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط (القاهرة : دار الفكر،١٩٧٨)١٨/١ .



أن يفيد،فما الفائدة في هذا ؟ (أي : القراءة بالنصب) فالجواب أن سيبويه قال : إذا قال الرجل : الحمدَ لله بالنصب[١٧]، ففيه من المعنى مثل ما في قولك : حمدت الله حمداً . إلا أن الذي يرفع الحمد ، يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق لله،والذي ينصب الخبر يخبر أن الحمد منه وحده لله . وقال القرطبي : انما يتكلم بهذا تعرضاً لعفو الله ومغفرته وتعظيماً له وتمجيداً،فهو خلاف معنى الخبر،وفيه معنى السؤال "[١٨].

القراءة الثالثة : (الحمدُ لُله) بضم اللام إتباعاً لحركة الاعراب الواقعة على (الحمد) . وهذا لا شك اتباع صوتي محض . وقد نسبت هذه القراءة إلى بعض بني ربيعة [١٩] وبها قرأ ابراهيم بن أبي عبلة [٢٠] . وقد ذهب ابن جني إلى أن إتباع الصوت الثاني الصوت الأول أسهل[٢١]. وهو بذلك يشير إلى أن ضم اللام **اتباعا لحركة الدال،أسهل من القراءة بكسر الدال ، اتباعا لحركة اللام،قال ابن جني : "إلا أن (الحمدُ لُله) بضم الحرفين،أسهل من (الحمدِ لِله) بكسرهما لأنه اذا كان** اتباعاً،فان أقيس الاتباع أن يكون الثاني تابعاً للأول،وذلك أنه جار مجرى السبب والمُسبَب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من السبب. والآخــر : أن ضمة الدال في (الحمد) إعراب،وكسرة اللام في (لله) بناء، وحرمة الاعراب أقوى من حرمة البناء،فاذا قلت : الحمدِ لِله،جنى البناء

---

[١٧] الذي في تفسير القرطبي : (اذا قال الرجل : الحمد لله بالرفع) وهو خطأ واضح،والصحيح ما أثبتناه أعلاه،اذ أن سياق الحديث يدل عليه.

[١٨] القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ١٣٥/١ .

[١٩] أبو جعفر النحاس،اعراب القرآن،١٧/١. .

[٢٠] أبو حيان،البحر المحيط، ١٨/١ .

[٢١] عثمان بن جني . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها . تحقيق علي النجدى ناصف،والدكتور عبد الفتاح شلبي .القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، ١٩٦٩)، ٣٧/١-٣٨ .

الأضعف على الاعراب الأقوى"[٢٢]. وقد ذهب بعضهم إلى تقويم المسألة على نحو آخر،فقد ذهب أبو جعفر النحاس إلى أن الكسرة مع الكسرة،والضمة مع الضمة أيسر من المخالفة،أي أنهما أيسر من الجمع بين الضمة والكسرة،يقول أبو جعفر النحاس : "فأما اللغة في الكسر،فان هذه اللفظة تكثر في كلام الناس،والضم ثقيل،ولا سيما إذا كانت بعده كسرة،فأبدلوا من الضمة كسرة،وجعلوهما بمنزلة شيء واحد . والكسرة مع الكسرة أخف،وكذلك الضمة مع الضمة،فلهذا قيل: الحمدُ لُله"[٢٣]،أي أنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه ابن جني،من اطلاق القول بكون الضمة مع الضمة ، أيسر من الكسرة مع الكسرة .

إن مسألة السهولة التي أشار إليها ابن جني ، مبنية على أحكام المنطق التي أوردها هذا العالم الجليل في غير موردها،وسار بها على غير سننها،فلو كان السبب في إحداث تغيير صوتي،يسبق في النطق السّبب،ولو امتنع على اللاحق أن يكون سبباً في تغيير بعض ما يسبقه،لسقطت المماثلة الرجعية من الكلام،فالمماثلة الرجعية يسبق فيها السّبب المسبب الذي أحدثه . نعم،السبب أسبق في الحدوث لا في موضع الحدوث . وهذا هو المعنى الذي أردناه من قولنا إن ابن جني وضع أحكام المنطق في غير موردها . وأما أن حرمة الاعراب أقوى من حرمة البناء،فذلك لا يقوم دليلاً ، على أن أبناء اللغة لم يجعلوا المجاورة مؤثرة ، حتى في الاعراب،وتغيير وجهته،والحديث الشريف " لو دخلوا جحر ضب خرب" كاف لاثبات ما نقوله .

فاذا تجاوزنا هذا كله،تبين لنا أن ابن جني – رحمه الله – قد أخطأ من الناحية الصوتية،اذ جَعَل ضم اللام في (الحمدُ لُله) أسهل من كسر الدال في (الحمدِ لِله)،وذلك أن الدال وكسرتها،واللام وكسرتها،كلها أصوات أمامية،أي أن موضع

---

[٢٢] المرجع السابق،ص ٣٧ –٣٨ .

[٢٣] أبو جعفر النحاس،مرجع سابق،ص١٧. .

نطقها،ومكان تشكلها،في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. وتسمى الأصوات الأمامية أصواتاً منتشرة compact ؛ لأن حجرة رنينها في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية [٢٤]. وأما الضمة فهي صوت خلفي،لأن اللسان يرتد إلى الخلف عند نطقها، وتكون حجرة رنينها في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. ويسمى الصوت الذي هذا شأنه صوتاً متضاماً diffuse [٢٥]. فاذا علم هذا كله، تبين لنا أن التناسق الصوتي سيتم بدرجة أعلى،ويكون أسهل عندما نكسر الدال اتباعاً لكسرة اللام. أما عندما تكون دال الحمد مضمومة،واللام التي بعدها مضمومة،فسيكون نسق الأصوات على النحو الآتي :

الدال (أمامي) + الضمة (خلفية) + اللام (أمامية) + الضمة (خلفية).
واذن،فان قراءة الحسن البصري أسهل من القراءة الثالثة،لا كما ادعى ابن جني . ومع ذلك،فان سهولة قراءة ما لا يعني أفضليتها،وعدم سهولة قراءة أخرى ، لا يعني عدم أفضليتها .

٢. صلة ميم الجمع إتباعاً :

يختلف القراء في صلة ميم الجمع،فابن كثير يصلها بواو باطلاق، فيقرأ : (عليهمو، منهمو، لهمو ...)،وورش يصلها بواو اذا كانت متبوعة بهمزة فقط، وذلك مثل قوله تعالى : "واذا قيل لهم آمنوا"[٢٦]، فقد قرأها ورش : "واذا قيل لهمو آمنوا " . وأما الحسن فعنده تفصيل ، هذا بيانه :

---

[٢٤] انظر: Roman Jakobson ; C. Fant; and M. Halle. Preliminaries to Speech Analysis. The M.I.T. Press , 1965, pp. 28-97.

[٢٥] المرجع السابق،ص ٢٧-٢٨ .

[٢٦] البقرة : ١٢ .



١. إذا كانت ميم الجمع مسبوقة بكسر،فانه يصلها بياء، ولذلك فقد قرأ[٢٧] "صراط الذين أنعمت عليهمي غير المغضوب عليهمي"،وقرأ : "على قلوبهمي وعلى سمعهمي، وعلى أبصارهمي"[٢٨]. وهذا يمكن توضيحه بالمعادلة (١) :

المعادلة (١)

[+كسرة] + [ميم جمع] + Φ ← [+كسرة] [+ميم جمع] + [+صائت، +امامي، +مغلق، +طويل]

Φ يشير إلى السكون

٢. إذا كانت ميم الجمع مسبوقة بضم،فانه يصلها بواو مد[٢٩]،هكذا :

أنفسهم ← أنفسهمو

وهذا يمكن توضيحه بالمعادلة (٢) :

المعادلة (٢)

[+ضمة] + [ميم جمع] + Φ ← [+ضمة] [+ميم جمع] + [+صائت، +خلفي، +مغلق، +طويل]

٣. كسر نون (من) اتباعا :

---

(٢٧) عبدالفتاح القاضي،مرجع سابق ص ٢٥ .

(٢٨) البقرة : ٧

(٢٩) عبدالفتاخ القاضي،مرجع سابق ص ٢٥ .



قرأ الحسن بكسر نون (من) اتباعاً لكسرة الميم،وذلك إذا كانت متبوعة بساكن،وذلك مثل قوله تعالى : "برئ من المشركين"[٣٠]،و "عاهدتم من المشركين"[٣١]،فقد قرأهما الحسن : " برئ مِنِ المشركين "، و "عاهدتم مِنِ المشركين"[٣٢].

ان الكسرة ليست مقحمة هنا إقحاماً،ولا هي مما يصح أن يوصف بأنه كسر لالتقاء الساكنين . فالكسرة هذه أصلها همزة وصل الكلمة التي بعدها،أي أن هذه الكسرة محولة عن فتحة،والفتحة هذه هي همزة الوصل . وعلى ذلك،فهمزة الوصل حركة خالصة،من وجهة نظر علم الأصوات .

وحتى تتبين لنا حقيقة كسرة نون (من) بصورة أوضح،لا بد من النظر في التوزيع المقطعي لـ (من) و (ال) التعريف التي يرد بعدها في حالي الفصل والوصل،هكذا :

<u>في حال الفصل</u> : م ـــَـ ن / ـــَـ ل

<u>في حال الوصل</u> : : م ـــَـ /ن ـــِـ ل

فالتغيير الذي طرأ على حال الوصل يهدف إلى تخفيف الجهد العضلي،واختصار الزمن . هذا قبل كسر النون،فلما كسرت النون في قراءة الحسن،أصبح مركز المقطع الأول كسرة،ومركز المقطع الثاني كسرة كذلك : م ـــِـ / ن ـــِـ ل،فتحصل من ذلك نسق ايقاعي،هو في حقيقته سر الباعث على الأخذ به،عند من استعمله وأخذ به من العرب .

---

[٣٠] التوبة : ١ .

[٣١] التوبة : ١ .

[٣٢] عبدالفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٥١ .



وعلى كل حال،فان كسر نون (من) عربي فصيح . قال سيبويه : "وزعموا أن ناساً من العرب يقولون : " مِنِ الله " فيكسرونه،ويجرونه على القياس"[٣٣]، وقال : "وقد اختلف العرب في (مِن) اذا كان بعدها ألف وصل غير ألف اللام،فكسره قوم على القياس،وهي أكثر في كلامهم،وهي الجيدة . ولم يكسروا في ألف اللام . لأن الألف واللام كثيرة في الكلام تدخل كل اسم،ففتحوا استخفافاً،فصار (منِ الله) بمنزلة الشاذ . وذلك قولك : منِ ابنك،ومنِ امرئ . وقد فتح قوم فصحاء فقالوا : منَ ابنك،فأجروها مجرى : منَ المسلمين"[٣٤]. وهنا لا بد أن نلحظ ما يأتي :

١. يدل كلام سيبويه على أن كسر نون (مِن) ، من الفصيح الشائع،إذا لم يكن بعدها (ال) التعريف،ووصف هذا الاستعمال بأنه الأكثر في كلامهم،وأنه جيد،ومثّل لذلك في آخر النص بقوله : وذلك قولك : **مِنِ ابنك،ومنِ امرئ**

٢ . وهذا يدل على أن الاتباع في ذاته مقبول في الذوق العربي . غير أن وصف سيبويه كسر النون بالشذوذ،اذا كانت متبوعة ب (ال) لا ينبغي أن يفهم منه أنه يعني،أن هذا الشذوذ تأباه طبيعة العربية،فهو لا يعني بالشذوذ هنا إلا قلة الاستعمال،في مقابل كثرة استعمالها بالكسر،عندما تكون متبوعة بهمزة وصل غير همزة (ال). والدليل على ذلك قول سيبويه : "لأن الألف واللام كثيرة في الكلام،تدخل كل اسم،ففتحوا استخفافاً،فصار (منِ الله) بمنزلة الشاذ ".

٣. ومع ذلك،ينبغي أن نتنبه إلى أن كثرة الاستعمال ليست هي السبب الذي فتحت من أجله نون (من)،إذا كانت متبوعة بـــ (ال) التعريف المكونة من همزة وصل +لام. إن همزة الوصل في (المشركين، والبيت، والسماء، والموت، والحياة ... وهلم جرا) ليست في حقيقتها الصوتية إلا فتحة . فاذا فتح العربي

---

[٣٣] سيبويه . الكتاب،١٥٤/٤ .

[٣٤] المرجع السابق ،١٥٤/٤-١٥٥ .



نون (من) وهو ينطق هذا التركيب: (منَ البيت) فلأن الأصل أن همزة الوصل باقية على أصلها الصوتي وهو الفتحة. وهي في الأصل ليست فتحة للنون، وما صارت فتحة للنون إلا بالوصل الذي غيّر البنية المقطعية للكلام، كما تغير موضع النبر أيضاً .

٤. ذهب السيرافي إلى أنه "انما فتح (منَ الله) وخرج عن قياس نظيره،لأنه كثر في كلامهم والميم مكسورة،فكرهوا توالي كسرتين مع الكثرة،فعدلوا إلى أخف الحركــات، وكسروا ما لم يكثر مما هو على صورته، كقولك : إنِ الله مكنني فعلت [٣٥] .

وهذا الذي ذهب إليه السيرافي يحتاج إلى شيء من التأمل،ذلك أن العرب جعلت نون (إن) الشرطية مكسورة،إذا كان بعدها مباشرة لفظ الجلالة . وهذا يعني أن الذوق العربي لا ينبو ذلك ولا يرده،وبذلك يكون كسر نون (من) عربياً فصيحاً،اذ لا فرق من الناحية الصوتية،بين النون في (من)،والنون في (إن) . واذن،تثبت لنا صحة ما قلناه من قبل،وهو أن وصف سيبويه لهذا بالشذوذ لا يعني – من وجهة نظره – إلا قلة في مقابل كثرة،ولا يعني شذوذاً تنبوه الفصاحة العربية،أو يتأبّى عليه اللسان العربي المبين،كتاب الله عزت أسماؤه،وجلّت صفاته .

ثانياً : الادغام وفكّه

الإدغام من الوسائل التي تلجأ إليها العربية، إما اقتصاداً في الجهد، وإما لاحداث نسق صوتي، واما لتغيير البنى المقطعية للكلمة، واما للعمل على الوصل. أما الاقتصاد في الجهد العضلي، فذلك محور رئيس من محاور الادغام، وهو الذي درسه النحاة،وخصوه بالذكر في كتبهم، قال الزمخشري :

---

[٣٥] المرجع السابق،٤/١٥٤،الحاشية (١)

"فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة"[٣٦] لكن ينبغي لنا ألا نعمم قول الزمخشري على كل إدغام،فإن من ضروبه ما يزداد به الجهد العضلي،كما سنرى بعد قليل .

وأما إحداث النسق الصوتي،فذلك واضح من قراءة بعضهم : "تَسَّوّى بهم الأرض"[٣٧] . فأصل الفعل قبل الإدغام : "تَتَسوى"،ثم حذفت فتحة التاء الثانية،فأصبحت "تَتْسوى "،ثم أدغمت التاء الثانية في السين،فأصبح الفعل على هيئته هذه . والنسق الصوتي واضح من جعل المقطعين الأول والثاني متشابهين تماماً ، من حيث إن كلا منهما قد أصبح مكوناً بعد الإدغام من : صامت + حركة + صامت.والملاحظ أن تخفيف الجهد العضلي ليس محصلاً هنا،لأن (تَسَّوّى) أصعب نطقاً من (تَتَسَوى).

وأما تغيير بنية المقطع فاما أن يكون في كلمة واحدة،كما في (ردّ) التي أصلها (رَدَدَ)،فحذفت الفتحة التي بين الدالين،ثم أدغمتا،فبدلاً من أن تكون الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع هي : رَ / دَ / دَ،أصبحت مقطعين : رَدْ / دَ .

وقد يكون تغيير البنية المقطعية بين كلمتين . وذلك واضح من بعض صور الادغام التي وردت بها قراءة الحسن،وبيان ذلك في ما هو آت :

١. أدغم الحسن الكاف في الكاف ،بغض النظر عن أن المدغمة ضمير،وذلك كما في :"فلا يَحْزنكَ كفره"[٣٨]، فقد قرأها الحسن :"فلا يَحْزُنكْ كّفره" . وليس المقصود من هذا الادغام إحداث تخفيف في الجهد العضلي، ولا إحداث نسق صوتي، ولا الوصل، ولكن المقصود هو تغيير البنية المقطعية هكذا :

يَحْــــ / زُنْ / كَ / كُفْـــــ / رُه

---

[٣٦] ابن يعيش . شرح المفصل (بيروت : عالم الكتب،د.ت) ١٠/١٢١

[٣٧] النساء : ٤٢ .

[٣٨] لقمان : ٢٣ .



يَحْـــ / زُنْكَ / كُفْـــــــ / رُه

فلما وقع المقطع الثالث / كَ / ، وهو مقطع قصير مفتوح،بين مقاطع مغلقة،فقد دمج في المقطعين الذي قبله والذي بعده .

ولا شك في أن قراءة الحسن قد خالفت القراءات العشر في بعض وجوه الإدغام،غير أن هذه المسألة مما اتفق به الإدغام هنا،مع الإدغام في قراءة أبي عمرو بن العلاء .

٢. أدغم الحسن تاء المتكلم أو الخطاب في مثلها،وذلك كما في : "يا ليتني كنتْ تُراباً"(٣٩)،و "أنتْ تّحكم بين عبادك"(٤٠) . وقد خالف الحسن بهذا الحرف القراءات العشر،إذ من القواعد المقررة في تلك القراءات ألا يكون الحرف الذي يراد إدغامه تاء ضمير،سواء كان للمتكلم،أو المخاطب(٤١) . ومما ينجم عن هذا الإدغام تغيير في البنية المقطعية للكلام.

٣. أدغم الحسن النون في "أتحاجوننا"(٤٢)،و "فإنك بأعيننا"(٤٣). أما إدغام نوني "أتحاجوننا" فهو مطرد من الناحية الصوتية،مع المبدأ الذي على أساسه أدغمت احدى النونين بأختها في "أتحاجّونّي في الله"(٤٤)، مع أن الخلاف بينهما واضح من حيث المنطق النحوى . وبيان ذلك أن كل واحدة من النونين في : أتحاجونني،ليست ضميراً ولا جزءاً من ضمير،فالأولى هي نون رفع الفعل المضارع الذي هو من الأفعال الخمسة،والنون الثانية هي نون الوقاية . ولكن

---

(٣٩) النبأ : ٤٠ .

(٤٠) الزمر : ٤٦ .

(٤١) د. محمد سالم محيسن . المهذب في القراءات العشر ٩٧/١-٩٨ .

(٤٢) البقرة : ١٣٩ .

(٤٣) الطور : ٤٨

(٤٤) الأنعام : ٨٠ .



الأمر ليس كذلك في "أتحاجوننا"،فالأولى نون رفع المضارع الذي هو من الأفعال الخمسة،والنون الثانية جزء من ضمير المتكلمين (نا) . ومع هذا الخلاف بين نوني أتحاجوننا،ونوني أتحاجونني،فقد أدغم الحسن النون في أختها في هاتين الكلمتين . وقد استعملت العربية ذلك كله .

ولكن الحسن كان يفك الإدغام في بعض الكلمات،فقد قرأ : "لكنَّا هو الله ربي"[٤٥]، وقرأها : "لكنْ أنا هو الله ربي" [٤٦]،أي أنه قرأها بالأصل كانت عليه قبل الإدغام،قال العكبري: "الأصل : لكنْ أنا،فألقيت حركة الهمزة على النون،وقيل حذفت حذفاً،وأدغمت النون في النون"[٤٧].

وقرأ الحسن أيضاً : "لا تُضارَرْ والدة بولدها "[٤٨] بدلاً من : "لا تضارّ "،وهذه لغة أهل الحجاز. قال ابن عصفور : " فان وصلت إليه الحركة فان أهل الحجاز لا يدغمون،لأن الإدغام يؤدي إلى التقاء الساكنين،لأنك لا تدغم الأول في الثاني حتى تسكنه،لئلا تكون الحركة فاصلة بين المثلين،والثاني ساكن فيجتمع ساكنان . فلما كان الإدغام يؤدي إلى ذلك رفضوه،وذلك نحو : إنْ تَرْدُدْ أَرْدُدْ،ولا تُضارَرْ،واشْدُدْ"[٤٩] وهذا كله دليل على أن اختيارات الحسن في مسائل الإدغام كانت موافقة لفصيح اللسان العربي .

ثالثاً : الحذف والزيادة والمغايرة الصوتية

تكثر هذه الظواهر الثلاث في قراءة الحسن بصورة ملحوظة . فاذا أخذنا الحذف مثلاً، تبين لنا أنه يتم بصورة وظيفية،ذلك أنه عند حذف صوت من

---

[٤٥] الكهف : ٣٨

[٤٦] عبدالفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٦٣ .

[٤٧] عبدالله العكبري . املاء ما مّن به الرحمن . تحقيق ابراهيم عطوه عوض (القاهرة: مكتبة البابي الحلبي،١٩٦٩) ١٠٣/٢ .

[٤٨] البقرة : ٢٣٣

[٤٩] ابن عصفور الاشبيلي . الممتع في التصريف . ٦٥٦/٢

الأصوات، يصبح للكلمة مبنى صرفي آخر،ذو دلالة مختلفة عن دلالة المبنى الأول،أو أنه يصبح لها مبنى آخر،مع بقاء الدلالة،عملاً بالتوسع اللهجي الذي بنيت عليه عربية كتاب الله عز وجل . وسندرس هنا صوراً من هذه الظواهر ضمن الموضوعات الآتية : التنوين،الحركات،الهمزة،تاء الافتعال .

١. التنوين : قرأ الحسن : " ضَنْكا" من غير تنوين،وكان يميل الألف فيها[٥٠]،وحذف التنوين من "حسنا" في قوله تعالى : "وقولوا للناس حسنا[٥١]،لتصبح الكلمة مؤنثة :"حسنى" . وهذا يوضح ما قلناه قبل قليل من أن حذف صوت ما في قراءة الحسن،يؤدى أحياناً إلى تغيير البنية والدلالة معاً . وهذا مسلك لغوي سليم،قال أبو الطيب الوشاء :"وأما المقصور،فلا يدخله رفع ولا نصب ولا خفض،ويستوى فيه لفظ ذوات الواو والياء،وينوّن ما كان منصرفاً،نحو قولك : هوى،ورضى . وما لم يكن منصرفاً فياؤه ساكنة،وذلك يكون فيما كانت الياء فيه مزيدة ، كفَعلى ، وفِعلى ، وفُعلى ، وفُعالى ، وفَعالى ، نحو : غضبى ، وذِفرى ، وكبرى ، وسكارى ، وحبارى ، وفيما كان على مثال أفعل ،نحو : أعشى ، وأعمى ، فياء هذا الضرب من المقصور غير منونة،وياء المنصرف منونة"[٥٢] .

ومع ذلك، فقد قرأ الحسن بتنوين "راعنا"،في الآية الكريمة :"لا تقولوا راعِناً"[٥٣]،قال العكبرى : "أي لا تقولوا قولا راعنا"[٥٤].

---

[٥٠] عبد الفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٢٢ .

[٥١] البقرة : ٨٣ .

[٥٢] محمد بن أحمد الوشاء . الممدود والمقصور . تحقيق : د. رمضان عبدالتواب (القاهرة : مكتبة الخانجي،١٩٧٩) ،ص٣٠ .

[٥٣] البقرة : ١٠٤ .

[٥٤] العكبرى،مرجع سابق،ص٥٦ .



٢. الحركات : قرأ الحسن بحذف حركة عين جمع الاناث[٥٥]،وذلك مثل : "ظلْمات"،و "خطْوات" بفتح الخاء وتسكين الطاء . وقرأ بتسكين عين بعض الكلمات المفردة وبعض جموع التكسير مثل : (دُبره)،فقد قرأها بتسكين الباء . وقرأ بحذف حركة اللام في "زُلْفا"،وقرأ بتسكين الظاء في "فَنَظْره"[٥٦]،وسواء أكانت العين مضمومة أم مكسورة،فان تسكينها مما جرى به اللسان العربي،قال السيوطي : "وانما التخفيف في المضموم والمكسور،يقال في : "(رَجُل) : (رَجْل)،وفي (مِلك) : (مَلْك)،وفي : (كَرُم الرجل) : (كَرْم الرجل)" [٥٧] وروي عن عيسى بن عمر أنه قال : "كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم،وأوسطه ساكن،فمن العرب من يثقله (أي : يحركه)،ومنهم من يخففه"[٥٨] .

ولكن الحسن كان يقرأ بتحريك عين "بَغَتة" حيث وقعت[٥٩]،وبتحريك العين بالفتح في "البعَث"[٦٠]، وبتحريك الدال بالضم في "البدُن"[٦١]، وقرأ بضم الشين في: "الرشُد"[٦٢] . وقد حاول بعض النحاة واللغويين أن يشتقوا قاعدة مما استقرؤوه في هذه المسألة،وكان استقراؤهم ناقصاً،فقد ظن بعضهم أن الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف، الأوسط منها حرف حلقي، فانه يجوز تحريك الحرف

---

(٥٥) عبدالفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٣٤،٢٧ .

(٥٦) المرجع السابق،الصفحات : ٣٧،٥.

(٥٧) السيوطي،المزهر، ٨٦/٢ .

(٥٨) المرجع السابق،ج٢، ص١٠٨-١٠٩ .

(٥٩) عبدالفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٢٥ .

(٦٠) المرجع السابق،ص ٦٩ .

(٦١) المرجع السابق،ص٧٠ .

(٦٢) المرجع السابق،ص٣٦ .

الأوسط بالفتح، كما يجوز تسكينه[٦٣]. والاستقراء هذا ناقص، لأن الأمثلة التي أوردناها،تدل أن إسكان عين الكلمة الثلاثية ، يتجاوز كون عين الكلمة من حروف الحلق،بل يتجاوز كون الكلمة مفردة،ليشمل بعض جموع التكسير.

هذا اذا غضضنا الطرف عن حقيقة نظرتهم إلى الأصوات الحلقية،فهم يعدونها ستة هي : الهمزة،والهاء،والعين،والحاء،والغين،والخاء[٦٤] . أما الهمزة والهاء فهما في الدراسات الصوتية المعاصرة صوتان حنجريان،وأما الغين والخاء فصوتان طبقيان،عندما يكونان مرققين،لهويان عندما يكونان مفخمين . ولا يبقى من أصوات الحلق من هذه الستة الا العين والحاء .

ومما جرى عليه تغيير الحركة في قراءة الحسن أنه قرأ : "وآذِنْ في الناس بالحج"[٦٥] بمد الألف،وتخفيف الذال المكسورة على الأمر بوزن : فاعِل [٦٦]. ويكون التركيب القرآني بذلك كما يأتي : "وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود،وآذِنْ في الناس بالحج يأتوك رجالا" . ولكن ابن جني ذهب إلى أن الحسن وابن محيصن قرأا : "وأذِنَ " باعتبار الفعل ماضياً . قال ابن جني : "أذِنَ معطوف على : بوّأنا،فكأنه قال : واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وأذِنَ [٦٧] وقد

---

[٦٣] محمد بن الحسن الاستراباذى . شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق : محمد نور الحسن،ومحمد الزفزاف،ومحمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت : دار الكتب العلمية،١٩٧٥) ٤٧/١ .

[٦٤] محمد بن الجزري . النشر في القراءات العشر (بيروت : دار الكتب العلمية)ج١ ،ص ١٩٩ .

[٦٥] الحج : ٢٧ .

[٦٦] عبدالفتاح القاضي ينسب هذه القراءة إلى ابن محيصن،والحق أنها قراءة الحسن وابن محيصن معاً . انظر كتابة : القراءات الشاذة،ص٦٩ .

[٦٧] ابن جني،المحتسب، ٧٨/١ .



نص ابن خالويه نصاً صريحاً على أن الحسن قرأها بالفعل الماضي،فقال : "وأذِنَ فعل ماض : الحسن وابن محيصن"[٦٨].

وهذا الذي ذهب إليه ابن جني خالويه مرجوح في نظرى،إذ إنني أميل إلى الاعتقاد بأن الحسن قرأ بفعل الأمر : "وآذِنْ "لا الماضي : "وأذِنَ" ذلك أن قراءتها بفعل الأمر لا تحدث إشكالاً في نسق التركيب القرآني . أما عندما يكون الفعل : "وأذِنَ" بالماضي،فان التركيب سيكون هكذا : وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود – وأَذِنَ في الناس بالحج – يأتوك رجالاً،وبذلك تصبح جملة : "وأذن في الناس بالحج" جملة معترضة،ولا وجه للاعتراض هنا،اذ الجملة المعترضة تكون ذات صلة على نحو أو آخر،بالذي قبلها مباشرة،أو الذي بعدها مباشرة . وهذه لا صلة بينها وبين جملة "وطهر بيتي"،ولا بينها وبين جملة "يأتوك رجالاً" . واذا قيل ان الصلة – على القول بقراءة الفعل ماضياً – قائمة بين جملة "وأذن في الناس" وجملة سابقة،وهي : "واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت "قلنا : ما أبعد الرامي من الرَّمِيَّة! إذ إن الاعتراض يكون عقب ما يعترض به عليه،لا بعد أن تنقضي فائدته . هذا،والذي أخذنا به من القول ان الحسن قرأ : "وآذِنْ" على أنه فعل أمر،متسق مع قراءة الجماعة في تقدير جزم : "يأتوك" .

قد تحل حركة اعرابية محل حركة إعرابية أخرى في قراءة الحسن، وبيان ذلك أن الحسن قرأ: "والمقيمي الصلاةَ"[٦٩] بنصب الصلاة، وقرأ الجمهور بجرها. والظاهرة لها بعدان أحدهما صوتي،والآخر نحوى . أما البعد الصوتي فيتمثل في المخالفة بين "المقيمي" التي تنتهي بحركة ،هي ياء المد، و"الصلاة " التي هي في الأصل مجرورة لأنها مضاف إليه،فلما نصبت حدثت المخالفة

---

[٦٨] ابن خالويه،مختصر في شواذ القرآن،ص٩٥ .

[٦٩] الحج : ٣٥ .



الصوتية . وأما البعد النحوي فالغريب أن بعض العلماء قد لحَّنوا هذه القراءة،لأنها تخالف المحفوظ من بعض قواعدهم . وقد ناقض ابن جني نفسه،وهو يعالج قراءة النصب هذه . إذ إنه بعد أن حكم بأن هذا : "يكاد يكون لحناً،لأنه ليست معه لام التعريف المشابهة للذي ونحوه "أخذ يسوغ ذلك قائلاً : "غير أنه شبه (معجزى) بـ (المعجزى)،وسوغ له ذلك علمه بأن (معجزى) هذه لا تتعرف باضافتها إلى اسم الله تعالى،كما لا يتعرف بها ما فيه الألف واللام،وهو: المقيمي الصلاة،فكما جاز النصب في: (المقيمي الصلاةَ)،كذلك شبه به (غير معجزى اللهَ) [٧٠] ثم أورد ابن جني قراءة بعض الأعراب للآية : "إنكم لذائقو العذابَ الأليم"[٧١] بالنصب،وأضاف: وأخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس، قال: سمعت عمارة يقرأ: ولا الليل سابقُ النهارَ "[٧٢]،فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت سابقٌ النهارَ،فقلت له : فهلا قلته؟ فقال : لو قلته لكان أوزن،يريد: أقوى وأقيس" [٧٣]. وقد حاول ابن جني – في الخصائص– أن يزيد في توضيح مراد عمارة بقوله: "لكان أوزن" فقال: "فقوله: أوزن، أي : أقوى وأمكن في النفس، أفلا تراه كيف جنح إلى لغة،وغيرها أقوى في نفسه منها؟"[٧٤] . وأحسب أن ابن جني قد أخطأ مرة أخرى،اذ ظن أن المراد بقول عمارة: " لكان أوزن" هو قوة القراءة التي رغب عنها ومكنتها في نفسه،ورغبته عن هذا التمكن إلى ما لا تميل إليه نفسه . هذا التفسير فيه إحالة واضحة،واعتساف بيّن. وأحسب أن الصحيح هو أن عمارة لو قرأ: "سابق

---

(٧٠) ابن جني . المحتسب،٢/٨. .

(٧١) الصافات : ٣٨ .

(٧٢) يس : ٤٠ .

(٧٣) ابن جني،المحتسب،٢/٨١ .

(٧٤) ابن جني . الخصائص . ١/١٢٥ .

النهار"،بالتنوين،لكانت القراءة به موضع ثقل ناجم عن النبر الذي تزيد درجته ، على درجة النبر في المقطع المجاورة،فأسقط التنوين لتخف درجة النبر .

٣. الهمزة : كان الحسن يحذف الهمزة أحياناً،ويبدلها أحياناً أخرى . ولكنه في مواطن أخرى كان يقرأ بزيادتها . وفي ما يأتي بيان ذلك :

أما حذفها فمثل : "عليهم الجلا"[٧٥]، قرأها بحذف همزة "الجلاء"[٧٦] والمعادلة (٣) تمثل هذه الحالة :

المعادلة (٣)

ص [+حنجري +وقفي] ← ح / [+طويلة +امامية] ـــ #

"تسقط الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) إذا كانت مسبوقة بصوت مد أمامي (ألف المد، أو ياؤه)،مع كونها في الموقع الأخير من الكلمة ". ولا شك في أن هذا المسلك مسلك عربي قويم، فالهمزة المتطرفة في مثل: سماء، وضياء، وصحراء، مما يجوز حذفه في فصيح اللسان العربي،بل هو فيه شائع .

ولكن الحسن،مع ذلك،كان يزيد الهمزة،في الموقع الأخير من الكلمة،إذا كان فيه قبلها حرف مد كالألف،ولذلك فقد قرأ :"الرباء" بدلاً من "الربا"،وهي لغة . ومسوغها الصوتي أن العرب كانوا يميلون إلى اغلاق المقطع المفتوح الذي يكون في الموقع الأخير ، بصور شتى من صور الاغلاق التي يألفها اللسان العربي منها : التنوين في المواطن التي يجوز وروده فيها،ومنها الاغلاق بهاء

---

(٧٥) الحشر : ٣ .

(٧٦) عبد الفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٨٧ .

السكت،كما في : "ماليه، وسلطانيه .."،ومنها إسقاط الحركة الاعرابية عند الوقف،ومنها بعض صور الإدغام التي سلف الحديث عنها .

وسواء أكان اختيار الحسن في ترك الهمز أحياناً،أم في الأخذ به أحياناً أخرى،فالمنحيان عربيان سليمان . فالعرب كانت تهمز أحياناً كثيرة،بل كانوا يهمزون ما ليس بمهموز أصلاً،فقد قالوا : لبأت بالحج،وحلأت السويق،ورثأت الميت . واجتمعت العرب على همز "مصائب"،وأصلها الياء . وقالوا : افتأت برأيه [٧٧]،ويحكى أن أبا زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ : "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انسن ولا جأن"[٧٨]،فظننته أنه قد لحن،حتى سمعت من العرب : دأبة،وشأبة "[٧٩]. ومن هذا القبيل أيضاً قراءة أبي أيوب السختياني : "ولا الضألين"[٨٠] بهمزة مفتوحة . وعلى هذه اللغة قول كثيّر : إذا ما الغواني بالعبيط احمأرّت .

ولكن قراءة الحسن تعامل الهمزة معاملة أخرى،فقد جاء أنه قرأ :"آذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا"[٨١]،وقرأ :"آن كان ذا مال وبنين"[٨٢]،وقرأ : "آن جاءه الأعمى"[٨٣] . وفي هذا كله تحويل للاخبار إلى استفهام . قال ابن جني في معرض تعليقه على قراءة الحسن :"آن جاءه الأعمى" : أن معلقة بفعل محذوف

---

[٧٧] عبدالرحمن السيوطي . المزهر،ج٢ ،ص٢٥٢-٢٥٣ .

[٧٨] الرحمن :٣٩ .

[٧٩] القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ، ١ /١٥١،وابن جني . سر صناعة الاعراب ١ /٧٢ .

[٨٠] أبو البقاء العكبرى . املاء ما مَن به الرحمن، ١ /٨ .

[٨١] الأحقاف : ٢٠ .

[٨٢] القلم : ١٤ .

[٨٣] عبس : ٢ .



دل عليه قوله تعالى :"عبس وتولى"،تقديره : أأن جاءه الأعمى أعرض عنه وتولى بوجهه؟"[٨٤].

ومن صور قلب الهمزة إلى حركة في قراءة الحسن،أنه قرأ : "أنبئيهم" بدلاً من :"أنبئهم" في سورة البقرة،و "نبّيهم" في الحجر والقمر،مع كسر الهاء في كل ذلك "[٨٥]. وحقيقة هذا التغير من الناحية الصوتية، أن الهمزة تقلب إلى كسر، لتماثل الكسرة التي قبلها،وذلك كما هو مبين في المعادلة (٤) :

المعادلة (٤)

ص (+حنجري +وقفي) ← ح (+امامية +مغلقة) / ح (+أمامية +مغلقة) ——

هذا، وقد أخطأ ابن خالويه حين ظن أن الحسن كان يقرأ :"أنبهم" بكسر الباء من غير وجود ياء المد[٨٦] .

٤. تاء الافتعال: قرأ الحسن بحذف تاء المطاوعة من: "ولا تمسّكوا"، والأصل : "تتمسكوا "، وقرأ بحذف تاء المطاوعة هذه من "وان تولّوا"[٨٧]. والمحذوف هنا هو تاء الافتعال،أو المطاوعة كما يسمونها أحياناً،وليست تاء المضارعة هي المحذوفة،لن تاء المضارعة لا تحذف،لأن حذفها يخل ببنية الفعل المضارع. أما حذف تاء المطاوعة فلا يؤدى إلى ذلك،ولا إلى شيء منه.

٥. **الحروف المتقطعة في أوائل السور : تفردت قراءة الحسن بتحريك الحرف الأخير من أسماء بعض الحروف المتقطعة التي تبتدئ بها سور من**

---

[٨٤] ابن جني . المحتسب ،ج٢ ،ص٣٥٢ .

[٨٥] عبد الفتاح القاضي،مرجع سابق،ص٢٢ .

[٨٦] ابن خالوية،مختصر في شواذ القرآن ،ص٣-٤ .

[٨٧] محمد : ٣٨ .



كتاب الله عزت أسماؤه، وجلت صفاته، فكان الحسن يقرأ: ياسينِ، وصادِ، وقافِ[٨٨].ومع ذلك، فقد قرأ: "طَهْ " بتسكين الهاء. قالوا في توجيه هذه القراءة : طأراد : طأ الأرض بقدميك جميعاً،لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع احدى رجليه في صلاته"[٨٩] . فاذا صح هذا التوجه،ولا أحسبه الا كذلك،فان ذلك يعني أن الهمزة قد أبدلت همزة،وهذا في اللسان العربي كثير،وهو فيه بعدُ فصيح،فقد كان العرب يقولون: "هراق" بدلاً من: أراق. والمسوغ الصوتي لهذا التغيير الصوتي،واضح جداً،فالهمزة والهاء صوتان حنجريان. أما الهمزة فهي صوت وقفي، وأما الهاء رخو (استمراري) احتكاكي. وأن يتعاور هذان الصوتان موقعاً واحداً،بتغيير الدلالة أو عدم تغييرها، أمر متوقع من الناحية الصوتية المحضة. واذا أخذنا قراءة الحسن : "طَهْ" بدلاً من: "طأ" والذي هو الأصل،كان بالامكان تمثيل ذلك بالمعادلة (٥)، وهي هذه :

<u>المعادلة (٥)</u>

ص (+حنجري، +وقفي) ← ص (+حنجري، +احتكاكي) / ح ــــ #

---

(٨٨) عبد الفتاح القاضي،مرجع سابق،ص ٧٦،٧٨،٨٩ .

(٨٩) ابن عصفور الاشبيلي،<u>الممتع في التصريف</u>،ج١ ،ص ٣٩٨ .

الفصل الثاني عشر
فـــي قراءة ابن محيصن

* **المطلب الأول: ابن محيصن:**

  ١- حياته ودرايته.

  ٢- راويا قراءته.

  ٣- طرقه.

* **المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة ابن محيصن.**

ابن محيصن

محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي (ت١٢٣هـ)

راوياه :

١. البزي : أبو الحسن محمد بن عبدالله بن أبي بزّة المكي (ت٢٥٠هـ) .
٢. ابن شنّبوذ : أبو الحسن محمد بن أحمد البغدادي (ت٣٢٨هـ) .

طرقه :

١. طريقا البزّي:
(أ) أبو ربيعة : محمد بن إسحاق الربعي المكي (ت٢٩٤هـ) .
(ب) ابن الحباب : أبو علي الحسن بن حباب الدقاق (ت٣٠١هـ).

٢. طريقا ابن شنّبوذ :
(أ) الشنّبوذي : أبو الفرج محمد بن أحمد البغدادي (ت٣٨٨هـ)
(ب) الشذائي : أبو بكر أحمد بن نصر البصري (ت٣٧٣ هـ).

المطلب الأول

ابن محيصن

١. حياته ودرايته

اختلف المحققون في اسمه على أقوال؛ فمن قائل إنه محمد بن عبدالرحمن ابن محيصن السهمي. ومن قائل إن اسمه عمر بن عبدالرحمن. وقيل: هو عبدالرحمن بن محمد، وقيل : بل هو محمد بن عبدالله[١]. ويغلب على الظن أن الاسم الأول ، وهو محمد بن عبدالرحمن، هو الأقرب إلى الصواب.

كان ابن محيصن مقرئ أهل مكة في زمن ابن كثير . وقد كان من علماء العربية وأئمة النحو،وله فيه باع طويلة وقدم راسخة. وعلى ذلك فهو من أئمة النحو المتقدمين في الكوفة شأنه شأن الأعمش. وكان ابن محيصن ثقة ديّنا. وقد روى له مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم .

أخذ ابن محيصن القراءة عن مجاهد بن جبير،ودرباس مولى ابن عباس،وسعيد بن جبير.وأخذ عنه عرضاً أبو عمرو بن العلاء، وسماعاً عيسى بن عمر .

توفي ابن محيصن رحمه الله سنة مائة وثلاث وعشرين بمكة .

٢. راويا قراءته

١. **البزي** : هو أبو الحسن محمد بن عبدالله بن القاسم بن أبي بزة المكي[٢].

٢. **ابن شنّبوذ** : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي الذي اشتهر بابن شنّبوذ. كان عالماً كبيراً وإماماً صالحاً . وكان يقول بجواز القراءة بما صحّ سنده،وإن خالف رسم المصحف . وهذا يعني أنه لم يشترط موافقة

---

[١] محمد بن الجزري . غاية النهاية في طبقات القراء،١٦٧/٢ .

[٢] انظر ترجمته في الفصل الثاني من هذا الكتاب .



الرسم العثماني إذا صحّ سند القراءة .ومن أجل هذا حوكم وسُجن وضُرب . وقد تراجع عن رأيه هذا. توفي سنة ثلاثمائة وثمانٍ وعشرين.

طرقـــــه :

طريقا البـــزي

(أ) أبو ربيعة *

(ب) ابن الحباب*

طريقا ابن شنّبوذ

(أ) **الشذائي** : أبو بكر أحمد بن نصر بن منصور الشذائي البصري، إمام مشهور . توفي في البصرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

(ب)**الشنّبوذي** : أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي البغدادي أستاذ متقن ضابط . ارتحل في طلب العلم،ولقي الشيوخ،وتبحر في التفسير،وكان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن الكريم . ولد سنة ثلاثمائة،ومات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

---

* انظر ترجمته في الفصل الثاني من هذا الكتاب

* انظر ترجمته في الفصل الثاني من هذا الكتاب

المطلب الثاني

الظواهر الصوتية في قراءة ابن محيصن

في قراءة ابن محيصن ظواهر صوتية كثيرة،اخترنا منها: الهمزة وتقلباتها، والإدغام، والحركات ، والتغيرات المقطعية. وهذه مناقشة لكل واحدة من هذه الظواهر.

أولاً : الهمزة وتقلباتها

جرى علماء القراءات واللغة على تقسيم الهمزة إلى قسمين: فهمزة مفردة في قسم،واجتماع همزتين في قسم آخر . وعلى الرغم من أن لنا تحفظاً على هذا التقسيم،فإننا سنأخذ به محاولين تجنب الوقوع في الشكلانية الموهمة التي جعلت هؤلاء العلماء يسمّون "اجتماع الهمزتين" بهذه التسمية . فان كل واحدة من الهمزتين في مثل (أأنتم) وما كان من بابها مستقلة عن أختها ؛ لكون كل واحدة منهما في مقطع . فالهمزة الأولى تقع في بداية المقطع الأول من الكلمة،والهمزة الثانية في بداية المقطع الثاني من الكلمة . وعلى ذلك فالهمزتان في مقطعين متتابعين،وليستا مجتمعتين،إلا إذا اعتبرنا تتابع المقاطع المهموزة اجتماعاً للهمزات،وهذه هي الشكلانية التي أشرنا إليها .

١. الهمزة المفردة

الهمزة المفردة إما أن تكون ساكنة أو متحركة . وقد حقق ابن محيصن نطق الهمزة الساكنة والمتحركة،إلا ما روي عنه من تسهيل للهمزة المفردة في مواطن سنذكرها .

والهمزة المفردة الساكنة المفردة إما أن تكون مسبوقة بكسر أو فتح أو ضمّ . فَمِمّا هو مسبوق بكسر "قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً"[٣] و "قالوا الآن جئت

---

[٣] الكهف : ٧٧ .

بالحق"[٤] . هذا وغيره مما هو داخل في باب الهمزة المفردة الساكنة المسبوقة بكسر،يجري تحقيق نطق الهمزة فيه في قراءة ابن محيصن في القرآن كله،دون تسهيل، إلا في قوله تعالى : "فليؤد الذي اوتمن أمانته"[٥] فقد قلب الهمزة في (أوتمن) إلى ياء،هكذا :"الذي ايتمن". وهذا راجع إلى باب الاختيار الذي بنيت عليه القراءات القرآنية كلها .

أما الهمزة المفردة الساكنة المسبوقة بفتح ، فقد جرى ابن محيصن فيه على نطق الهمزة محققة في القرآن كله دون استثناء،كما في قوله تعالى : "فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم[٦] وقوله تعالى : "وكأس من معين"[٧].

وأما الهمزة المفردة الساكنة المسبوقة بضم ، فقد جرى ابن محيصن على تحقيقها في النطق،وذلك كما في قوله تعالى : "الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة"[٨]. إلا أنه قرأها بغير همز في قوله تعالى : "عليهم نار موصدة"[٩].

والنحاة والقراء يرون في وصف ذلك أنه قلب الهمزة واواً. وليس الأمر كذلك بالتأكيد . والصحيح أن الهمزة قلبت ضمة . فاجتمعت هذه مع ضمة الميم فأصبحتا واو مّد . والذين يذهبون في أيامنا هذه إلى أن الهمزة حذفت ثم مّدت ضمة الميم ، يواقعون خطأ كبيراً في تصور التغيرات الصوتية . فالهمزة في العربية قابلة لأن تتحول إلى حركة مماثلة للحركة السابقة لها،كما في

مؤصدة ⟵ موصدة

---

[٤] البقرة : ٧١ .

[٥] البقرة : ٢٨٣ .

[٦] النور : ٦٢ .

[٧] الواقعة : ١٨ .

[٨] البقرة : ٣

[٩] البلد : ٢٠ .



الهمزة ⟵ ضمة / ضمة ———

"أصبحت الهمزة ضمة لمماثلة الضمة التي قبلها".

أما الهمزة المفردة المتحركة فقد تكون مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة. وقد حقق ابن محيصن نطق الهمزة المتحركة في هذه المواطن،في القرآن الكريم كله،إلا ما روي عنه من اختيار لخلاف ذلك في بعض المواطن .

الهمزة المتحركة قد تكون مسبوقة بحركة طويلة كالألف والياء. وقد تكون مسبوقة بحركة قصيرة (الفتحة، أو الضمة، أو الكسرة). وقد جرى علماء القراءات واللغويون على تصنيف الهمزة المسبوقة بألف أو ياء ضمن ما سمّوه الهمزة المسبوقة بساكن. وهذا من الناحية الصوتية ليس صحيحاً؛ لأن الألف والياء ليسا ساكنين، بل هما حركتان، والحركة لا توصف بأنها من السواكن.

الهمزة المتحركة المسبوقة بألف،في قراءة ابن محيصن تجري على التحقيق في القرآن كله،إلا ما كان من استثناء على الاختيار في قوله تعالى :"وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم"[١٠]، فقد قرأها ابن البزي بالتسهيل بين بين [١١] .

وأما الهمزة المسبوقة بياء كما في (الخطيئة) و (البريئة) و (النبيء) و (النسيء) ، فقد قرأها ابن محيصن بالياء المشدودة ، هكذا : (الخطيَّة) و (البريّة) و (النبيّ) و (النسيّ).

وأما الهمزة المتحركة فقد تكون مفتوحة،أو مضمومة أو مكسورة .

---

[١٠] الأحزاب : ٤

[١١] أحمد بن محمد الدمياطي . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر . بيروت: دار الندوة،ص٣٥٢ .



فالهمزة المفتوحة قد تكون مسبوقة بضم كما في :" والله يؤيد بنصره من يشاء"[١٢]، أو بكسر كما في : "إن ناشئة الليل أشد وطأ وأقوم قيلا"[١٣]. والتحقيق هو سبيل هذه الهمزة في قراءة ابن محيصن،لا يحيد عنه باستثناء،ولا اختيار مخالف .

وأما الهمزة المفردة المضمومة فقد تكون مسبوقة بفتح كما في :"وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها"[١٤] . وهذه عنده على التحقيق في القرآن كله. وقد تكون مسبوقة بكسر كما في :"قالوا إنما نحن مستهزئون"[١٥] . وهذه الهمزة عنده على التحقيق حيث وردت،إلا ما كان من استثناء بسبب الاختيار في عدم تحقيق همزة (يضاهئون) في قوله تعالى :"يضاهئون قول الذين كفروا من قبل"[١٦].

وأما الهمزة المكسورة فقد تكون مسبوقة بضم كما في :"إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"[١٧] فهذه وأمثالها على التحقيق عنده في القرآن كله دون استثناء. وقد تكون الهمزة المكسورة مسبوقة بفتح . وهذه على التحقيق أيضاً،إلا ما روي عن ابن محيصن من تسهيلها في قوله تعالى : "إنها لإحدى الكبر"[١٨] وقوله :"ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق"[١٩] .

---

[١٢] آل عمران : ١٣ .

[١٣] المزمل : ٦ .

[١٤] الاحزاب : ١٢٧ .

[١٥] البقرة : ١٤ .

[١٦] التوبة : ٣٠ .

[١٧] يس : ٨٢ .

[١٨] المدثر : ٣٥ .

[١٩] الكهف : ٣١ .



٢. اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة

قرأ ابن محيصن عند اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة ، بتسهيل الهمزة الثانية،وذلك كما في الآيات الكريمة الآتية :"أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله"[٢٠] و "أأعجمي وعربي"[٢١] و "قل أؤنبئكم بخير من ذلكم"[٢٢] و "أإله مع الله تعالى الله عما يشركون "[٢٣] . فالهمزة الثانية تقرأ بالتسهيل في قراءة ابن محيصن.

وحقيقة التسهيل من الناحية الصوتية هنا،أنه إسقاط للهمزة الثانية،مع إبقاء حركتها . ومن الواضح أن همزة الاستفهام لم تحذف ؛ لأن الهمزة الثانية هي التي حذفت،والتي هي جزء من بنية الكلمة.

ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة التالية :

الهمزة ⟵ Φ / حركة ــــــ حركة

وهذا يعني أن الذي أدى إلى إسقاط الهمزة الثانية ، هو كونها محصورة بين حركتين،الأمر الذي يعني أن اجتماع الهمزتين ليس هو السبب في هذا الحذف،كما هو مفهوم من كلام علماء القراءات وعلماء العربية . إذن فالتوجه العام في قراءة ابن محيصن هو تسهيل الهمزة الثانية .

ولكن لابن محيصن اختياراً آخر،ظهر فيه حذف الهمزة الأولى،سواء أكانت همزة استفهام أم همزة تسوية،وذلك كما في :"آمنتم له قبل أن آذن لكم"[٢٤] و "سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٢٥] و "إنّ لنا أجراً"[٢٦] و "إنك

---

[٢٠] المائدة : ١١٦ .

[٢١] فصلت : ٤٤ .

[٢٢] آل عمران : ١٥ .

[٢٣] النمل : ٦٣ .

[٢٤] طه : ٧١ .

[٢٥] يس : ١٠ .



لأنت يوسف"[٢٧] فقد قرأ ابن محيصن بحذف الهمزة الأولى في هذه المواضع ، وأبقى حركتها .

٣. اجتماع الهمزتين في كلمتين

عندما تكون الهمزتان متفقتين بالكسر ، كما في : "قال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين"[٢٨] فالبزي يقرؤها بتسهيل الهمزة الأولى ، وتحقيق الثانية،هكذا : "هؤلاي إن" . وأما ابن شنّبوذ فيقرؤها بإسقاط الهمزة الأولى وتحقيق الثانية مع المدّوالقصر،هكذا :"هؤلائن"(بالقصر) و "هؤلائين" (بالمدّ).

وعندما تكون الهمزتان متفقتين بالضم كما في :" ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض،وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين"[٢٩]،فالبزي يقرؤها بتسهيل الهمزة الأولى وتحقيق الثانية،هكذا : أوليا ـُـ إن .

وعندما تكون الهمزتان متفقتين بالفتح كما في :"ثم إذا شاء أنشره"[٣٠]،فالبزي يقرؤها بتسهيل الأولى. وابن شنّبوذ يقرؤها بإسقاط الهمزة الأولى وتحقيق الثانية مع المدّ والقصر[٣١].

أما إذا كانت الهمزتان من كلمتين مختلفتين في الحركة ، فابن محيصن يحقق الهمزة الأولى ، على التفصيل الآتي: فإذا كانت الهمزة الأولى مفتوحة والثانية مكسورة كما في :"أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت"[٣٢] فإن ابن محيصن

---

[٢٦] الأعراف : ١١٣ .

[٢٧] يوسف : ٢١ .

[٢٨] البقرة : ٣١ .

[٢٩] الأحقاف : ٣٢ .

[٣٠] عبس : ٢٢ .

[٣١] الدمياطي . إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٣ .

[٣٢] البقرة : ١٣٣ .



يقرؤها بتحقيق الهمزة الأولى ، وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء [٣٣] . وما حقيقة التسهيل من الناحية الصوتية هنا ، إلا إسقاط الهمزة الثانية،مع إبقاء حركتها.

وإذا كانت الهمزة الأولى مضمومة والثانية مكسورة كما في :" ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا"[٣٤] فابن محيصن يحقق الهمزة الأولى،ويسهّل الثانية بين الهمزة والياء [٣٥]. والتسهيل هنا هو حذف الهمزة مع إبقاء حركتها .

وإذا كانت الهمزة الأولى مضمومة والثانية مفتوحة ، كما في : "قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء"[٣٦] فقد قرأها ابن محيصن بتحقيق الأولى وإبدال الثانية واواً خالصة مفتوحة [٣٧] .

وإذا كانت الهمزة الأولى مفتوحة والثانية مضمومة كما في :"كلما جاء أمة رسولها"[٣٨]، فقد قرأها ابن محيصن بتحقيق الأولى وجعل الثانية كالواو المختلسة .

وإذا كانت الهمزة الأولى مكسورة والثانية مفتوحة كما في :"هؤلاء أضلّونا"[٣٩] فقد قرأ ابن محيصن بتحقيق الأولى،وجعل الثانية كالياء الخالصة .

٤. نقل حركة الهمزة

المقصود من نقل حركة الهمزة نقلها إلى الساكن الذي قبلها . هذا ما يقصده علماء السلف بنقل حركة الهمزة،وذلك كما في قوله تعالى : "بل الإنسان على

---

[٣٣] الدمياطي . إتحاف فضلاء البشر،ص٥٣ .

[٣٤] البقرة : ٢٨٢ .

[٣٥] الدمياطي . إتحاف فضلاء البشر ،ص٥٣ .

[٣٦] البقرة : ١٣ .

[٣٧] الدمياطي . إتحاف فضلاء البشر،ص٥٣ .

[٣٨] المؤمنون : ٤٤ .

[٣٩] الأعراف : ٣٨ .



نفسه بصيرة"[٤٠]، فكسرة الهمزة تنقل إلى اللام الساكنة فتصبح مكسورة . وإذا عرفنا أن هذا لا يتم إلا بعد سقوط الهمزة نفسها عرفنا أن المسألة ليس فيها نقل بل إن الهمزة تسقط،ويصبح الساكن الذي قبلها متحركاً تلقائياً. وقد قرأ ابن محيصن بالنقل ، كما قرأ بذلك ورش . ومن أمثلة ذلك الآيات الكريمة الآتية :

" يسألونك عنِ الأنفال قل الأنفال لله والرسول"[٤١] فقد قرأها ابن محيصن هكذا : يسألونك عنِ لَنفال قل لَنفال لله والرسول . وكذلك شأن قراءته لقوله تعالى : "كذّب أصحاب الأيكة المرسلين"[٤٢]، فقد قرأها ابن محيصن هكذا:أصحابُ لَيْكة . وكذلك قوله تعالى : "ولانَكْتُمُ شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين"[٤٣] فقد قرأها هكذا : إنا إذاً لمنَ لاثمين .

ثانياً : الإدغام

على الرغم من أن الصرفيين والنحاة والقراء قد أوغلوا في دراسة الإدغام،وبيان أسبابه وأنواعه، فإن ثمة جوانب تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

وأول ما ينبغي الوقوف عنده تفريقهم بين إدغام المتجانسين والمتقاربين. أما إدغام المتجانسين فمثل إدغام الباء في الميم،والتاء في الدال،والتاء في السين والصاد والزاي،والطاء في التاء،والنون في اللام . وأما إدغام المتقاربين فمثل إدغام التاء في الثاء،والدال في الشين،والدال في الثاء،والقاف في الكاف،واللام في التاء،واللام في الثاء . والنون في الواو [٤٤] .

هذا التقسيم ليس له أساس صوتي صحيح يُتكأ عليه. فما يجمع بين النون واللام ليجعلهما متجانسين،لا ينفي كونهما متقاربين. ومثل ذلك يقال عن سائر

---

[٤٠] القيامة : ١٤ .

[٤١] الأنفال : ١ .

[٤٢] الشعراء : ١٧٦ .

[٤٣] المائدة ١٠٦ .

[٤٤] أحمد بن محمد الدمياطي . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر،ص٢٠ .

أصوات القائمة المتجانسة أصواتها،فإنك لا تعدم أن تجد التقارب بين كل صوتين متجانسين.

وفي المقابل،فإن ما يجمع بين النون والواو ليجعلهما متقاربين،لا ينفي تجانسهما من حيث صفات كثيرة كالجهر والاستمرارية والرنينية .

وإذا نظرنا إلى مواضع النطق ، باعتبارها عندهم منشأ لتقسيم الأصوات ، إلى متجانسة ومتقاربة،وجدنا في توزيعهم للأصوات على القائمتين ما يمكن أن ينقض ؛ فكيف يكون التاء والسين متجانسين في المخرج،في حين يكون اللام والتاء متقاربين ؟ هذا يدل على أن تقسيم الإدغام إلى إدغام المتجانسات،وإدغام المتقاربات يحتاج إلى مراجعة ونظر .

إن ثمة تقسيماً للإدغام أضبط من ذلك الذي ذهبوا إليه . هذا التقسيم يمكن أن يكون على النحو الآتي :

١. إدغام الوقفي في الاستمراري .
٢. إدغام الوقفي في الوقفي .
٣. إدغام الاستمراري في الوقفي.
٤. إدغام الاستمراري في الاستمراري .

وهذا بيان موجز لهذه الأقسام في قراءة ابن محيصن :

١. إدغام الوقفي في الاستمراري

وهذا يشمل إدغام ابن محيصن الباء في الميم،والتاء في السين والصاد والزاي،والتاء في الثاء،والدال في الشين،والدال في الثاء . وهذا بيان ذلك :

(أ) أما إدغام الباء في الميم،فمثل إدغام باء (يعذّب) في ميم (من) في قوله تعالى :"ويعذّب من يشاء"[٤٥]. ومثل ذلك إدغام الباء في الميم في قوله تعالى :

---

[٤٥] البقرة : ٢٨٤ .

"والله يكتب ما يبيّتون"[٤٦] .

وأما إدغام التاء في السين والصاد والزاي،فمثل ما قرأه ابن محيصن،وفيه أدغمت التاء بهذه الأصوات،في الآيات الكريمة الآتية :

(ب) إدغام التاء في السين كما في الآية الكريمة :" ويقولون خمسة سادسهم كلبهم"[٤٧] – بإدغام تاء (خمسة) في سين (سادسهم) بعد حذف التنوين،هكذا :

خمستنسادسهم ⟵ خمستْسادسهم ⟵ خَمْسَسَّادسهم

(ج) إدغام التاء في الصاد كما في الآية الكريمة :" فأنت له تصدّى"[٤٨]،قد يَهِم بعض القارئين،فيظن أن (تصدّى) في القرآن هي (تتصدى)،وأن ابن محيصن قرأها بالإدغام ؛ أي بخلاف ما هي عليه في المصحف . وليس الأمر كذلك بالتأكيد. فأصل الكلمة في العربية (تتصدى) . وهي في المصحف (تَصدى). وهذه لها قراءتان،إما بحذف إحدى التاءين،وإما بتشديد الصاد والدال . وهذا هو الذي ذهب إليه ابن محيصن. ويكون الإدغام ساعتئذ هو الذي جرى بمقتضاه تشديد الصاد، هكذا :

تـــ ــَــ تـــ صدّى

تَتَصَدّى ⟵ تَتْصَدّى ⟵ تصدّى

(د) إدغام التاء في الزاي كما في الآية الكريمة : "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت"[٤٩] – بإدغام تاء (ازَّيَّنت) في زايها . وهذا فيه احتمالان :

الاحتمال الأول : أن يكون أصل الكلمة على وزن (افتعلت). أي : (ازتيّنت) . فقلبت التاء زاياً لمماثلة الزاي التي قبلها. وتكون المماثلة هنا رجعية لا تقدمية .

---

[٤٦] النساء : ٨١ .

[٤٧] الكهف : ٢٢ .

[٤٨] عبس : ٦ .

[٤٩] يونس : ٢٤ .

الاحتمال الثاني : أن يكون أصل الكلمة بزنة (اتفعلت) أي : (اتزيّنت)،فقلبت التاء زاياً،ثم أدغمتا . ولم يقل أحد من الصرفيين العرب بوجود صيغة (اتفعل) في العربية. ولكن عدم قولهم بوجودها لا يعني عدم وجودها حقاً ، في عصور متقدمة من العربية . فلربما كانت هذه الصيغة موجودة،ثم طمست وبقي منها شواهد في العربية . وحسبك دليلاً على احتمال وجودها أنها موجودة في عدد كبير من اللغات السامية،وفي بعض اللهجات المحكية المعاصرة (كاللهجة المصرية) التي ربما تكون قد انحدرت من لهجة عربية قديمة .

(هـ) إدغام التاء في الثاء كما في الآية الكريمة :"سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم"[٥٠]. إذا نظرنا إلى الإدغام بحسب ما ذهب إليه القراء والصرفيون،فإن الإدغام هنا ، سيكون قد جرى على النحو الآتي :

ثلاثَتُنْ رابعهم ⟵ ثلاثْتُن (بإسكان الثاء) ⟵ ثلاثُثْرابعهم

(و) إدغام الدال في الشين،كما في الآية الكريمة :" قد شغفها حباً"[٥١].

(ز) إدغام الدال في الثاء،كما في الآية الكريمة :"ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها"[٥٢] .

٢. إدغام الوقفي في الوقفي

أدغم ابن محيصن التاء في الدال،والدال في التاء،والطاء في التاء،والقاف في الكاف. أما إدغام التاء في الدال فمثل قراءته،وكذلك سائر القراء،لقوله تعالى "قال قد أجيبت دعوتكما" – بإدغام تاء (أجيبت) في دال (دعوتكما). وأما إدغام الدال في التاء فمثل قراءته وسائر القراء لقوله تعالى : "قد تبيّن الرشد من الغي"[٥٣].

---

[٥٠] الكهف : ٢٢ .

[٥١] يوسف : ٣٠ .

[٥٢] آل عمران : ١٤٥ .

[٥٣] البقرة : ٢٥٦



وأما إدغام الطاء في التاء فمثل إدغام طاء (أحطت) بتائها في قوله تعالى :"قال أحطتُ بما لم تحط به"[٥٤]،فقد قرأها ابن محيصن : (أحَتّ) .

وأما إدغام القاف في الكاف فمثل إدغامه قاف (خلقكم) في كافها من قوله تعالى: "هو الذي خلقكم من طين"[٥٥]،وقاف(فيغرقكم) في كافها، من قوله تعالى: "فيغرقكم بما كفرتم"[٥٦]، وقاف (بورقكم) في كافها من قوله تعالى :"فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة"[٥٧].

٣. إدغام الاستمراري في الوقفي

ومثاله إدغام لام (هل) في تاء (تستوي) من قوله تعالى :"أم هل تستوي الظلمات والنور"[٥٨]. ومنه إدغام الضاد في الطاء في قوله تعالى : "فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه" [٥٩] .

وإنما جعلنا إدغام الضاد في الطاء من قبيل إدغام الاستمراري في الوقفي؛ لأن الضاد كان صوتاً رخواً (احتكاكياً)، ولم يكن كما ننطقه الآن في العربية الفصيحة المعاصرة .

٤. إدغام الاستمراري في الاستمراري

ومثاله إدغام النون في اللام،واللام في الثاء،والنون في الواو . فقد أدغم ابن محيصن نون (عن) بلام التعريف في (الأنفال) من قوله تعالى :"يسألونك عن الأنفال"[٦٠]؛ هكذا : علّنفال . ومثل ذلك في قوله تعالى : "يسألونك عن

---

[٥٤] النمل : ٢٢ .

[٥٥] الأنعام : ٢ .

[٥٦] الإسراء : ٦٩

[٥٧] الكهف : ١٩ .

[٥٨] الرعد : ١٦ .

[٥٩] البقرة : ١٧٣ .

[٦٠] الأنفال : ١ .



الأهلَة"[٦١]،فقد قرأ : "علّهلّة" . ومثل ذلك في قوله تعالى : "ولانكتم شهادة الله ؛ إنا إذن لمن الآثمين"[٦٢] فقد قرأ : "لمِلْ لاثمين".

ثالثاً : التآزر البنائي للحركات[٦٣]

يمكن أن ينظر الباحث عند تحليل التغيرات التي تجري للأصوات داخل الكلمة – وهنا تعنينا الحركات – على أساس المماثلة فقط،أو المخالفة دون غيرها . وحتى أوضح هذه المسألة أضرب مثلاً كلمة (فيهم) فالأصل في نطق هذه الكلمة المكونة من حرف الجر والضمير،أن تكون الهاء مضمومة. هذا هو الأصل . وقد جرى التغيير بإبدال الضمة كسرة . والعلماء يجمعون على أن هذا من قبيل مماثلة الكسرة لياء المدّ التي في المقطع الأول (فيـ) . وما على هذا المذهب من بأس،بل لقد أخذنا به في غير موطن في هذا الكتاب .

غير أن الأمر يمكن أن ينظر إليه باعتبار التآزر الذي تؤديه الحركات بعضها مع بعض،والحركات مع الصوامت . وأنا هنا أحذّر من أن ينظر إلى التآزر على أنه توافق فقط . إنه في نظري أشمل من ذلك بكثير ؛ فقد يقتضي البناء تآزراً مكوناً من توافق وتخالف . فلنرجع النظر في المثال الذي أسلفناه وهو (فيهم). فالذي حدث في هذه الكلمة – كما أراه – أن التآزر البنائي حدث بايجاد تماثل جرى بين كسرة الهاء وياء المدّ،من حيث إن كلاً منهما حركة أمامية . وحدث في الوقت نفسه،تخالف في المقطع الثاني (هم)،فالضمة والهاء صوتان خلفيان بمعنى أن إنتاجهما في الجزء الخلفي من القناة الصوتية . ولما أبدلت الضمة كسرة ؛ حدث التخالف ؛ فالكسرة صوت أمامي والضمة صوت خلفي . وعلى ذلك يكون التآزر قد حدث بوجود أمرين متكاملين :

---

[٦١] البقرة : ١٨٩ .

[٦٢] المائدة : ١٠٦ .

[٦٣] هذا المصطلح من وضع مؤلف هذا الكتاب .

الأول : مماثلة بين المقطع الأول الذي نُواتُه الياء،والمقطع الثاني الذي نواته الكسرة . فاجتمع المقطعان على تماثل كل منهما في النواة .

الثاني : مخالفة في المقطع الثاني بين صوتين ، أولهما صامت وهو الهاء وثانيهما صائت وهو الكسرة .

هذا التآزر البنائي لم يحدث باعتبار التماثل فقط،بل باعتبار التخالف كذلك . وهذا التغير أي التآزر البنائي – ليس ضربة لازب ؛ بمعنى أنه ليس من مقتضيات اللغة نفسها،بل هو من مقتضيات البناء اللهجي القائم على اختلاف أذواق أبناء اللغة وتباين بيئاتهم . ومن أجل ذلك اختلفت اللهجات في إحداث هذا التغيير أو عدمه في هذه الكلمة،وما كان من بابها مثل : (عليهم وإليهم). أما (منهم) فأكثر العرب على ضم هائها،وإن كانت إحدى لهجاتهم من غير ذوات الشيوع تكسر هاءها . وهي لهجة ما زال لها بقية في إحدى اللهجات العامية من بعض قرى محافظة رام الله في فلسطين، ردّ الله غربة أهلها إلى ديارهم منصورين بإذنه تعالى .

ذكر العلماء أن ابن محيصن قد قرأ بضم ضمير المذكر المفرد الغائب المتصل بالباء وفي [٦٤]،كما في قوله تعالى : " يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام"[٦٥] وقوله : "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"[٦٦] وقوله : " من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات"[٦٧] وقوله :"ومن عاهد بما أوفى عليه الله"[٦٨] وقوله : " وقالوا يأيها الذين نزّل عليه الذكر"[٦٩].

---

[٦٤] الدمياطي . الإتحاف – مرجع سابق،ص١٩٩ .

[٦٥] المائدة : ١٦ .

[٦٦] البقرة : ٢ .

[٦٧] الأنعام : ٤٦ .

[٦٨] الفتح : ١٠.

[٦٩] الحجر : ٦ .

تشيع ظاهرة التآزر البنائي للحركات في قراءة ابن محيصن بقدر ملحوظ . لا يلغي ذلك ولا ينقضه أن الذي قرأ به هذا الإمام ما هو إلا اختيار لهجي . فاللهجات لا تحدث فيها التغيرات الصوتية إلا بمقتضى القوانين الصوتية المتبعة فيها . يجري هذا الذي قلناه في أداءات كثيرة من قراءة ابن محيصن . من ذلك مثلاً أنه قرأ كلمة (الغيوب) حيث وردت في كتاب الله بكسر الغين،وبكسر العين من كلمة (العيون) – بالجمع – حيث وردت،وبكسر السين في (سخريا) من قوله تعالى:"ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا"[٧٠]،وبكسر الجيم في (جيوبهن) من قوله تعالى :" وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ"[٧١] .

أما كسر السين في كلمة (سخرياً)،فالمقصود هو الكلمة التي تعني التسخير وهو المقصود من قوله تعالى " ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً". هذه الكلمة الأصل فيها ضمّ السين لا كسرها. أما مكسورة السين فتعني السخرية،وهو المعنى الذي أشارت إليه الآية الكريمة "فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري"[٧٢]،والآية الكريمة "أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار"[٧٣]. لقد ضم معظم العرب سين (سخرياً) التي تعني التسخير،وكسرها أقلهم . وجاءت قراءة ابن محيصن بما جرى به لسان الأقلية . وبذلك تكون كلمة (سخرياً) – بالكسر – دالة على معنيين،ويكون المعنى محكوماً بالسياق، لا بالبنية المحكومة بحركة غير مميزة .

أما كسر الجيم في (جيوب) في قراءة محيصن فهو اختيار من واقع لهجي . وهذا الكسر يؤدي إلى تآزر بنائي يتمثل في أن المقطع الثاني يبتدئ بالياء التي

---

[٧٠] الزخرف : ٣٢ .

[٧١] النور : ٣١ .

[٧٢] المؤمنون : ١١٠ .

[٧٣] ص: ٦٣ .

هي صائت أمامي،ويلتقي مع نهاية المقطع الثاني (الكسرة)،وهي صائت أمامي كذلك.

لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد تآزر بنائي في (جيوب) – بضم الجيم – فالتآزر البنائي فيها ، أكبر من ذلك الذي نجده في الكلمة عند كسر الجيم . فعند ضم الجيم يتأتى تآزر بنائي من أمرين،أولهما مماثلة ناجمة عن وجود ضمة الجيم ، وواو صيغة فُعول الدالة على الجمع . وهذا هو الذي جعل أكثر العرب يجعلون صيغة الجمع هذه على صيغة فُعول (بضم الفاء) .

وثانيهما : مخالفة متأتية من انتهاء المقطع الأول بالضم وهو حركة خلفية، وابتداء المقطع الثاني بنصف حركة أمامية.

قرأ ابن محيصن بكسر الحاء من (حليّهم). وهذا أيضاً فيه مماثلة ومخالفة، يؤديان مجتمعين إلى تآزر بنائي. أما المماثلة ففي التوافق بين الكسرة والياء،فيصبح المقطع الأول والثاني متماثلين، من حيث إن كلا منهما ينتهي بصائت أمامي. وأما المخالفة فمن حيث إن الكسرة أمامية، والحاء صامت خلفي.

وقرأ ابن محيصن بضم الياء في (ينعه) من قوله تعالى : "انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويُنعه"[٧٤] . وهذا أيضاً فيه مماثلة ومخالفة يؤديان إلى تآزر بنائي . مماثلة بين الضمة والعين، من حيث إنهما صوتان خلفيان . ومخالفة بين الضمة والياء من حيث إن الضمة خلفية والياء أمامية .

وقرأ ابن محيصن بكسر الضاد في (ضيق) من قوله تعالى : "ولا تك في ضيق مما يمكرون"[٧٥] في مقابل فتحها في قراءات أخرى . وكسر الضاد في هذه الكلمة يؤدي إلى مماثلة ومخالفة . فعلى الرغم من أن الضاد صوت

---

[٧٤] الأنعام : ٩٩ .

[٧٥] النحل : ١٢٧ والنمل : ٧.



أمامي،فإن له سمتاً خلفياً ؛ من حيث إن تفخيم الصوت بالإطباق يقتضي رفع ظهر اللسان dorsum of the tongue باتجاه منطقة الطبق velum،وهو في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية . وعلى ذلك يجري التوافق والتخالف بين الكسرة نفسها،وكون الضاد صوتاً أمامياً،من حيث موضع النطق،وخلفياً من حيث الإطباق Velarization . ذلك توافق وتخالف بين ياء المد (وهي كسرة طويلة) والضاد، في وقت واحد.

غير أن ثمة لفتة لطيفة من حيث الفرق في الدلالة بين (ضيق) بفتح الضاد،وأختها بالكسر . أما التي بالفتح فتعني ضيق الصدر مما يُرى من مكر في واقعة ما ؛ فهو لذلك ضيق محدود بالواقعة الواحدة أو الوقائع القليلة . وأما التي بالكسر فتعنى شمول الضيق من الحياة معهم والتذمر منهم لكثرة ما يرى من مكرهم . وبذلك تكون كل واحدة من القراءتين قد أشارت إلى معنى غير المعنى الذي تشير إليه أختها . وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

وقرأ بن محيصن بكسر التاء في (يقتروا) من قوله تعالى : "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا"[٧٦]. وهذا فيه مماثلة بين الياء والكسرة . وفيه مماثلة أخرى بين فتحة الياء من حيث إنها صوت أمامي،والكسرة من حيث إنها صوت أمامي كذلك،على الرغم من كون الفتحة متسعة،والكسرة ضيقة. وهو أمر يشير إلى التخالف بمقدار ما يشير إلى التماثل أيضاً. إن ثمة فرقاً بين (يقتروا) التي بكسر التاء،وتلك التي بضمها ؛ من حيث إن الأولى تشير إلى أقل التقتير،وأن التي بضم التاء تشير إلى الكثير من التقتير. وقد تأتى هذا الفرق في المعنى من حيث إن الكلمة تكون مضمومة التاء،فإن درجة نبر مقطعها تكون أعلى من درجة نبره عندما تكون مكسورة.

---

[٧٦] الفرقان : ٦٧ .

رابعاً : التغيرات المقطعية

تتأثر البنية المقطعية في قراءة ابن محيصن بعدة عوامل ، منها تسكين عين الكلمة وتحريكها،وفتح ياء الإضافة وتسكينها

١. تسكين عين الكلمة

يظهر تسكين عين الكلمة في قراءة ابن محيصن،صورة من صور تخفيف المتماثلات أو المتخالفات،في المقاطع المتجاورة من الكلمة . والتخفيف من التماثل أو التخالف لا يعني بالضرورة الجنوح نحو التسهيل . نعم قد يكون الأمر كذلك في بعض الكلمات،ولكنه ليس كذلك دائماً .

يمكن توزيع المجالات التي تسكّن فيها عين الكلمة على النحو الآتي :

(أ) تسكين يقتضيه التماثل

قد تكون فاء الكلمة وعينها متحركتين بحركة واحدة،فيكون المقطعان متماثلين، من حيث إن كل واحد منهما ينتهي بنفس الحركة التي ينتهي بها جاره. وهذا له صورتان في قراءة ابن محيصن : فإما أن تكون الضمة هي نواة كل مقطع من المقطعين المتجاورين،بمعنى أن كل واحد منهما ينتهي بضمة،وإما أن تكون الفتحة هي نواة كل واحد من هذين المقطعين .

من الأمثلة التي قرأها ابن محيصن بتسكين عين الكلمة،وكانت عينها مضمومة في قراءات أخرى،مع كون الفاء متحركة بالضم كذلك (القدْس) في قوله تعالى : "وأيّدناه بروح القدس"(٧٧)،و (نكُر) في قوله تعالى :"يوم يدعو الداعِ إلى شيء نكر"(٧٨)،و (أكُله) حيث وردت،و(شُغُل) في قوله تعالى : "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون"(٧٩)،و (خطوات) حيث وردت .

(٧٧) البقرة : ٣٧ .

(٧٨) القمر : ٦ .

(٧٩) يس : ٥٥ .



وإذا كانت حركة المقطعين المتجاورين هي الفتحة،فابن محيصن يحذف حركة المقطع الثاني،وذلك كما في (لهب) من قوله تعالى :"تبت يدا أبي لهَب وتب"[٨٠]،فقد قرأها بتسكين الهاء . وكذلك (حصب) في قوله تعالى : "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"[٨١] و (الصدفين) في قوله سبحانه : "حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا"[٨٢]، و (دأباً) في قوله تعالى : "قال تزرعون سبع سنين دأباً"[٨٣] . و (قدره) في قوله تعالى : "على الموسع قدره وعلى المقتر قدره"[٨٤] فقد قرأ بتسكين الدال في (قدره) (الأولى والثانية). وقرأ كذلك بتسكين الميم في (أَمَنة) من قوله تعالى :"ثم أنزل عليكم من الغم أمنةَ نعاساً"[٨٥].

(ب) تسكين يقتضيه التخالف

قد يكون المقطعان المتجاوران متحركين بحركتين مختلفتين؛ كأن تكون حركة أولهما الفتحة، وحركة ثانيهما الكسرة، كما في كلمة (نكِداً) في الآية الكريمة :" والذي خبث لا يخرج إلا نكدا"[٨٦] فقد قرأ ابن محيصن بتسكين الدال.

قد تكون حركة أول المقطعين الكسرة،وحركة ثانيهما الفتحة،كما في (كِسَفاً) فقد قرأها ابن محيصن بتسكين السين حيث وردت في القرآن الكريم . وقد تكون حركة أول المقطعين الضمة،وحركة ثانيهما الفتحة كما في (زُلَفاً) من الآية

---

[٨٠] المسد : ١ .

[٨١] الأنبياء : ٩٨ .

[٨٢] الكهف : ٩٦ .

[٨٣] يوسف : ٤٧ .

[٨٤] البقرة : ٢٣٦ .

[٨٥] آل عمران : ١٥٤ .

[٨٦] الأعراف : ٥٨ .

الكريمة : "وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلَفاً من الليل"[٨٧] فقد قرأها ابن محيصن بتسكين اللام .

أؤكد هنا مرة ثانية ما قلته إن حذف الحركة لا يقتضي التخفيف بالضرورة،وإن كان التخفيف وارداً . فهو في مثل تسكين اللام في (زلفاً) غير منكور. ولكنه غير مسلّم به في مثل تسكين الكاف في (نكداً)،ولا في مثل تسكين السين في (كسفاً). وعدم التخفيف له مسوغ دلالي،بحيث إن حذف الحركة يجعل في اللفظ ثقلاً نبريا يؤكد صوتياً المعنى المعجمي الذي تؤديه الكلمة .

٢. تحريك عين الكلمة

على الرغم من أن ابن محيصن يميل إلى تسكين عين الكلمة،مما هي فيه مفتوحة،في اختيار قراء آخرين،فإنه يذهب إلى تحريك عين بعض الكلمات،مما هي فيه ساكنة في اختيار قراء آخرين . وما هذا إلا بسبب أن الاختيار أصل من أصول القراءات.

قرأ ابن محيصن بضم اللام في (غلف) حيث وردت،وما وردت في القرآن إلا مرتين هما قوله تعالى : وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم"[٨٨] وقوله :" وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف"[٨٩] . ومن الواضح أن ذلك يكون من باب إجراء المقطعين على تماثل،لم يكونا عليه في حال تسكين المقطع الثاني. ومن الواضح كذلك أن التماثل هنا قد أعطى القارئ قدراً من السهولة في النطق.

وقرأ ابن محيصن بفتح الهاء من (الرهْب) في قوله تعالى :"واضمم إليك جناحك من الرهب"[٩٠]. وقرأ كذلك بفتح العين من (المعز) في الآية الكريمة :"

---

[٨٧] هود : ١١٤ .

[٨٨] البقرة : ٨٨ .

[٨٩] النساء : ١٥٥ .

[٩٠] القصص : ٣٢ .



ومن المعز اثنين"[٩١] وقرأ بضم الضاد من (خضر) في الآية :"متكئين على رفرف خضر"[٩٢] وهذا كله مما يجري مجرى التماثل .

٣. فتح ياء الإضافة وتسكينها

ياء الإضافة هي ياء المتكلم ؛ ذلك الضمير الذي يتصل به الاسم، فيكون الاسم مضافاً،والياء مضافاً إليه. ويتصل الفعل بهذه الياء فيجعلها مفعولاً به . ويتصل بها الحرف فيجعلها منصوبة كما في (إنّي)،أو مجرورة كما في (لي ومني).

ميزة هذه الياء أنها تقبل الفتح والتسكين،كما في الاية الكريمة : " وما كان ليَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي" [٩٣]؛ فقد قرئت (لي) الأولى بفتح الياء فيها،وقرئت الثانية بتسكينها. اختلف العلماء في هذه الياء: هل الأقوى فتحها أم تسكينها؟ ذهب الزجاج[٩٤] إلى أن فتحها في (هداي) وما كان من بابها أقوى؛ "فالأصل أن تقول هذا غلاميَ قد جاء – بفتح الياء – لأنها حرف في موضع اسم مضمر"[٩٥] وذهب بعض العلماء إلى أن إسكانها هو الأفضل . وذهب فريق إلى أن التسكين والتحريك جيدان.

قرأ ابن محيصن بفتح ياء الإضافة في المواطن الآتية :

---

[٩١] الأنعام : ١٤٣ .

[٩٢] الرحمن : ٧٦ .

[٩٣] إبراهيم : ٢٢ .

[٩٤] هو أبو إسحق إبراهيم بن السّريّ . من أئمة النحو،غلب عليه لقب الزجاج لأنه كان يعمل بخراطة الزجاج في بداية حياته. توفي سنة ٣١١ هـ.

[٩٥] إبراهيم الزجاج . معاني القرآن وإعرابه . تحقيق د. عبد الجليل عبده . صيدا – بيروت : المكتبة العصرية،١،١٩٧٤/٨٦ –٨٧ .



(أ) إذا كان بعد ياء الإضافة همزة سواء أكانت مفتوحة ، كما في "وقال فرعون ذروني أقتل موسى ومن معه"[٩٦] و "وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون"[٩٧]،و "فاذكروني أذكركم"[٩٨] . أو كانت مضمومة كما في : "إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك"[٩٩] و "فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين"[١٠٠]،أو كانت مكسورة،كما في : "واتبعت ملة آبائي وإبراهيم وإسحق ويعقوب"[١٠١]،و "إن أجري إلا على رب العالمين"[١٠٢] و "فلم يزدهم دعائي إلا فرارا"[١٠٣].

(ب) إذا كان بعد ياء الإضافة همزة وصل غير مقترنة بلام التعريف،وذلك كما في : "قال يا موسى إنيَ اصطفيتك على الناس برسالاتي"[١٠٤] و "هارون أخي اشدد به أزري"[١٠٥] و "واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى"[١٠٦] . فقد قرأ ابن محيصن بفتح ياء الإضافة في هذه الآيات .

---

[٩٦] غافر : ٢٦ .

[٩٧] الزخرف : ٥١ .

[٩٨] البقرة : ١٥٢ .

[٩٩] المائدة : ٢٩ .

[١٠٠] المائدة : ١١٥ .

[١٠١] يوسف : ٣٨ .

[١٠٢] الشعراء : ١٠٩ .

[١٠٣] نوح : ٦ .

[١٠٤] الأعراف : ١٤٤ .

[١٠٥] طه : ٣٠ – ٣١ .

[١٠٦] طه ٤١ – ٤٣ .

(ج) إذا كان بعد ياء الإضافة حرف آخر عدا الهمزة كما في الآية : "وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً"(١٠٧) .

أما إذا كانت ياء الإضافة متبوعة بهمزة وصل (الـ) التعريف فقد قرأ ابن محيصن بتسكينها كما في الآية الكريمة : "قال لا ينال عهدي الظالمين"(١٠٨) والآية : "يا عبادي الذين آمنوا"(١٠٩) والآية :"سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون"(١١٠)،والآية : "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم"(١١١) .

---

(١٠٧) مريم : ٥ .

(١٠٨) البقرة : ١٢٤ .

(١٠٩) العنكبوت : ٥٦ .

(١١٠) الأعراف : ١٤٦ .

(١١١) البقرة : ٤٧ .

المراجع

المراجع العربية

١. ابن الجزري،محمد . غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق ج. برجشتراسر. بيروت : دار الكتب العلمية،١٩٨. .

٢. ابن الجزري،محمد . النشر في القراءات العشر . بيروت : دار الكتب العلمية،د.ت.

٣. ابن جزي،محمد . البارع في قراءة نافع (مخطوط). نسخة من دار الكتب الوطنية بتونس،برقم ٣٧٢ .

٤. ابن جني،عثمان . الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. بيروت : دار الهدى،د.ت

٥. ابن جني،عثمان. سرّ صناعة الاعراب . تحقيق د. حسن هنداوي. دمشق :دار القلم،١٩٨٥ .

٦. ابن جني،عثمان . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق علي النجداوي ناصف،والدكتور عبدالفتاح شلبي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،١٩٦٩ .

٧. ابن خالويه، الحسين. مختصر شواذ القرآن. تحقيق ج.برجستراسر ،د.ت.

٨. ابن خلكان،أحمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيقد. إحسان عباس. بيروت : دار صادر،١٩٦٩ .

٩. ابن زنجلة،عبدالرحمن. حجة القراءات. تحقيق سعيد الأفغاني. بيروت:مؤسسة الرسالة ،١٩٨٢ .

١٠. ابن السراج،محمد بن سهل . الأصول في النحو . تحقيق عبدالحسين الفتلي. بيروت:مؤسسة الرسالة،١٩٨٥ .

١١. ابن عصفور الإشبيلي ،علي بن مؤمن. الممتع في التصريف. تحقيق د. فخر الدين قباوة . حلب : المكتبة العربية،١٩٧. .

١٢. ابن غلبون،طاهر. التذكرة في القراءات . تحقيق عبدالفتاح بحيري إبراهيم.القاهرة : دار الزهراء للإعلام،١٩٩٠ .

١٣. ابن القاصح،علي . سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي.القاهرة : مكتبة البابي الحلبي،١٩٥٤ .

١٤. ابن القفطي، علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباء النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة: دار الفكر العربي،١٩٨٦ .

١٥. ابن مجاهد، أحمد. السبعة في القراءات. تحقيق د. شوقي ضيف.القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ .

١٦. ابن منظور، محمد. لسان العرب . القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة،د.ت.

١٧. ابن النجار،محمد بن أحمد. الرد المستقيم على بعض الأعاجم في تحريك الميم. تحقيق عبدالإله نبهان . نشر في مجلة ثقافة الهند المجلد ٤٢،العدد ١،١٩٩١ .

١٨. ابن هشام ،عبدالله. مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. بيروت : دار الفكر ١٩٧٢ .

١٩. ابن يعيش،يعيش. شرح المفصل. القاهرة : عالم الكتب،د.ت.

٢٠. أبو حيان،محمد بن يوسف. البحر المحيط. القاهرة : دار الفكر، ١٩٧٨ .

٢١. الأستراباذي،محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد نور الحسن ورفيقيه. بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٧٥ .

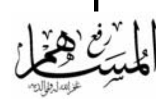
٢٢. الأصبهاني،أحمد بن الحسين. المبسوط في القراءات العشر. تحقيق سبيع حمزة حاكمي. دمشق:مطبوعات مجمع اللغة العربية،١٩٨٠ .

٢٣. الأصبهاني،أحمد بن عبدالله. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. بيروت : دار الكتب العربية،١٩٩٧ .

٢٤. الأنباري،عبد الرحمن. الإنصاف في مسائل الخلاف. تحقيق محمد محيي عبد الحميد. القاهرة : دار إحياء التراث العربي .

٢٥. الأنباري،محمد بن القاسم. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ. تحقيق د. محيي الدين رمضان : دمشق مجمع اللغة العربية،١٩٧١ .

٢٦. الأنصاري، أحمد مكي. سيبويه والقراءات. القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٢ .
٢٧. أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية. القاهرة: الإنجلومصرية ،١٩٧٩ .
٢٨. باكلا،محمد حسن. النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية.بيروت:مكتبة لبنان،١٩٧٩ .
٢٩. البخاري،محمد بن إسماعيل . التاريخ الكبير . الهند : دار المعارف العثمانية، ١٩٥٨ .
٣٠. بشر،كمال. علم اللغة العام-الأصوات. القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٠ .
٣١. البغدادي، أحمد بن علي. تاريخ بغداد. بيروت : دار الكتب العلمية،د.ت.
٣٢. الجندي، أحمد علم الدين. اللهجات العربية في التراث. القاهرة :١٩٦٥ .
٣٣. حسان،تمام. اللغة العربية- معناها ومبناها. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٥ .
٣٤. الحصري،محمود خليل. أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر.د.ت.
٣٥. الحلبي، عبدالواحد بن علي. الإتباع. تحقيق عزالدين التنوخي.دمشق: مجمع اللغة العربية،١٩٦١ .
٣٦. حنفي،جلال . قواعد التجويد والإلقاء الصوتي. بغداد : لجنة إحياء التراث، ١٩٨٧ .
٣٧. الداني،عثمان. التيسير في القراءات السبع. تحقيق أوتو برتزل . بيروت:دار الكتاب العربي،١٩٨٥ .
٣٨. الدمياطي،أحمد بن محمد . إتحاف فضلاءالبشر في القراءات الأربعة عشر. بيروت : دار الندوة ،د.ت.
٣٩.الذهبي،محمد.تذكرة الحفاظ. بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٩٥٨ .
٤٠. الذهبي،محمد. تهذيب التهذيب. الهند : دائرة المعارف النظامية،١٣٢٦ هـ
٤١. الذهبي،محمد. ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة :مكتبة البابي الحلبي،١٩٦٣ .



٤٢. الراجحي،عبده. اللهجات العربية في القراءات القرآنية. دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦ .

٤٣. الزجاج،إبراهيم بن السَّريّ. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٤ .

٤٤. سالم،أحمد مهران. السبيل الواضح لقراءة نافع . القاهرة : مطبعة الشرق الأوسط،١٩٤٧ .

٤٥. السعيد،لبيب . الجمع الصوتي للقرآن الكريم. القاهرة : ١٩٧٤ .

٤٦. سيبويه،عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥ .

٤٧. السيوطي،عبدالرحمن. الإتقان في علوم القرآن. صيدا، المكتبة العصرية،١٩٨٧

٤٨. السيوطي، عبدالرحمن. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مكتبة البابي الحلبي،١٩٦٥ .

٤٩. السيوطي، عبدالرحمن. المزهــر. تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقيه. القاهرة :دار إحياءالكتب العربية.

٥٠. شاهين، عبدالصبور. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. القاهرة : مكتبة الخانجي،١٩٨٧ .

٥١. شاهين،عبدالصبور. المنهج الصوتي للبنية العربية. بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨. .

٥٢. شكري،أحمد خالد، قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية. عمان : دار الفرقان،١٩٩٦ .

٥٣. ضيف،شوقي. المدارس النحوية. القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٦ .

٥٤. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧ .

٥٥. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تفسير القرآن. القاهرة : مطبعة بولاق،١٣٢٣هـ .



٥٦. عبابنة،جعفر."في حقيقة الإدغام". أبحاث اليرموك المجلد الثالث، العدد الثاني ١٩٨٥ .

٥٧. عبد الجواد، سمير أحمد. التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش. القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩١ .

٥٨. العبيدي، فتحي. الجمع بالقراءات المتواترة. رسالة دكتوراه-جامعة الزيتونة-تونس ١٩٨٨ .

٥٩. العسقلاني،أحمد. الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت : دار الكتب العلمية،د.ت .

٦٠. عضيمة،محمد عبدالخالق، القاهرة : دار الحديث،د.ت

٦١. عطوان،حسين . القراءات القرآنية في بلاد الشام. بيروت : دار الجيل،١٩٨٢ .

٦٢. العكبري، عبدالله بن الحسين. إملاء ما مّن به الرحمن. تحقيق إبراهيم عطوة عوض. القاهرة : مكتبة البابي الحلبي ١٩٦٩ .

٦٣. الفارسي،الحسن بن أحمد. الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق علي النجدي ناصيف وآخرين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣ .

٦٤. القاضي، عبدالفتاح. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. بيروت : دار الكتاب العربي،١٩٨١ .

٦٥. القاضي، عبدالفتاح. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغات العرب. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١ .

٦٦. القرطبي، محمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧

٦٧. القفطي، علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباء النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة : دار الفكر العربي،١٩٨٦ .

٦٨. القمحاوي،محمد الصادق. البرهان في تجويد القرآن ط١.،القاهرة : مكتبة الجامعة الأزهرية ١٩٧٢ .

٦٩. القيسي،مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع. تحقيق د. محيي الدين رمضان. دمشق : مجمع اللغة العربية،١٩٧٤ .

٧٠. المبرد،محمد بن يزيد. المقتضب. تحقيق عبدالخالق عضيمة. بيروت : عالم الكتب،١٩٦٣ .

٧١. المحيسن، محمد سالم. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الجيل في بيروت.

٧٢. المحيسن،محمد سالم. المهذب في القراءات العشر. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية،١٩٧٨ .

٧٣. المخزومي، مهدي. مدرسة الكوفة. القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، ١٩٥٨

٧٤. مفتي، خديجة أحمد. نحو القراء الكوفيين. مكة المكرمة،الفيصلية : ١٩٨٥ .

٧٥. مكرم،عبدالعال سالم،وأحمد مختار عمر. معجم القراءات القرآنية. مطبعة جامعة الكويت،١٩٨٨ .

٧٦. المكي،الموفق بن أحمد. مناقب أبي حنيفة. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨١

٧٧. النحاس،أحمد. إعراب القرآن. تحقيق د. زهير زاهر. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥ .

٧٨. الهاشمي،التهامي الراجي. بعض مظاهر التطور اللغوي. الرباط : دار النشر المغربية،١٩٧٨ .

٧٩. الوشاء،محمد بن أحمد . الممدود والمقصور. تحقيق د. رمضان عبدالتواب،القاهرة : مكتبة الخانجي،١٩٧٩ .

المراجع الأجنبية

١. Boff, Marie; & Ch. Dkhissi. Contribution al'etude experimental des consonnes de l' Arabe classique. Strasbourg , institut de phonetique

٢. Catford, J.C Fundamental Problems in Phonetics. Indiana University Press, ١٩٧٧.

٣. Crutten , Alan. Intonation. Cambridge University Press , ١٩٨٦.

٤. Dubois , jean , et al. Dictionnaire de linguistique. Paris, libraire larousse , ١٩٣٧.

٥. Fromkin , v.; & Rodman. An Introduction to Language (٢/e). N.Y. , Holt, Rinehart and Winston , ١٩٧٨.

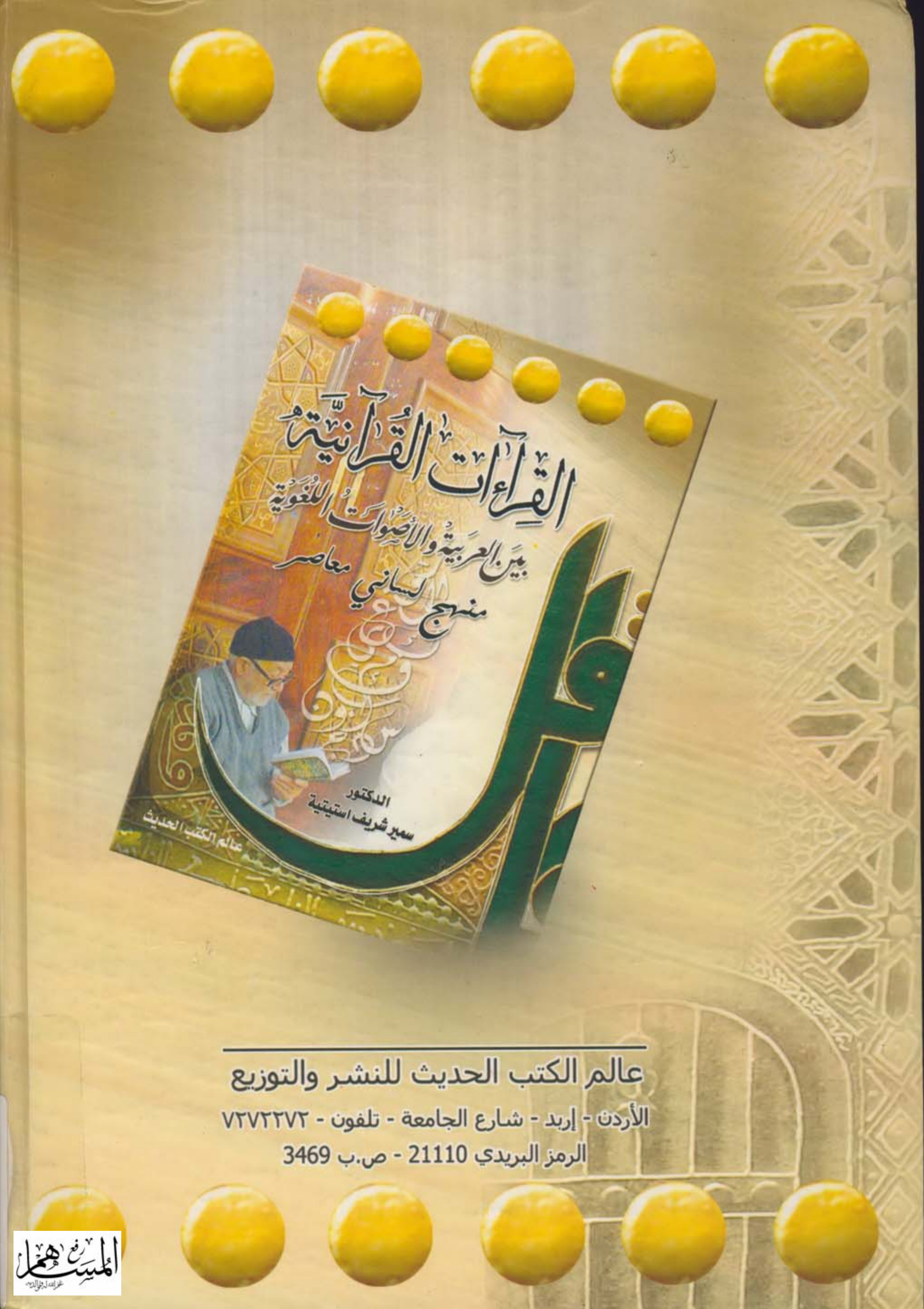
٦. Jakobson , Roman ; et al. Preliminaries to Speech Analysis. The M.I.T. Press , ١٩٦٥.

٧. Ladefoged , Peter. A Course in Phonetics. N.Y. , Harcourt Brace Jovanovich , Inc., ١٩٧٥.

٨. Malmberg , Bertil. Phonetics. N.Y., Dover Publications , Ltd. ١٩٦٣.

٩. Mackay , Ian. Introducing Practical Phonetics. Boston , Little , Brown &Co., ١٩٧٨.




القراءات القرآنية
بين العربية والأصوات اللغوية
منهج لساني معاصر
الدكتور
سمير شريف استيتية
عالم الكتب الحديث
عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع
الأردن - إربد - شارع الجامعة - تلفون - ٧٢٧٢٢٧٢
الرمز البريدي 21110 - ص.ب 3469